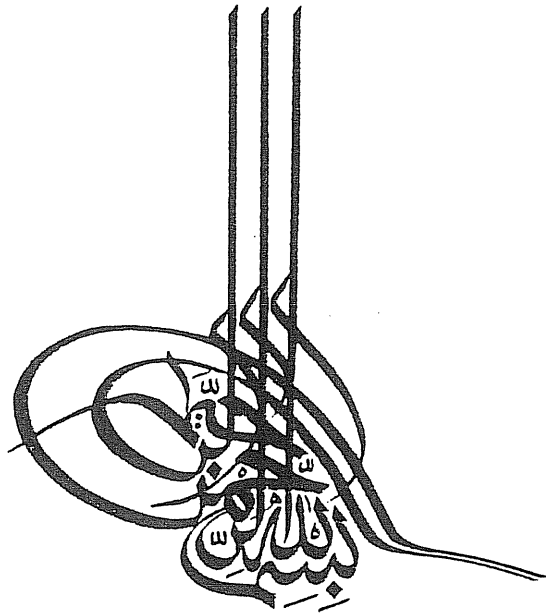


مركز الكويت للتوحيد
سلسلة التوعية بالتوحيد (1)

الشروق

(قصة شقيقة لطفلة توحيدية)

بقلم تمبل كاردن
ترجمة د. فؤاد عبدالله العمر
مراجعة الاستاذة سميرة عبداللطيف السعد



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم
أ. سميرة عبداللطيف السعد

يعجز القلم عن الإضافة إلى ما سطرته د. تمبل في مذكراتها عن التوحد ثم الملاحظات الواقعية الدقيقة والطريقة التي سجلها د. فؤاد رغم أنه متخصص في إدارة الأعمال والأسواق المالية والبنوك ، ولكن إحساسه المرهف بإبنته فاطمة وتفسيره وربطه للعديد من تصرفاتها بما تقول تمبل ، له الكثير من التقدير العلمي بمساهمته بترجمة هذا الكتاب المفيد ورسمه لدور الأب في المساهمة وتعاون كامل أفراد الأسرة بتفهم حالة الفرد الذي يعاني من التوحد فيها وعدم ترك ذلك كله على الأم ، ومما يسبب من ضغط نفسي هائل قد ينعكس على أداء دوها لبقية أفراد الأسرة .

ولعل هناك غيظ من فيض من الملاحظات المفيدة للمعلمة وللأم ولكل من يعمل مع الطفل التوحدي ، من خلال محاولة قراءة ما بين السطور للحوادث المذكورة . ففي كل فقرة فائدة يمكن للمعلمة التي تسعى لتقديم برنامج أفضل للطفل التوحدي ، أن تجدها وبالتالي تستطيع أن تفهم ما وراء كل تصرف أو أغلبيه .
فمثلا حين تروى تمبل رغبتها بإلقاء القبعة (في الفصل الأول) من نافذة السيارة بأي شكل من الأشكال ، حتى كادت أن تتسبب بحادث فظيع للأسرة ، ثم استمتاعها بالتدافع والاضطراب الذي حدث في تلك اللحظة . فإن محاولة فهم هذه التصرفات والدوافع التي من وراءه ، هي أفضل من الغضب من الطفل والحنق عليه .

كما أن ذكرها لرحلة العبارة البحرية والتي تمثل قمة الإثارة والمتعة بالنسبة لأهلها ، بينما تمثل كابوسا لها ، عندما وصفت مشاعرهما بإنها تشعر أن الأصوات تتغلغل في أذنها وروحها ، وأنها عندما تسمع بوق الضباب في السفينة ، فإنها تحس بألم في رأسها لا يوصف ، حتى تصف ذلك بقولها « لدرجة إنني حتى مع وضع يدي على أذني ، فإنني أحس وكأن صوت البوق يهاجمني وهذا يوصلني الى مرحلة أن القى بنفسه على ظهر السفينة وأبدأ بالصراخ المتواصل » . كما يحدث لها سلوك مشابه في حفلات عيد الميلاد والتي تشبها بأنها بمثابة نوع من التعذيب بالنسبة

لها ولعلها لا تبالغ عندما تقول « وأن القلق الناتج عن إرتفاع الأصوات بصورة مفاجئة ، كان يسبب لي الروعة والخوف ، وبالتالي كان رد فعلي المباشر عند حدوث هذا الأمر هو ضرب أي طفل بجانبني أو قذف أي شىء ثقيل مثل طفاية السجاير لتصيب أى شىء في الغرفة » .

وردود الأفعال الحادة هذه لبعض المؤثرات ، تستدعى من الاسرة والمدرسة ، تفهمها ومحاولة التقليل من هذه المؤثرات مع السعى نحو التحوير في البيئة الإجتماعية بالطفل التوحدي . فبدلاً من حرمانه من الذهاب لحفلات أعياد الميلاد ، فقد يكون من الأفضل أن تحرص العائلة على إعداد حفل بسيط تعد فقراته مسبقاً ويكون الحضور قليلاً ، حتى يمكن السيطرة على الطفل التوحدي مع زيادة مؤثرات البيئة الخارجية تدريجياً لتعويده على ما هو موجود في المجتمع خطوة بخطوة ، حسب تقبله لها .

كما توضح هذه القصة أن الطفل التوحدي قد يتضايق من أشياء قد تبدو عادية بل محببة لمعظم الاطفال العاديين وهي ليست كذلك بالنسبة له . ومثال على ذلك من حياة تمبل ، ضمة عمتها لها ، باب السوبر ماركت ، عصا المعلمة ، والصوت العالي . وكل أسرة لديها طفل توحدي ، قد مرت بتجارب تعرفت من خلالها على العديد من الأمثلة الأخرى .

ورغم مستوى تمبل العالي في الفهم والذكاء والابداع ، فإن التغيير في الأشياء المحيطة بها ، يمثل ضغط نفسي كبير عليها ويؤثر عليها . ولذلك فمحافظتنا على الثبات قدر الإستطاعة في الأشياء الأساسية على الأقل للطفل التوحدي ، تساعده على تقديم أقصى ما يمكن من قدرات .

ويحتاج الطفل التوحدي للتشجيع الدائم سواء كان مستواه عالياً أم متوسطاً وسواء كانت لديه إعاقة أخرى أو لم يكن لديه . وقد يغفل المعلم أحياناً أثناء البرنامج اليومي ، هذه النقطة ويتعامل مع الطفل ككمبيوتر ، وخاصة إذا لم يكن لديه لغة مفهومة أو منطوقة . وأظن أن ما عبرت عنه تمبل يمثل ما بداخل كل طفل توحدي لا ينطق ، عندما قالت — في خضم عملها على آلة الضغط — أنه « اثر علي قول رئيس العمال إنك عاملة ماهرة ويعتمد عليك . ولقد تركت المكان وأنا أشعر بالثقة في قدراتي كعاملة على آلة ضغط الماشية ، كما صرت مسرورة بأني إستطعت أن أتكيف مع زملائي العاملين » . ويحتاج الطفل التوحدي خاصة في بداية حياته ، نوعية خاصة من المعلمات ، تتصف بقدر كبير من المسئولية ، يمكنها أن تتحمل هذا الطفل

وسلوكياته وتحاول دائما العمل على إسعاده والعبور به إلى بر الامان . كما تقول تمبل « عندما خرجت من مكتب السيد كارلوك - معلمها في المدرسة - غمرني الإطمئنان حول قسمتي في هذه الحياة . وبسبب هذا الأستاذ وغيرهم من الأساتذة المخلصين وإيمان والدتي بي ، فقد بدأت في التحصيل العلمي الجاد » . ولن يعدم مجتمعنا المسلم من نوعية مخرجة جادة مماثلة لها ، إن لم تكن ، تفوقها في الإيمان والإخلاص ، كما رأيت في مركز الأصدقاء بجدة ومركز التوحد في الكويت والحمد لله .

وأخيرا وليس اخرا ، من أهم النقاط المستخلصة من محاولة القراءة بين السطور ، هو موقف ستمر به أسرة كل طفل توحدي ، وهو مرحلة البلوغ . حيث أثبتت الدراسات أن كل شخص توحدي سوف يمر بهذه المرحلة الحساسة ، والتي قد تؤثر عليه إيجابا أو سلبا وقد يتغلب عليه بعد فترة . وقد عبرت تمبل عن هذه المرحلة بقولها « عندما أصبح عمري ما يقارب الستة عشر عاما كنت بحاجة ماسة إلى أي عون ينقذني من الهجمات العصبية التي كنت أتعرض لها ويبدو أن الظواهر الفسيولوجية عندي بدأت تتزايد وكأني أتمسك بحبل مدهون بالشحم معلق فوق هاوية » . والإستعداد لهذه المرحلة سواء من الأسرة نفسيا أو بإعداد الطفل نفسه سواء بالحديث معه عنها أو زيادة جرعات الرياضة بالنسبة له ، مع الدعاء له أو لها بأن تمر هذه المرحلة عليه بالهدوء والسكينة ، إن شاء الله لهو خير ما تسعى إليه كل أسرة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

سميرة عبداللطيف السعد *

* ماجستير تربية خاصة (تخصص مرض التوحد)
* ساهمت في تأسيس (مركز الأصدقاء) لتعليم وتأهيل الطفل التوحدي بجده / المملكة العربية السعودية بالتعاون مع الجمعية الفيصلية النسائية الخيرية .
* ساهمت في تأسيس مركز الكويت للتوحد بالتعاون مع الامانة العامة للوقف في الكويت .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم
د. فؤاد عبدالله العمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين ..
لقد بدأت فكرة ترجمة هذا الكتاب بتحدٍ ... وإستمرت ترجمته بإستمتاع ...
وإنتهت بحيرة .

فقد أرشدتني زوجتي إلى هذا الكتاب وأسهمت في مدحه وبيان فائدته ، ولكني
قلت لنفسي مالي ولقراءة هذا الكتاب وخاصة إن إهتماماتي العلمية والعملية ليست
مرتبطة بموضوعه . ولكني بعد قراءة مقدمة الدكتور رملاند شعرت بتحدٍ كبير
لترجمته ، يستنفر طاقاتي ويبعث الهمة في نفسي .

ومما ساعدني على ترجمته ، شعوري بالإستمتاع في قراءته ، حتى إنني ترجمته
في البر والجو ، وفي السيارة والقطار والطائرة وفي الحل والترحال وفي أي وقت كثير أم
قليل ، تسنى لي . وما شدني إليه ، أن من يتتبع قصة الفتاة تمبل ، محور كتابنا هذا ،
يجد أنها تتكلم عن الواقع الحقيقي للطفل التوحدي وإن اختلف مستوى التوحد .
فالعديد مما ذكرته من السلوكيات الغريبة والمشاعر المكبوتة ، لا يعرفها إلا من مر
بها ، اللهم إلا إذا كان أخصائي ... عارفاً ومجرباً ، ولا أظن الفتاة تمبل كذلك .

ولعل مما يعضد من قصة تمبل ويعمم فائدتها ، ذكرها للكثير من الدراسات التي
تساعد على شرح بعض أنواع السلوك التوحدي . ولو قدر لهذه القصة من يقوم
بالتعليق عليها من المتخصصين في أنواع السلوك التوحدي وفهمه ، ل زاد من قيمتها
ول زاد من علو كعبها العلمي .

ومما زاد من إستمتاعي بهذه القصة ، كوالد لطفلة توحدية ، أنها ساعدتني على
فهم سلوك إبنتي في بعض المواقف ، كالحاجة إلى التقليل من أثر المثيرات الخارجية
من خلال الحركة العنيفة أو رد الفعل القوي أو الإنسحاب إلى العالم الداخلي . وهذه
كلها أمور تساعد الوالدين على فهم طبيعة طفلهم التوحدي وتجعل مثل هذه
الحركات أمراً طبيعياً وأساسياً لإراحة الطفل حتى لو كان ذلك غريباً في أعين
الناس .

وأما إنتهاء ترجمتي للكتاب بحيره ، فهي مرتبطة بحيرتي في تصديق القصة أو

إنكارها . فالتصديق ينبع من واقعية الأشياء التي ذكرتها المؤلفة ومنه سمات الأطفال التوحديين وأثر ذلك في سلوكهم وخاصة السمات التي لا يلحظها إلا من عاش معهم أو تعمق في دراستهم . وأما الشك في واقعية القصة وأن تمبل طفلة توحدية ، فهي تنبع من ذكرها لمواقف – كإخفاء الملابس الرياضية للبنات في الفصل الرابع – مما يصعب على كوالد ، أن أراه يصدر عن طفلة توحدية . ولكن مما يجعلني أميل إلى التصديق بأنها قصة حقيقية أكثر من الشك والتكذيب ، أن هذه الطفلة التوحدية كانت متسمة بالإداء العالي ؛ وهذه ليست موجودة في جميع الأطفال التوحديين . كما أن توفر الإهتمام العائلي الدافئ والمتفهم ، وبالأخص مساندة والدتها لها ، بالإضافة إلى وجود نظام تربوي – يتيح أساتذة مخلصين كالسيد كارلوك – قد ساعدهما ، كثيرا على التقدم والتطور . كما يجب أن لا ننسى أن كل صاحب عاهة جبار فيعطيه الله من العزم والإيمان ما يفوق الأقوياء من البشر ، ليحبر ، ما ظهر من نقصه وقد قيل في الأثر (أحفظ من الأعمى) ، لما يمتاز به الأعمى من حفظ تام .

وعموما لا أريد أن أفسد على القارئ متعة القصة بالإطالة ولكن أود أن أذكر أنني بذلت جهدى في ترجمتها ، وخاصة أن بعض ألفاظها كانت صعبة سواء الدارجة منها أو العلمية . كما أنني تحاشيت بعض الألفاظ والجمل التي وجدتها غير ملائمة وهي قليلة جداً . ويرجو المترجم من كل قارئ أن لا يبخل عليه بملاحظة أو تصويب أو دعاء . وقد قال صلى الله عليه وسلم « الدال على الخير كفاعله » .

د. فؤاد عبدالله العمر *

مقدمة : د. برنارد رملاند :

إن قراءة هذا الكتاب ستكون رحلة ممتعة ، وذلك لأنه لا يوجد كتاب مشابه له أو حتى قريب منه . والسبب بسيط جداً وهو أن للمؤلفة قصة تود ذكرها ، قصة حقيقية بالمناسبة لدرجة أنها مؤثرة عاطفياً بشكل غير اعتيادي ، مما يجعلها بنظر بعض القراء ضرباً من الخيال .

ولقد قابلت في المرة الأولى ، تمبل كاردين (وهو اسمها الحقيقي) ، قبيل إثني عشر سنة . إتصلت بي لتخبرني أنها قرأت كتابي « توحيد الاطفال » ، وتود زيارتي لمناقشة مواضيع معينة ، فبينت لي أنها امرأة شفيت من التوحد ، وأنها متخصصة الآن في علم النفس في أحد الكليات الأمريكية ، وأن التوحد أصبح في الوقت الحاضر ، هو الموضة وأصبح هذا المصطلح يستخدم أكثر مما يحتمل . وأن ربع الأشخاص الذين يقولون لي ، أنهم شفوا من التوحد ، يبدو لي أنهم على صواب . وأما في حالة تمبل ، فقد بدا لي من صوتها ومن طريققتها المباشرة في الحديث ، أنها امرأة قد شفيت من التوحد (أو في طريقها إلى الشفاء) ، ولكن رسالتها الواضحة جعلتني غير متيقن من هذه النتيجة . وذلك لأن هناك عدداً قليلاً جداً من الأشخاص التوحديين ممن يستطيعون إكمال المدارس الثانوية ، وقلّة من هؤلاء ممن يتمكنون من دخول الجامعات أو المعاهد العليا .

والقلة التي تتمكن من دخول الجامعات ، يتخصصون عادة في الرياضيات أو الكمبيوتر ولكن ليس في علم النفس . ومما زاد من عجبني أن تمبل الآن ، تتصل بي وتود زيارة مدينة أخرى للقائي ، وتعتمد في ذلك كله على نفسها مباشرة . ولعل هذه القابلية وهذه الثقة ، نادرة بين الأشخاص التوحديين ، بينما المبادرة منهم في مثل هذه الأمور أندر .

ولكنها عندما وصلت ، فرأيتها فتاة طويلة ، بارزة العظام تستحوذ عليها أفكار معينة وكأنها تنصب من علٍ أو تمشى على حرف (نعم كأنها تنصب من علٍ ، ألا يحفز هذا على قراءة الكتاب) . وعندما رأيتها كذلك صرت مقتنعا بأن هذه الفتاة قد شخصت نفسها تشخيصاً صحيحاً . (ولعلّي عندما أردت أن أكتب هذه المقدمة ، لم أستشعر الصعوبة في ذلك . لأن هناك الكثير لا بد من قوله ، ولكن ذكره سيذهب بقصة المؤلفة ، والذي أرفض أن أفعله ، كما أنه بالمناسبة قد يضيع عليكم لذة التشويق في هذه القصة ، على أي حال ، ليس هذا مجال الحديث) .

إن قصة تمبل عن ذكريات الطفولة تسحرني ، كما أظن أنها تسحر القارئ أيضا . كما أن أداءها وعملها العملي ، هو أيضا مثير للإعجاب . إنها تتعطش للعلم ، كما يفعل أي عالم ، ولكنها في حالتها ، فإن العطش أشد ، وذلك لأنها كانت تحاول أن تفهم نفسها أيضا . كما أن تطورها العلمي وإختيارها لتخصصها ، يثير الإعجاب ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوى الإداري الذى وصلت إليه حتى منذ كانت فتاة على مقاعد الجامعة . لقد كان هذا الإجتماع معها ، مثيرا للذكريات الجميلة .

بعد حديثنا معها لفترة من الزمن في مكثبي ، قمت أنا وزوجتي بإصطحابها إلى غداء في الخارج . ولقد أثار صوتها العالي وحديثها بطريقة مختلفة ، علامات إستفهام عديدة لدى أصحاب الطاولات المجاورة لنا في المطعم ، مما جعلني أخاطر بازعاجها والطلب منها ولعدة مرات ، أن تغض من صوتها . ولقد كانت مفاجأة لي ، أنها لم تنزعج من هذا التنبيه . فهي تستشعر أن لديها جوانب ضعف وخصوصية في طريقة كلامها نتيجة لأنها فتاة توحدية ، ولذلك أخذت الأمر على أساس أنه شىء يمكن التغلب عليه ، وأنها تحديات لا بد من تجاوزها بدلا من أن تكون أسبابا للإرتباك . إن صراحتها وانفتاحها والوضوح والتوجه العقلاني لديها ، هى التى تجعل من كتابها ، موضوعا جديرا بالقراءة وذا فائدة كبيرة للقارئ . إنه لسعادة غير طبيعية ، أن يتعامل الانسان مع شخصية واضحة وغير راغبة في المكر وإتيان أساليب الدهاء .

إن الجزء من كتابي الذى جذب إنتباه تمبل ، والذى أدى بها إلى زيارتي ، كان جزءا صغيرا . وفي هذا الجزء من الكتاب ، أبدت ملاحظة حول على ما يظهر لنا أنه رد فعل غير طبيعي من الاطفال التوحيديين عندما يتم لمسهم من قبل الآخرين . وأوضحت أن هذا الأمر قد تم تجاهله في الأبحاث المتعلقة بالتوحد ، وليس لدينا معرفة كبيرة بمثل هذه الظاهرة . وهى وإن كانت ظاهرة قد لاتستحق الإشارة اليها ، ما عدا أنه أشير اليها بصورة موجزة في تاريخ الحالات التى مرت علي ، مما جعلنى أطيل التفكير ، أنه ربما هناك مغزى خاص لهذه الظاهرة ، لم يتم التعرف عليه حتى الآن . وكما حدث ، فإن تمبل نظرا لظروفها الخاصة ، أصبحت مهتمة كثيرا بهذه الظاهرة وأحبت أن تعرف إذا إستطعت أن أعلم أكثر عنها ، بعد طباعة كتابي . ولكن للأسف ، فقد تعلمت جزءا قليلا عن هذا الموضوع وهو أقل مما كان بوى أن أتعلمه . وقد شاركت تمبل بأفكارى وآرائي المبدئية في هذا الموضوع . وكما سترون ، فقد قامت بتحليل هذه الأفكار والآراء بصورة أكثر شمولاً وعمقا .

وحسب معلوماتي ، فإن هذا أول كتاب يؤلف من قبل شخص شفى من التوحد ، ولذلك فهو كتاب مثير للاهتمام وسيشارك القارئ المؤلف في رحلتها وتطورها من طفلة شديدة الإعاقة ومرشحة للبقاء في مركز التأهيل بصورة دائمة ، إلى شخص عاقل منتج وجاد ومرجع علمي في حقل التوحد . إن قدرة تمبل على إيصال أفكارها ومشاعرها الداخلية ومخاوفها إلى القارئ ، مع القدرة على تحليل العملية العقلية التي مرت فيها ، ستعطي القارئ فكرة واضحة وعميقة عن مرض التوحد والذي إستطاع قلة من الناس الوصول إلى سبر أغواره .

وعندما إستطعت ألتحدث مع تمبل منذ فترة بسيطة ، وبعد مرور عدة سنوات على لقائنا الاول ، فقد تأثرت بالتغير الإيجابي الذي حدث بعد اليوم الذي قابلتها فيه . فقد استمرت في النمو والتقدم ، وحققت الكثير ليس فقط في مجال الوظيفة ، بل في مجال الهوية التي كان من نتائجها هذا الكتاب . كما أنها حققت الكثير كإنسان ولعل روحها المكافحة التي لا تقهر ، والتي تبرز من ثنايا الكتاب ، تجعل الواحد منا ، فخورا بكونه بشرا .

د. برنارد رمالاند
معهد أبحاث سلوك الطفل
سان ديغو ، كاليفورنيا

تمهيد

لقد وضعت الاعلان جانبا وسكبت لنفسي كأسا من الشاي . غدا سيكون هناك اجتماع الشمل أو لقاء الصف لمدرسة الجبل الريفي في فيرمونت . وتداعت إلى ذهني العديد من الذكريات المتدافقة .

الذكريات الجميلة عن مدرسة الجبل الريفي ومؤسس المدرسة ، السيد بيتر . ترى هل كانت دعوتى للحضور قد حصلت بطريق الخطأ ؟ هل نسى بعضهم « الطفلة الغربية » و « النظرة ذات الهواجس » و « الطفلة الشاذة التى تضرب الاطفال الاخرين على رؤؤوسهم » ؟

كيف استطاعوا أن ينسوا ؟ لقد كانت طفلة شاذة . حتى أنني لم أستطع الكلام ، حتى بلغت ثلاث سنوات ونصف . وحتى تلك السن ، كان الصراخ والنظرات المختلطة والطنين المستمر ، هي وسائل في الاتصال بمن حولي . وكما هو معروف ، فأنا كنت مصنفة كطفلة توحدية . لقد كان كانر هو الذى طور مفهوم التوحد في عام ١٩٤٣ ، وذلك لوصف مجموعة من الظواهر السلوكية . وبعد ذلك بسنوات ، تم تقييمي كطفلة توحدية .

وخلال السنوات التى عشتها والتى قرأت بما فيه الكفاية ، ليجعلني أعتقد أنه لازال هناك عددٌ من الآباء ، بل والمتخصصين من يظنون أنه « إذا كان الطفل توحديا ، فإنه سيستمر كذلك » . وهذا القول الفصل ، يعنى حياة تعيسة وكئيبة بالنسبة للعديد من الاطفال ممن تم تشخيصهم كأطفال توحديين ، كما هى الحال بالنسبة لي . وهي بالنسبة لهؤلاء الأشخاص ، أي الوالدين والمتخصصين ، مسألة مبهمة ، أن يتم التحكم في خصائص التوحد ، بل وتغييرها . ولكن مع ذلك ، فإنني أعتقد أنني شاهدت على عكس ذلك . وهذه حقيقة وخاصة بالنسبة للاطفال التوحديين الذين لديهم قدرة لغوية ملموسة قبيل سن الخامسة .

وفي هذا اليوم ، وأنا في الثلاثينات ، فإنني مصممة ناجحة لآلات رعاية الماشية وقد أكون من القلة المتخصصة في هذا المجال في العالم . وقد استدعيت من قبل العديد من المؤسسات في أنحاء العالم ، لتقديم النصح والإرشاد لهم ولتصميم بعض المعدات الخاصة بعملياتهم . كما أن لي مساهمات عديدة في المجالات العلمية ، وألقيت العديد من المحاضرات في المؤتمرات المتخصصة . كما أنني في الوقت الحاضر ، أعد رسالة الدكتوراة في علم الحيوان . وبالتالي فإن حياتي طبيعية ، وأعتمد على نفسي في كل

شيء وليس لدى أيه مشاكل مالية .

ولعل السؤال الذى يطرح نفسه ، كيف يمكن لطفلة تم إعلام والديها ، بأنها ستبقي حياتها في معهد خاص ، يمكنها أن تربك الخبراء في تفسير تطورها ؟ كيف يمكن لطفلة تم تصنيفها كطفلة توحدية ، أن تعيش وتتجح في العالم الخارجى ؟ ومع أنه لازلت لدى مشاكل في بناء علاقاتي مع الناس حولي ، إلا أنني لازلت صامدة وأستطيع أن أتأقلم مع العالم حولي .

لنحاول في البداية أن نعرف ما هو التوحد ؟

إن التوحد هو اضطراب في النمو، وخلل في النظم التي تستقبل الاشارات والمعلومات القادمة ، مما يجعل الطفل يتفاعل بصورة كبيرة مع بعض المؤثرات ، ويتفاعل بصورة قليلة مع المؤثرات الاخرى . إن الطفل التوحدي يحاول أن ينسحب من المجتمع الذى يحيط فيه ومن الناس ، ليعيق انقضاخ بعض المثيرات الخارجية القادمة . إن التوحد هو شذوذ طفولي ، يجعل الطفل منعزلا وغير قادر على تكوين العلاقات الانسانية . فالطفلة التوحدية لا تحاول أن تستكشف العالم من حولها ، بل تبقى في محيط عالمها الداخلى . وكما ستلاحظون في الفصول القادمة عندما أصف ذكرياتي ، كيف كنت أتفاعل بصورة كبيرة مع الروائح والحركات ودوران الاشياء والأصوات ، كما هو الحال مع العديد من الأطفال التوحديين . كما أواظب على بعض الحركات البسيطة بصورة غير معقولة ومستمرة (وهو سلوك معين يجعل الشخص غير قادر على وقف النشاط ، عندما يبدأ ، مع أنه يود غير ذلك) ، مما يجعل من حولي من الناس ، في ذهول من تصرفاتي .

ما هو الشيء الذى يسبب التوحد ؟ هنا يكمن السر أو الغموض ؟ هل هو مرض عصبي ، أم نفسى أم ناتج عن جروح أو مشاكل في الرحم أثناء الولادة ، أو بسبب رفض الأم للبتن أو بسبب خلل في الجينات أو بسبب النقص في بعض المعادن اللازمة للجسم في الطعام ؟ إن هناك اختلافاً كبيراً في آراء المتخصصين في هذا المجال ، وإن كانت أكثر الابحاث تؤكد أن أجزاءاً من الجهاز العصبي المركزي ، قد لا تتطور بالصورة المطلوبة . ولأسباب غير معروفة حتى الآن ، فهناك ملايين من الخلايا العصبية التي تنمو في الدماغ ، تقوم بعمل توصيلات خاطئة . إن الدراسات على مخ الاشخاص المتوفين والذين يعانون من اضطراب في القراءة ، وهى خصلة قد يكون لها علاقة بالتوحد ، توضح أنه قد تكون الخلايا العصبية قد نمت في الاتجاه الختأ . والابحاث التي أجريت على التوحديين بواسطة

الأجهزة المتقدمة مثل PET و CAT ، توضح أن بعض الاطفال التوحديين قد تكون عندهم مشاكل في التطور العصبي ، وبعض الاجزاء من المخ قد تكون نشطة أكثر من اللازم . ولكن الحقيقة الواضحة تبقى ، أنه مهما كان نوع التوحد أو أسبابه ، فإن الأعراض متشابهة .

وهذه الاعراض تظهر إلى السطح في الاشهر الاولي من الحياة ، فالطفلة التوحدية الصغيرة تجدها ، لا تستجيب للأمر مثل الاطفال الآخرين . فهي ليست صماء لأنها تستجيب للأصوات ، كما أن رد فعلها اتجاه المؤثرات الأخرى ، غير متناسق . فرائحة الورد التي قطفت من الحديقة ، يمكن أن تؤدي بالطفلة التوحدية إلى نوبة غضب أو تجعلها تنسحب إلى عالمها الداخلي . ومن الأعراض الأخرى للتوحد عدم الرغبة في أن يلمسها أحد ، وعدم الحديث في أمور ذات معنى ، والسلوك المتكرر ، ونوبات الغضب المفاجئة والمؤقتة ، والحساسية تجاه الأصوات العالية أو الأحداث غير المعتادة ، وفقدان الاتصال العاطفي مع الناس .

إذاً ، ما هو العلاج لهذا الأمر ؟ هناك العديد من الخيارات مثل : الإثارة الحسية ، التقويم السلوكي ، التعليم ، استخدام الادوية ، استخدام نظام غذائي معين ، إضافة مواد معدنية إلى النظام الغذائي . كل هذه الامور قد جربت وكل واحد منها ، كتب له بعض النجاح . وبعض الاطفال التوحديين يبدو أنهم يستجيبون لأسلوب معين ، بينما الآخرون يستجيبون لأسلوب آخر . وبعض الأطفال التوحديين يتطلب إبقاءه في معاهد متخصصة مدى الحياة ، نظرا لقلّة إدراكه بالعالم الذي حوله ، وبسبب سلوكه المتسم بالعنف .

أما قصتي أنا فهي مختلفة ، وبالتالي فإنني قد أقدم بصيص أمل للآباء والمتخصصين الذين يتعاملون مع الاطفال التوحديين ، لأنني أنا كنت مصنفة طفلة توحدية . وقد ينظر بعض المتخصصين إلى مذكرات والدتي في قصتي التي سأورد لها ، فيقول إن هناك مشاعر كثيرة لدي كانت طبيعية ، وبالتالي فقد يكون تشخيصي غير صحيح . وأحب أن أوضح أن ماريون سيجمن وبيتر ماندي من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس ، قد وجدوا أن الأطفال التوحديين لديهم قدر من السلوك ، للارتباط بالناس أكثر من غيرهم من الناس العاديين . وعند مقارنة الأطفال التوحديين بنظرائهم من الأطفال العاديين أو الأطفال المعاقين ، نجدهم مطيعين لمهاتهم أكثر من الفئتين الأخرين . ولذلك فالقول أن الطفل التوحدي ليست له علاقة مع الناس ، هو تصور غير مقبول . ويعضد ذلك قول لورا ونج من معهد دراسات الطب النفسي

في لندن ، إن الطفل التوحدي قد يستجيب بصورة اجتماعية في موقف معين ولكنه لا يستجيب لآخر . فالأطفال التوحيديون يختلفون في مهاراتهم ، وذكائهم وما يحبون وما يكرهون ، وفي اللياقة الاجتماعية ، كما هو الحال في الأطفال العاديين . . ففي عام ١٩٥٠ ، تم تصنيفي طفلة توحديّة وأخذت طريقي نحو الجانب الأقصى المظلم من الحياة .

وبينما كنت أخط هذا الكتاب (أي المؤلفة) ، فقد قمت بإرسال نسخ إلى العديد من المتخصصين في تطور الطفل والتوحد . ولقد كانت ردود فعلهم ، مثيرة للاهتمام . فبعضهم قال لي في كلمات بسيطة « ولكن لماذا أنت الآن لا تعالجين نفسك . . . ؟ لأن هذا الأمر قد يؤدي إلى مساعدتك » . إن المشكلة أن علاج التوحد ، وإن كان معروفاً قبل ثلاثين سنة ، فهو لعدد محدود من المتخصصين . ولا بد أن نتذكر هنا أن لفظه التوحد تم إطلاقها عندما كنت طفلة صغيرة . وبإختصار فإن العديد من المعلومات المتاحة حالياً عن التوحد ، لم تكن معروفة في السابق للجمهور وبدرجة أقل من ذلك بالنسبة للخبراء ، منذ ثلاثين سنة .

أما اليوم ، فإن ذكريات الطفولة تبرز أمامي وكأنها نسيج غني بالصور والرسوم ، ولا زلت أستطيع أن أصور بعض أجزاء هذا النسيج بصورة ممتازة وواضحة . ولكن الأجزاء الأخرى منه قد تكون باهتة . إن الحوادث التي أتذكرها تجسد قصة مثيرة ، حول كيفية تصور الأطفال التوحيديين ما يجري حولهم وكيف يستجيبون بصورة غير اعتيادية ، للمثيرات الناشئة عن العالم الغريب المحيط بهم ، والذين يحاولون بصورة يائسة تنظيمها .

الفصل الأول

ذكريات الطفولة

انني لازلت أتذكر اليوم الذي كدت فيه أن أقتل فيه والدتي وأختي الصغيرة جين. لقد كانت أمي خلف مقود السيارة ، وتحاول الوصول إلى المقعد الخلفي ، وهي تقول لي « هذه هي قبعتك يا تمبل ، لا بد إنك تريد أن تكوني بمظهر لائق ، عندما تقابلين إخصائية الكلام » ، ثم قامت بجذب قبعتي الزرقاء ذات الخطوط القطنية على رأسي حتى غطت أذني ثم التفتت إلى الامام وبدأت في تحريك السيارة .

وقد شعرت في ذلك الوقت ، أن أذني قد تم سحقها ، وأصبحت أذن ضخمة واحدة . كما أن شريط القبعة قد ضغط وبصورة حادة على رأسي . ولذلك فقد ألقيت القبعة بعيدا ، وبدأت بالصراخ - وقد كان الصراخ هو الوسيلة الوحيدة في ذلك الوقت - لإفهام والدتي أنني لا أود لبس هذه القبعة . ولقد كان لبس القبعة مؤلما ، كما أنها غطت شعري بالكامل ولذلك فإني كرهتها ، ولا أود أن ألبسها في لقائي مع إخصائية الكلام .

وعند توقف أمي عند إشارة المرور ، التفتت إلي ونظرت إلي بحدة وقالت « ضعي هذه القبعة على رأسك » وبعد هذا الأمر والقول الفصل ، تحركت والدتي بسيارتها نحو الطرق السريعة .

حينها بدأت أعبت بأصابعي في هذه القبعة الكريهة ، ساعية نحو إزالة الخطوط القطنية التي تتكون منها . ومع طنيني وصوتي المنخفض ، استطعت أن أزيل هذه الخطوط اللعينة من هذه القبعة وأصبحت في أحضاني عبارة عن كومة زرقاء قبيحة ، وبالتالي قررت أن اتخلص منها من خلال بالقائها من النافذة . ولم تلاحظ أمي ذلك حتى الآن ، لأنها كانت مشغولة بقيادة السيارة . وفي هذا الوقت زادت الرغبة عندي في القاء القبعة لأنها أصبحت في حضني كالوحش . وبدون شعور ، اتكثت إلى الامام فجأة وقذفتها من نافذة والدتي .

حينئذ بدأت أمي بالصراخ ، فقممت بسد أذني لتلافي هذا الإزعاج والصراخ ، وقد حاولت أمي الإمساك بالقبعة مما جعل السيارة تنتقل فجأة إلى حارة أخرى في الطريق السريع . فاتكأت على كرسي السيارة ، وبدأت استمتع بالتدافع والاضطراب الذي حدث بينما كانت اختي جين تبكي في المقعد الخلفي من الهلع والخوف . وحتى

هذا اليوم ، لازلت أتذكر الشجيرات المزروعة على جانب الطريق السريع ، فقمتم بإغلاق عيني وأستشعر أثر الشمس الدافئ الذى يتسلل من خلال النافذة وأشم رائحة الوقود ، بينما كانت الشاحنة الحمراء القادمة في الاتجاه المقابل تقترب أكثر فأكثر منا .

ولقد حاولت أُمي أن تعدل من اتجاه السيارة ولكنها كانت حركة متأخرة . فقد سمعت صوت اصطدام المعدن وشعرت بالصدمة المؤلمة ، بينما كانت سيارتنا تحتك بجانب الشاحنة الحمراء ، وفجأة توقفتنا . وقد صرخت في ذلك الوقت « تلج - تلج - تلج . . . » ، بينما كان زجاج نافذة السيارة يتناثر قطعاً صغيرة هنا وهناك . ولم أكن خائفة من هذا الحادث المروري بالمرّة بل كنت أستشعر لذة في ذلك .

لقد تحطم جانب من سيارتنا ، وقد كانت معجزه أنني لم أتسبب في مقتل جميع أفراد أسرتي . وكما كانت معجزة أن أخرج كلمة « تلج » ، بصورة واضحة وبليغة . وكطفلة توحديّة ، فإن الصعوبة في الحديث ، كانت من أعظم مشاكلي . ومع أنني أفهم كل شيء يتحدث الناس عنه حولي ، إلا أن ردود فعلي كانت محدودة اتجاههم أو ما يقولون . . . ولقد كنت أحاول - ولكن معظم الوقت لا أستطيع إخراج الكلمات المنطوقة والمفهومة . ويكاد يكون حديثي أشبه بالتأتأة ، فالكلمات لا تخرج من الفم مع معرفة الشخص لهذه الكلمات . ومع ذلك فهناك أوقات ، أقوم بلفظ كلمة تلج بصورة واضحة . وهذا عادة يحدث في الفترات العصبية مثل حادث السيارة ، أو عندما تتغلب الظروف العصبية على العوائق التي تمنعني عادة من الكلام . ولعل هذه واحدة من الأشياء الغامضة والمربكة والمثيرة للقلق بخصوص الاطفال التوحديين ، والتي تجعل البالغين والكبار يصابون بالذهول . فالناس حولي دائماً يتساءلون كيف يمكنني الحديث في فترة مغينة ، دون أستطيع ذلك في فترة أخرى . وبالتالي فقد يرجعون السبب إلي أنني لا أحاول بما فيه الكفاية أو أنني اتدلل على والدي ، ولذلك لابدأن يكونوا أكثر حزماً معي .

وربما ، بسبب عدم قدرتي على التواصل والحديث بصورة مناسبة ولانعزالي ضمن ذاتي ، فإن مشاهد الطفولة بالنسبة لي واضحة ومفعمة بالحياة ، فالذكريات تبرز أمامي من ذاكرتي وكأنها شاشة سينما ضخمة .

وقد كانت أُمي تتذكر ، أنها عندما ولدتني وكان عمرها تسع عشرة سنة ، كنت طفلة طبيعياً ، وصحتي كانت ممتازة مع عيون زرقاء كبيرة وشعر كثيف بني مع غمازة في ذقني . وقد كنت ، كما تقول طفلة ممتازة ، إسمها تمبل .

لو كنت أستطيع أن أتذكر الأيام الأولى أو الأسابيع الأولى من حياتي ، لكنني عرفت أنني في طريقي وفي انحدار شديد نحو هاوية من الوحدة والعزلة ؟ فاتصالي منقطع عن الآخرين لأنني أنفعل أكثر من اللازم أو أتفاعل بصورة غير ملائمة من حواسي الخمسة ؟ هل سيكون بإمكانني تحسس العزلة التي سأمر بها ، بسبب تلف في الدماغ لطفل لم يولد بعد . هذا التلف الذي سيكون واضحا في الحياة ، عندما ينضج هذا الجزء من الدماغ .

لقد كان عمري ستة شهور ، عندما لاحظت أنني غير راغبة في أن تحتضنني أو تعانقني ، كما كنت أتصلب عندما تحاول أن ترفعني أو تحملني . وعندما كان عمري شهور معدودة ، حاولت أمي أن تحتضنني وتلف علي ذراعيها ، فخدشتها وكأني حيوان محصور أو طائر اصطيد في فخ . وقالت لي أمي بعد ذلك ، إنها لم تستطيع فهم سلوكي وتأملت لمشاعري غير الودية اتجاهها . ولقد كانت ترى الأطفال الآخرين ، يلعبون في أحضان أمهاتهم ويعانقونهم ، وكانت تتسأل في نفسها عن الشيء الخطأ الذي عملته . ولقد كانت تظن أن ذلك بسبب أنها صغيرة ، وليست لها تجارب في تربية الأطفال . وكان شيئا مخيفا بالنسبة لها أن يكون أحد أطفالها توحديا ، وذلك لأنها لاتعرف كيف تتفاعل نحو طفل يرفضها أماله . وعموما فقد يكون رفض الطفل امرا طبيعيا ، ولذلك فقد ألفت مخاوفها وخشيتها جانبا . وعزز من هذا الأمر ، أن صحتي جيدة وكنت ذكية وقادرة على التنسيق . وبما أنني كنت الطفلة الأولى ، كانت أمي تعتقد أن انعزالي ربما كان أمر طبيعيا بسبب أنني بدأت أنضج أكثر وأعتمد على نفسي أكثر .

إن حبي للعزلة وكرهي أن يلمسني أحد لهن المظاهر المعتادة للطفل التوحدي ، وقد تأتي بعد ذلك أعراض أخرى مثل : تركيزي على الأشياء التي تدور ، وحبي لأن أكون بمفردي ، ووجود سلوك تخريبي ، وحدوث نوبات غضب مفاجئة ومؤقته ، وعدم القدرة على الكلام ، والحساسية اتجاه الأصوات المفاجئة ، والظهور بمظهر الأصم واهتمامي الكبير بالتنظيم والنظام . نعم ، لقد كنت فتاة ذات سلوك تخريبي . لقد كنت أرسم على كل الجدران - ليس مرة أو مرتين - بل في أي وقت أستطيع الحصول فيه على قلم أو ألوان شمعية . وكذلك كنت أتذكر بوضوح تبولي ، فوق السجادة . وإنني في المرات اللاحقة (خوفا من العقاب) بدلا من التبول على السجادة ، وضعت الستارة بين أرجلي وقمت بالتبول عليها . لقد كنت أعتقد أنها ستنتشف بسرعة ولن تلاحظ والدتي هذا . وبينما كان الاطفال العاديون يستخدمون الطين

لعمل الأشكال التي يحبونها ، كنت أستخدم الغائط (البراز) ، لعمل أشكال أنشرها في كل الغرفة . لقد كنت امضع ورق ألغاز الكلمات وأقوم ببصقه على شباك اللوحة على الأرض . لقد كنت أتميز بسلوك عدواني وعندما يعترض أحدهم ، كنت القى أي شىء ثقيل تقع عليه يدي ، مثل زهرية قيمة أو برواز تذكاري . أصرخ بصورة مستمرة ، ويكن رد فعلي عنيفاً اتجاه أي أزعاج وأبدو صماء في بعض المناسبات .

وفي السنة الثالثة ، أخذتني أمي الى طبيب متخصص في الجهاز العصبي لاجراء الفحص اللازم علي ، ولم أكن مثل البنت التي تجلس بجانبني أو تلك التي في الغرفة الاخرى . لقد كنت الطفلة الأولى في عائلة تتكون من أربعة اطفال ، ومع ذلك لم يكن أحد منهم يتصرف مثلي .

لقد كانت نتيجة اختيار فحص الدماغ والسمع طبيعية . وحققّت +٩ على مقياس رملاند (Rimland) الذي يحقق فيه عادة الطفل التوحدي العادي نتيجة +٢٠ (تشخص كانر) . إن ١٠٪ من الاطفال الذين يوصفون بانهم توحديون يندرجون تحت تشخيص كانر ، والسبب في ذلك هو وجود اختلافات عضوية وحيوية بين تشخيص كانر وغيره من التشخيصات الأخرى . ومع أن أعراض السلوكية كانت هي بالتأكيد أعراض التوحد ، إلا أن معرفتي بالأصوات في سن الثالثة والنصف ، قد خفض من نتيجتي على مقياس رملاند . ولكن القلق الزائد بالنسبة لكل من الوالدين والطفل واضح جدا ، لأي مستوى من مستويات التوحد . وبعد الكشف الطبي ، بين الدكتور أنه لا توجد اعاقه طبيعية ، واقترح مراجعة أخصائي محادثة لعلاج مشكلة الكلام والاتصال مع الناس .

وحتى هذا الوقت كان الاتصال مع الناس بالنسبة لي عبارة عن شارع ذى اتجاه واحد . لقد كنت أستطيع أن أفهم ما يقولون ، ولكنني لا أستطيع أن أرد . وكان الصراخ وتحريك اليد هي طريقتي الوحيدة للتعبير عن نفسي وما يعتمل فيها من مشاعر . وقد كنت أحمل في نفسي ذكريات جميلة عن السيدة ريولدز ، أخصائية المحادثة ، ما عدا استخدامها لعصا في الاشارة أثناء عملها . وكانت العصا حادة وذات شكل كرية . ولقد تعلمت في المنزل بأن لا أوجه آلة حادة إلى أي شخص ، وذلك لأنها يمكن أن تصيب عينه . والآن عندما تقوم السيدة ريولدز بتوجيه هذه العصا إلي ، فإنني أنكمش في مقعدي من الخوف . ولا أعتقد أنها استطاعت أن تفهم أسباب خوفي من هذه العصا ، ولم أكن قادرة على توضيح أسباب خوفي لها . وفيما عدا هذه السلبية الوحيدة ، فإن السيدة ريولدز كانت ذات فائدة عظيمة بالنسبة لي .

فبواسطتها فقط ، استطعت ولأول مرة أن أurd على التليفون . وقد أدى قلقي ومعاناتي من صوت التليفون ، إلى كسر الحاجز النفسي والتغلب على عملية التأناة . فقد جريت نحو التليفون عندما دق عدة مرات وحملت الساعة وقلت « ألو » . إن أول مكالمة لسكندر جراهام بل ، لا يمكن أن يكون لها رد صاعق ومثير مثل مكالمتي .

ولقد كانت أمي تقول لي إنه في البداية ، كانت عندي كلمات محدودة ، وكنت دائما أضغط على الكلمات أثناء نطقها . وكما كنت دائما استخدم الكلمات الواحدة فقط مثل « تلج ، اذهب ، لا » . والظاهر أن محاولاتي كانت جميلة في نظر والدتي ، وخاصة عند مقارنتها مع الطنين والصراخ الذي كنت أحدثه في السابق .

ولم يكن قلق والدتي الوحيدة هو عدم القدرة على الكلام ، بل يمتد ليشمل قلقها من أن كلامي ليس فيه صرف ولا تناغم ، . وهذا جعلني اتطبع يجعلني متميز عن الآخرين . فإضافة إلى مشاكلي في الحديث وعدم قدرتي اللغوية ، ما كنت أستطيع النظر في عيون الناس . ولا زلت أتذكر وأنا طفلة ، أن والدتي تكرر القول مرة تلو الأخرى « يا تمبل ، هل أنتي تنصتين إلي ؟ انظري إلي ؟ » . وفي بعض الأوقات كان بودي أن أنظر إليها ، ولكني لا أستطيع . إن النظرات السريعة والحادة ، وهي أحد خصائص الاطفال التوحديين ، كانت أحد مظاهر السلوك التوحدي لدى . إضافة إلى ذلك كانت هناك أعراض أخرى واضحة ، مثل عدم رغبتني في اللعب أو الاتصال مع الأطفال الآخرين . كما أنه يمكنني الجلوس على الشاطيء لساعات طويلة بدون ملل ، أتمرر أصابعي بين الرمال وأبني قصورا وجبالا منها . وقد كانت كل حبة من رمل ، تثير اهتمامي وكأنني عالم ينظر من خلال ميكروسكوبه إليها . وفي بعض الأحيان كنت أتابع كل خط في أصابعي ، وكأن كل واحد منهما طريق في إحدى الخرائط .

أما الدوران ، فهو أحد هواياتي المحببة . فأحيانا أجلس على الأرض وأدور على نفسي وأشعر وكأن الغرفة تدور معي ، مما يعطيني شعورا باللذة الذاتية ، لأنني أحس بالسلطة والقدرة على التحكم في الأشياء التي حولي . وخاصة أنني أستطيع أن أجعل الغرفة كلها تدور . وفي بعض الأحيان أحس بأنني أجعل العالم يدور من حولي ، من خلال ادارة الأرجوحة حتى تصبح السلاسل في نهايتها ، ثم أجلس أنظر إلى الأرجوحة وهي تلف لتعود إلى وضعها الطبيعي . وكنت في الوقت نفسه ، لاحظ أن السماء والأرض تدوران معها . وقد لاحظت أن الأطفال غير التوحديين يحبون هذا الأمر أيضا ، والفرق بينهما أن الطفل التوحدي تنتابه الهواجس مع حركة الدوران .

إن هناك آلية في الاذن السداخلية ، هي التي تتحكم في اتزان الجسم وتدمج المداخلات للمنظورة والمجازية من خلال سلسلة من الاتصالات العصبية ، ولذلك فإن العينين تصابان بعد فترة من الدوران ، بالزغلة (زيادة في نيوستمك) -Nystamat ic وتصاب المعدة بالغثيان ، مما يجعل الطفل العادى يتوقف عن الدوران . أما الطفل التوحدي فهو عادة لديه كمية أقل من نيوستمك ، وهذا يجعل أجسادهم تتلهف للدوران كوسيلة للتصحيح ، بالنسبة لنظامهم العصبي غير النامي أو البالغ . ومهما كان السبب ، فقد كنت أشعر باللذة في الدوران حول نفسي أو بلف قطع النقود المعدنية أو بالانبطاح والدوران مرة بعد مرة . وعندما أكون منغمسة في عملية دوران الأشياء ، فإنني لا أرى ولا أسمع شيئاً من حولي ولا يمكن لأي صوت أن يقطع تركيزي المستمر على الدوران ، حتى أن الناظر الى يعتقد أنني فتاة صماء . وحتى الصوت المفاجيء القوي ، لا يستطيع زحزحتي من عالم الدوران الذى أعيشه .

ولكنني عندما أكون في عالم الناس ، فإن حساسيتي نحو الأصوات المرتفعة تكون زائدة . ففي كل صيف ، كنا نذهب إلى البيت العائلي لعطلة الصيف في ناتيكت (وهى مدينة ساحلية بحرية بالقرب من بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية) . وهذا يتضمن رحلة بالعبارة تستغرق ٤٥ دقيقة ، وقد كنت أكره هذا الجزء من الرحلة . فبينما كان هذا الأمر - أي الذهاب بالعبارة - ، يمثل قمة الاثارة والمتعة بالنسبة لوالدتي وإخواني ، كان هذا الأمر يمثل كابوساً لي ، حيث أشعر أن الأصوات تتغلغل في أذني وروحي . ولقد كانت والدتي ومربية الاطفال التى ترافقنا ، تصران على أن نبقى على ظهر المركب ، ونقول لنا والدتنا « أيها الأطفال ، استنشقوا هواء البحر الجميل والنقي » .

فتعلق المربية على ذلك « إن هذا الهواء الصحي سيضيف جمالا إلى خدودهم ولا شك » . ولكن المشكلة الوحيدة ، أنه حتى نحصل على هذا الهواء النقي الذى ينضر وجنتي الانسان ، لابد أن نجلس تحت بوق الضباب في السفينة . ولقد كان الالم الذى يصيب رأسي عندما ينطلق هذا البوق فوق الوصف ، لدرجة أنه حتى مع وضع يدي على أذني ، فإنني أحس وكأن صوت البوق يهاجمني . وهذا يوصلني إلى مرحلة أنني القى بنفسى على ظهر السفينة وابدأ بالصراخ المتواصل . وكان تعليق والدتي « يا للمسكينة إنها لا تحب البحر » . ولا زلت أرى المربية وهي تضغط على شففتيها من عدم الرضا على كلام والدتي السانج ، وذلك لأنها كانت تعرف مشاعري .

فالآنسة غراى كانت مربية أطفال تقليدية ، ذات شعر رمادي كثيف وخاصة في المؤخرة ، وعليه مشابك كنت أعتقد أنها تنفذ مباشرة إلى فروة الرأس وتمسك كعكة شعرها وهي التسريحة التي كانت دائما تستخدمها . وكانت تلبس دائما ثوب فضفاضاً خارجياً ، يجعلها أشبه ما تكون برسام فرنسي . وكانت لديها العديد من المهارات . وقد أعطتني واختى جين ، وقتها وانتباهها اللامحدود . كانت تلعب الألعاب معنا وتشاركنا اللعب بالمزجلة وكذلك العزف على البيانو بحيث نستطيع أن نمشى مشية عسكرية في الغرفة على أنغامها الموسيقية . ولكنها لم تكن تؤمن بالاحتضان أو العناق الطائش ، ولذلك فهي لا تلمسنا إلا لتوقيع عقوبة علينا . والآن وبعد سنوات ، أصبحت أعرف أن الآنسة غراى كان تحس باشمئزازي من الأصوات المرتفعة . وهذه الأصوات التي لا تروع الاطفال التوحديين فحسب ، بل تسبب لهم الإزعاج وعدم الشعور بالارتياح .

فمثلا كانت حفلات عيد الميلاد ، بالنسبة لي بمثابة نوع من التعذيب . فالقلق الناتج عن ارتفاع الأصوات بصورة مفاجئة ، يسبب لي الروعة والخوف . وكان رد فعلي المباشر ، عند حدوث هذا الأمر ، هو ضرب أي طفل بجانبني أو قذف أي شيء ثقيل ، مثل طفاية السجاير لتصيب أي شيء في الغرفة .

لا غرابة في ذلك بالنسبة للاطفال التوحديين ، لأنهم عادة ردود فعلهم حادة اتجاه بعض المؤثرات ، وبسيطة اتجاه البعض الآخر . وتوضح الأبحاث الحديثة ، أن الطفل التوحدي ربما لا يتفاعل بصوت عال ولكن يتفاعل وبصورة حادة اتجاه تجعد ورق السولفان مثلا . ولعل التفاعل الحاد أو عدم التفاعل اتجاه المثيرات ، ناتج عن عدم قدرة الطفل التوحدي ، على دمج المشاعر القادمة والتمييز بين المثيرات ، التي لا بد من التعامل معها .

ولعل أحد الأوصاف الجديرة بالاهتمام حول الطفل التوحدي ، هو ذلك الذي بيتهه دابر فن وزميلاتها في بوسطن ، فهنّ يرين أن « الاعراض التوحدية في الحيوانات قد تكون ناتجة عن غياب المداخلات ، وأما في حالة الأطفال التوحديين ، فقد يكون سببها الفشل في التعرف على المداخلات . ومنذ البداية الاولى ، فإن هؤلاء الاطفال قد يكونون محرومين من تجارب الادراك التي تكون في العادة المدارك الحسية ، والمفاهيم واللغة » . ولهذا صلة مع الدراسات الاخرى التي توضح عدم قدرة الاطفال التوحديين على معالجة المثيرات القادمة ومقدرته فقط على فهم مؤثر صوتي أو مرئي واحد . وحتى هذا اليوم وأنا بالغة راشدة ، فإنني حين أنتظر في

مطار مزدحم ، أستطيع أن أبعد كافة المثيرات من حولي واقراً ما أريد ، ولكن أجد أنه من المستحيل ، أن لا أتأثر بما يجرى في المطار من إزعاج ومحادثات تليفونية . وهكذا مع الاطفال التوحديين ، لأنهم لابد أن يقرروا ، إما إثارة ذاتية من خلال دوران الاشياء أو غيرها من الامور ، أو الانعزال والتخريب والتمثيل بأنفسهم والهروب إلى ذاتهم الداخلية ، وذلك بقصد حجب المثيرات الخارجية أو أبعادها وإلا أصبحوا محملين بالعديد من المثيرات الخارجية . وهذا يجعلهم ينفعلون من خلال نوبات الغضب والصراخ أو بعض السلوكيات غير المرغوبة . إن السلوكيات أو الأفعال التي تخلق الإثارة الذاتية ، تساعد على تهدئة الجهاز العصبي المركزي المثار لديهم . ويعتقد بعض الباحثين أن الأطفال التوحديين عندهم جهاز عصبي مفرط النشاط ، بينما الاطفال العاديين ذوا النشاط الزائد لديهم جهاز عصبي بطيء . يقوم الطفل التوحدي بالاثارة الذاتية لتهدئة نفسه ، وكذلك الطفل ذو النشاط الزائد ، كلاهما يتحركان بصورة زائدة لأنهم يودون إثارة جهاز عصبي .

ولقد استفادت الأنسة غراى ، مربيتي ، من عدم حبي للازعاج والاصوات العالية ، فكانت تستخدم الصوت أداة للعقوبة . وإذا حلمت في يوم من الأيام ، أنني أستطيع أن أقذف الملعقة في الهواء ، أثناء تناولي الغداء ، فإنها ستقول « تمبل ، إذا لم تنتهي من الحساء في هذه اللحظة ، فإنني سأقوم بفرقة كيس عند أذنيك » . وكانت دائما تحتفظ بمجموعة من الأكياس فوق الثلاجة ، لتقوم بفرقتها أمام وجهي ، متى كان سلوكي غير سوى أو ابتعدت عن العالم الذي حولي . وهذه الحساسية اتجاه الازعاج والاصوات العالية ، لاتزال سمة من سمات الاشخاص التوحديين البالغين . وحتى هذا اليوم ، إذا حصل انفجار من السيارة وهي سائرة ، فإن ذلك يجعلني أقفز في الشارع ويبدأ القلق يعمر كل جسدي . ولا يزال الصوت العالي مثل صوت الدراجة البخارية ، يجعلني أشعر بالألم .

ولكنني كطفلة ، كان عالم الناس دائما يثير مشاعري وحواسي . فالأيام العادية التي يحدث فيها تغيير أو حوادث غير متوقعة ، تجعلني في احتياج . أما أيام الكريسماس أو عيد الشكر ، فإن الوضع يكون أسوء . ففي هذه الأيام ، يكون البيت مليئا بالأقارب ، وبالتالي تكون هناك اصوات متعددة وروائح مختلفة (سجائر ، عطور . . .) ، وأناستتحركون بسرعات مختلفة وفي اتجاهات متعددة ، مما يعنى أن هناك الإزعاج والقلق الدائمين ، واللمس الدائم ، وهذا كله يجعلني في وضع سىء جدا . وكانت لدى عمة سميئة ولكنها كريمة وتحيطني دائما برعايتها ، حتى أنها

جعلتني مرة ، أستخدم فرش الرسم التي تملكها مما زاد من حبي لها ، ولكنها عندما احتضنتني في أحد الأيام أصبحت مرعوبة منها بشكل كبير ، أحسست وكأنني أختنق في جبال من الحلوى . ولقد انسحبت ، لأن تكلفها الرائد ، قد تغلب على جهازى العصبي .

وقد استطعت أن أقاوم في الخمسة سنوات الاولى ، ما اعتراني من صعوبات في حياتي وإن لم تكن دائماً بطيب خاطر ، لكنها ولا شك كانت بذكاء وإقدام ثابتين . ولقد كتبت أُمي عن بعض الكلمات في مذكرتها هذا نصها :

عندما تكون تعباً أو يدخلها الملل ، تقوم تمبل ، بالبصق أو بخلع حذائها وقذفه على أى شىء وعادة يكون هذا الأمر مصحوباً بالقهقهة أو الضحك . وأحياناً تكون هذه الأفعال خارج إرادتها ، وأحياناً تكون أفعالاً مقصودة لإحداث الضجة حولها . وبمرور الأيام ، أصبحت أفعالها غير مسئولة ، وأصبح سلوكها الغريب واضحاً للعيان . ففي بعض الأحيان ، تبصق على الأرض ، ثم تحضر منشفة وتزيله من الأرض . ومع أنها تعرف أنه ينبغي أن لا تفعل ذلك ، إلا أنها لا تستطيع مقاومة الاندفاع نحو عمله . وأحياناً تجلب لي ورقة وقلماً وتطلب منى أن أرسم صورة . وفي الصباح إذا قلت لها « ارسمي لي صورة » فإنها ستقبل ، وأما إذا كررت نفس الطلب في المساء ، فإنه يؤدي بها إلى الغضب وتلقى بقلم الرصاص في الغرفة وبعضية زائدة . ثم تقوم بحمل القلم وهي تبكى إنك . . . كسر (تقول لفظ إنكسر مع البكاء) . ومع أنها تعلم أن القلم سينكسر في حال قذفه ، إلا أنها لا تستطيع مقاومة غضبها المنقطع .

وتمبل تبدو معلقة بخيط رفيع من العقلانية . فعندما يتم اعتراضها أو عدم الموافقة على ما تريد ، يكون رد فعلها غريباً ، كما هو الحال في حالة القلق أو الاجهاد . ولكنها مع ذلك ، تعرف أن سلوكها الغريب قد يحير الناس ، ولذلك فهي تتظاهر بأن ذلك للترفيه عن نفسها وخلق موقف عاطفي .

إن طفلي الحلوه عندما تكون عاقلة ، فإنها تسر الناظرين ولكنها عندما تكون سيئة تصبح مخيفة ، ومع ذلك فلا بد أن أقول أنها حتى في أسوأ أيامها ، تظل ذكية ومثيرة . إن الانسان ليفرح أن تكون تمبل بصحبته وإنها لرفقة كريمة .

وقد قامت أُمي بتعبئة نموذج يحوى على أهم خصائص الاطفال ذوى الحاجات الخاصة وكانت إجاباتها توضح بعض الخصائص المعروفة والاعتيادية للأطفال التوحيدين .

الفصل الثاني

الأيام الأولى للمدرسة

عندما كان عمري خمس سنوات ، بدأت الذهاب إلى رياض الاطفال (مرحلة ما قبل الابتدائية) . وقد كانت تتنابني مجموعة من المشاعر ، قالت لي أمي ، وإن المدرسة ستكون ممتعة ، خاصة أنني سأتعرف على أطفال آخرين وأتعلم أشياء جديدة . ولقد بدأ الأمر كذلك ولكنني كنت خائفة . إن الظروف المحيطة بي في المدرسة كانت تقلقني ، وإن لم أكن حساسة اتجاه اللطافة واللباقة الاجتماعية . ولحسن الحظ ، لم أستطع أن أحس بأنني أختلف كثيراً عن الآخرين ، مع أنني كنت كذلك ، حيث أن كلامي وحديثي لم يكن مثل الاطفال الاخرين ، ولن أكن أتعرف علي العناوين الفرعية ، وفي بعض الأوقات أهرب إلي عالمي الداخلي . وفي بعض الاحيان ، يكون سلوكي غريباً ، حتى أنني يداخلي الروع منه .

والمدرسة التي التحقت بها ، كانت مدرسة خاصة وصغيرة للأطفال العاديين . ولقد ناقشت أمي مشاكلي ، بصورة مكثفة مع الأساتذة . طلب مني البقاء في البيت في اليوم الأول للمدرسة ، حتى يستطيع الأساتذة بيان أنني مختلفة بالنسبة للأطفال الاخرين . أما مدرستي ، السيدة كلارك ، فقد كان لها شعر رمادي ، ويصل رأس فساتنها إلى عنقها ، أما وجهها فكان أبيض ، أقرب ما يكون إلى الشبح الأبيض ، وعليها نظارات مستقرة على قمة أنفها . ولا زلت أتذكر رائحة عطرها القوية التي تجعلني أشعر بالغثيان ، كلما اقتربت مني . وبعد أن تدرّبنا على الأصوات المختلفة للحروف ، أعطت السيدة كلارك ، لكل واحد منا دفترًا للواجبات عليه صورة . وقد كان على الصفحة الواحدة من هذا الكتاب ، صندوق وشنطة وكربي وتليفون وصورة طير ، ثم تقول السيدة كلارك « ضع علامة على الصورة التي تبدأ بحرف ص . وقد قمت بالتأشير على الشنطة لأنني اعتقدت أنها الصندوق . كما لم أشر على صورة الطائر ، لأنني اعتقدت أنه في وسط حديقة وأن حرف ح هو المفتاح لهذا الأمر . ولكنني لم أستطع الحديث بما فيه الكفاية ، لأوضح مقصودي للسيدة كلارك ولماذا أشرت ، أو لم أشر على بعض الصور . لقد كنت أفهم المقصود من حرف ص ، ولكن لدى سبب منطقي لكل تأشير على تلك الصور . وبسبب ذلك ، فقد زاد لدي القلق والاضطراب ، وكنت أود أن أضرب أو أركل أي شيء ، حتى أنفوس عما يعتمل في

صدرى . لقد كنت أظن أن صورة الطائر هي في وسط حديقة . وبالتالي فإن حرف ح هو المقصود - كما أنني وضعت حرف ص على الشنطة - اعتقاداً مني أن الصناديق عبارة عن وعاء وأن الشنطة عبارة عن صندوق يشابه الوعاء . وحتى لو استطعت توضيح أسباب اختياري لهذه الأشياء ، فلا أعتقد أن السيدة كلارك ستقبلها . لأن تفكيري لا يتناسب مع أسلوب التعليم الذي تكون فيها الأشياء ، إما الابيض وإما الاسود ، الصحيح أم الخطأ .

ولعل التحدي الآخر الذي واجهني في المدرسة ، هو تعلم الايقاع الموسيقي أو التناغم في اللغة ، والذي كان بالنسبة لي امراً مستحيلاً . فقد اعتادت السيدة كلارك ، أن تجعلنا نجلس في حلقة ، وهي تجلس على البيانو . ، وتقول لنا « أيها الأطفال ، أرجو أن تستمعوا إلى ترقيم الميزان (في الموسيقي) » . ثم تقوم بعزف بعض المقطوعات وتقول « الان ، صفقوا بأيديكم مع الموسيقي » . ولكنني لم أستطع فعل ذلك . عندما كان الفصل يتناغم مع الموسيقي ويصفق بيديه ، كانتا يدي بعيدتان عن بعضهم البعض .

فتقول السيدة كلارك « انتبهي ياتمبل لما نفعله » ، ثم تعود للعزف مرة أخرى ومرة أخرى لا أستطيع التصفيق معهم . فتقول لي السيدة كلارك « لماذا أنتي تتصرفين بهذه الطريقة ، أنك تفسدين الأمر على الجميع » وأكون في هذه اللحظة ، لا أود أن أفسد الامر على أحد ، ولكن لا أستطيع الاستماع إلى الموسيقي وفي نفس الوقت تصفيق يدي تناغماً .

ثم تبدأ السيدة كلارك الاغنية من جديد ، ولكن في هذه المرة ، عندما لا أصفق ، تقول لي « أرجوك ، أثني يديك على ركبتيك ، وإذا لم تستطعي ياتمبل ، مجارة الآخرين » وكانت نبرة صوتها تغيظني في ذلك الوقت ، وعندئذ يضحك الاطفال ، فأصبح غاضبة وأقفز من الكرسي ، ثم اصطدم به بصورة عنيفة . فتقفز إلى السيدة كلارك ، وتمسكني من اردافي وتأخذني إلى ركن الغرفة والذي أظل فيه واقفة ، حتى ينتهي تمرين التصفيق . وحتى الان ، وأنا انسانة راشدة وبالغة ، إذا رأيت الناس يصفقون بتناغم مع الموسيقي في حفلة موسيقية ، فإنني احاول أن أتابع تصفيق الشخص الذي يجلس بجانبني . إنني أستطيع أن أتناغم بصورة متواضعة ، إذا كنت مع نفسي ، ولكن أجد صعوبة بالغة في محاولة التناغم مع حركات الناس الآخرين أو بمصاحبة الموسيقي .

وهذا ليس امراً غير طبيعي في الطفل التوحدي ، لأنه بالنسبة لهم التعامل مع

مهارتين حركيتين في آن واحد ، يعتبر امرا مستحيلا . وتوضح الأبحاث ، أن التوحيديين عندهم تأخر في الحركة من اليمين إلى اليسار ، في حركة أجسامهم . وإن محاولة جعل جميع الاعضاء ، تعمل معا ، هو عمل ضخم بالنسبة لهم . وفي عدم مقدرتي على التناغم ، كان واضحا ، في دروس الانشاء التعبير . والمقطوعة الشعرية التي أعدتها وألقيتها في الصف الخامس ، دليل على ذلك .

العصور المظلمة

أن الديكة مرت بوقت عصيب
مع الدجاجات الفظيحات
حضرُوا الدجاج مثل حمام من الرماح
ومن حصن النبلاء الأبطال
وعندما حصلت الديكة على بعض القوة
قامت بطرد الدجاجات الفظيحات
وكل هذا الوقت ، كان عصورا مظلمة
ولكن الحيوانات تقرأ الكتب
ولكن واحدا منها جلس وأخذ يطبخ
وخططت الحيوانات لعمل بناء وحشي شديد الفظاعة
وقد بناه العمال وبسهولة كبيرة
بينما كان حيوان جالسا ويأكل البازلاء
إن الغرف في المبنى الوحشي كانت صغيرة
ولكن الحيوانات كانت مرتاحة ، مهما كان طولهم
وكل واحد ، صار له الركن الخاص به
وفي غرفة الطعام ، كانوا يأكلون
وكانوا عطوفين كما يجب أن يتسم به الحيوان
فهم رحماء ويساعدون الفقراء
لقد وجد أحدهم فقيراً ، رجلاً فقيراً
فأعطاه ماء في وعاء
ثم أحضره إلى المبنى الوحشي
وأطعمه الكثير والكثير من الطعام
وقد كان الرجل الفقير سعيداً للغاية
ولذلك أصبح الرجل الفقير حيواناً

وقد علقت المدرسة على انشاءى بقولها « ياتمبل ، تاريخيا أن أنشاءك صحيح ، ولكن من حيث التناغم لا توجد أي علاقة ، ولذلك لابد أن تعنتني أكثر » ؟ . لقد كنت حريصة ؟ ، ولكن عدم قدرتي على التعبير عن مشاعري وضعفي في ايجاد التعبير المتناغم ، قد خرب جميع رغباتي .

وفي الصف الثاني ، بدأت أفكر في جهاز سحرى والذي يمكن أن يعطيني ضغطا مثيرا ، وشديدا ولكنه مريح لجسدى . وفي خيالي ، لم أتصور أن يحل هذا الجهاز مكان حوض الام ، ولكنه سيكون متوفر في أي وقت ، احتاج فيه لتهدئة نفسي .

وكأنسانة راشدة حاليا ، أعرف أن تصوراتي الطفولية حول وجود آلة سحرية ، كان طريقتي للحصول على وسائل مثيرة لتلبية حاجات نظامي العصبي المتضرر ، والذي يتوق إلى إثارة ملموسة . ومنذ الفترة التي عاشت معنا المربية ، التي كان عمري فيها ثلاث سنوات وحتى بلغت عشرة سنوات ، لم تقم المربية باعتناقى أو لمسي أو لمس أختي ، مع إنني كنت أرغب في ذلك . لقد كنت أود أن أكون محبوبة وأن يحضنني أحد ، ولكن في نفس الوقت أفر من اللمس الزائد مثل الذى يحدث مع عمتي السمينة ، والتي أحس بالاختناق عندما تحضني كما ذكرت سابقا . كانت عاطفتها ، مشابهة بالنسبة لي ، لأن أكون أبتلع من قبل حوت . حتى لمسي من قبل استاذتي ، يجعلني أحجم وأنسحب ومع أنني أرغب في اللمس ، ولكني لا أستطيع إلا أن أنسحب عند حدوثه . لقد حسنتي نظامي العصبي المتضرر ، وكنت أشعر وكأن جدار من الزجاج ، يفصلني عن عالم الحب والتفاهم الانساني . إن هناك توازنا عند تدريس الطفل التوحدي ، بين اللذة في اللمس وبين أن يجفل خوفا من الابتلاع . وعندما كان سني عشر من السنوات ، أستطعت أن أسجل تسع علامات على مقياس ايرس Ayres والمكون من خمس عشرة علامة والذي يقيس مستوى اللمس الدفاعي Tactile Defensiveness . إن اللمس الدفاعي والحساسية الزائدة اتجاه اللمس ، هما أمران متشابهان . فمثلا لباس الصوف ، أمرٌ لا يمكن احتمالها بالنسبة لي ، ولا أستطيع أن ألبسه ، ولكنني أحب ضغط القمصان ذات العنق . وأيضا لا أحب ملابس النوم ، لأن شعوري بأن سيقاني تلامس كل واحدة منها الاخرى ، يجعلني غير مرتاحة . وحتى كفتاة راشدة ، لازلت أجد صعوبة في البقاء هادئة عند عمل اختبار التراكوما (في العين) أو السماح لأحد الاطباء بازالة شمع من أذني .

إن المثيرات اللمسية بالنسبة لي وكذلك للعديد من الأطفال التوحديين ، هو موقف

لا يمكن الفوز فيه . فأجسامنا تتطلع للاتصال الانساني ، ولكن عندما يحدث ، فإننا ننسحب في ألم وقلق . ولم أستطع حتى بلوغي منتصف العشرين من عمري ، التمكن من مصافحة الآخرين أو النظر اليهم مباشرة .

ولكنني كطفلة ، وحيث لا يتوفر لدى الجهاز السحري الذى يجلب لي الراحة ، فقد كنت أشبع رغباتي للمثيرات اللمسية من خلال لف نفسي في بطانية أو النوم تحت وسائد الازيكة . أما في الليل ، فقد كنت أدخل في أغطية الفراش بصورة محكمة ، وبعد ذلك أنزلق تحتهم . وأحيانا أحشر نفسي بين لوحين من لوحات الدعاية الاعلامية (الذى تعلق عليها الاوراق) ، حتى أنني أصبح كالسندويشه ، لأنني ألتد بضغط اللوحين على جسدي .

إن الحاجة إلى المثيرات اللمسية ، ليس من خصائص الاطفال التوحديين فقط . فالأبحاث توضح أن الاطفال الذين ينشئون في المؤسسات التربوية (وليس في الأسر العادية) ، عادة يحيدون عن الصواب ، إلا إذا غمروا بالعناق والالتصاق الدافئ ممن حولهم . ولذلك فإن الاطفال الكبار ، يستفيدون كثيرا من المثيرات اللمسية كالعناق والحضان والقبلات والمسح على الرأس . وحتى القروود الصغار ، إذا حرموا من دفاء الأم والاتصال بها ، تجدهم يلتصقون أو يتمسكون ببنتلون ، ليحصلوا على راحة الاتصال بجسم ما .

وبعض المصادر ، تعتقد أن الحرمان من المثيرات اللمسية ، قد يؤدي إلى النشاط الزائد والسلوك التوحدي والعنف . كما يعتقد آخرون ، أن اللمس الجسدي السلبي يظل أفضل من عدمه . وبعض الأبحاث التى عملها توضح أن العنف قد يكون له صله بعدم كفاية مثيرات الاحساس الجسدي ، وبسبب عدم استجابة الاحساس الجسدي ، يلتمس الطفل التوحدي حاجته لذلك من خلال المثيرات الجسدية . إنهم يفضلون (أي الاطفال التوحديين) ، استخدام الحواس المقربة ، كاللمس والشم والتذوق مقارنة مع استخدام الحواس المباعدة كالسمع والنظر ، والعادة فإن أى تطور للنظام العصبي ، فإن الحواس المقربة تتطور أولا ، ولكن في الطيور والثدييات ، فإن الحواس المباعدة تتطور أولا . وهذا يفسر لماذا الطفل الذى لديه نظام عصبي غير متطور أو متضرر ، يفضل الحواس المقربة .

إن أهم أمر بالنسبة للطفل ، هو أن يحصل على كفايته من المثيرات وأن تكون مناسبة ، وعلى الطفل أن يعرف من أين يحصل عليها ومن أين يأتي بها . وبالتالي يعرف الطفل أن بعض السلوكيات تؤدي الى مثيرات مؤلمة ، وبعضها الآخر يجيؤدى

الى مثيرات سعيدة . بالاضافة إلى المثيرات السلبية والايجابية ، فانني أتذكر الحاجة إلى الشعور بأنني أتحكم في مقدار ونوع المثير الذى يمكن أن أقبله ، وقد كنت في موقف تتعارض فيه القوى . فحتى أستطيع أن أتغلب على اللمس الدفاعي ، فإنني أحتاج إلى المثيرات اللمسية ولكنني كنت أنسحب عند حدوثها . فالأطفال الذين يحرمون من العناق والحضن ، يحاولون تجنب أن يلمسوا عندما يكونون كبارا .

وعندما كبرت على الاتحاف باللعاب أو الزحف تحت الوسائد ، فقد لجأت إلى طريقة اخرى للوصول إلى الاثارة الممتعة ، وذلك من خلال شبيهه بالالة الميكانيكية . وحتى وأنا صغيرة ، كنت أعجب بالآلات الميكانيكية . وأول موديل لآلة ميكانيكية ، كنت أحلم بها ، هي عبارة عن بدلة ضاغطة ، تضغط على جميع أجزاء جسدى . وقد طرأت لي هذه الفكرة من تأمل العاب الشاطيء البلاستيكية القابلة للنفخ . وفي الواقع فإنه لدى العديد من الالعب البلاستيكية القابلة للنفخ ، والتي أقوم بعض الأوقات بتقطيعها أو تمزيقها . وحتى مع أن هذه الالعب تكون ممزقة ، فإنني أحب أن العب بها . ففي بعض الأحيان ، أقوم بقطع الانزع حتى أستطيع أن ألبسها كقميص .

وبينما كنت أحلم في النهار ، أثناء الصف في السنة الدراسية الثالثة ، برز لدى نوع آخر من الآت الراحة . وتصميم هذه الآلة أقرب إلى صندوق الكفن (الذى يوضع فيه الموتى) . لقد تخليت ، أنني أنحشر في الجانب المفتوح منه وعندما أكون في الداخل ، انفخ ملاءة تغمر جسدى وتجعله مضغوطا ولكن برفق . ولعله من الأهمية أن نذكر ، أنه حتى في خيالي ، فإنني أتحكم في حجم الضغط على جسدى الذى تكونه الملاءة البلاستيكية .

وكما أنه من الافكار التى ترد في خيالي في المرحلة الابتدائية ، أن عمل صندوق في حدود ثلاثة اقدم عرضا وثلاثة اقدم طولا ، بما يكفي لدخولي ثم أقوم بغلق الباب . وبعد ذلك يتم رفع درجة الحرارة مع وجود ضغط ، لأن الضغط عنصر أساسي في كل تخيلاتي . وتوضح العديد من الأبحاث ، أن بعض المثيرات وأنواع السلوك النمطية ، يمكن أن تقلل من الاثارة والتيقظ . فالدفء والضغط يؤديان إلى تخفيف الاثارة وبالأخص الذين يعانون من نظام عصبي متضرر . وربما لو كان لدى هذه الآلة السحرية للراحة ، لأستخدمت الدفء والضغط الناتج عنها ، بدلا من قذف الاشياء في نوبات غضب . إن تصميمي في الخيال ، كان عبارة عن شكل لتسلط فكرة ما على ، وبعد ذلك محاولة تحسينها وتصفيتها مع كل خيال أو تصور لآلة سحرية . ولقد كانت هناك ورطة اخرى في الصف الرابع ، جعلت عائلتي أقرب إلى الجنون .

لقد تكلمت باستمرار عن اللوحات الاعلامية (بوسترات المرشحين) والمصقات المختلفة . لقد حصلت لي ورطة في إنتخاب محافظ الولاية . فكل شىء كنت أتحدث عنه هو انتخابه لهذا المنصب ، ومع ذلك فقد قمت أنا وصديقتي اليانور كريفن ، بتضييع وقت الظهر بأكمله ، في ازالة لوحتين اعلانيتين من أحد أعمدة الهاتف ، وذلك حتى نستطيع تعليقهم في غرفنا ، فقد امسكت اليانور بدراجتي ووقفت أنا على كرسي الدراجة ، وحاولت أن أزيل المسامير التى تمسك باللوحات الاعلانية للمرشح .

إن تكرار الاسئلة وبصورة مستمرة ، كان أحد السلوكيات الثابتة التى تجلب لي ولمن حولي الضيق . فقد أسأل السؤال نفسه (والذى سبق وأن سئلت عنه) ، ثم أنتظر وبسرور الاستماع إلى نفس الاجابة التى سبق وأن سمعتها ولعديد من المرات . أما إذا كان موضوعا معيناً ، يثير اهتمامي ، فإنني اركز عليه وأتحدث عنه بصورة مستمرة ، ولذلك فلا عجب أن يطلق علي « صندوق الهذرة أو الثرثرة » .

إن الاسئلة النابعة من تسلطة فكرة معينة أو المواظبة في الحديث في موضوع واحد لوحظ في العديد من الحالات لأطفال تم شفاؤهم بالكامل أو جزئياً من التوحد . حتى في الفراش ، فإنني لا ابد أن أتحدث ولو بذكر بعض القصص وبصورة مرتقعة . ولا يكفي هنا أن أفكر فقط بالقصة بل لا ابد من ذكرها وبنبره مرتقعة ، ولا يكفي هنا أن أفكر فقط بالقصة بل لا ابد من ذكرها وبصوت عال وإلا تصبح وكأنها غير حقيقية بالنسبة لي . ولقد كان واحد من الشخصيات التى أستخدمها في قصصي التى اخترعتها ، هو بسبان . وهو احدى الشخصيات من سلسلة قصص رجال العصابات والوغد الصغير . ولقد كان من أفضل الاشياء في شخصية بسبان ، هو قدرته في التحكم في الاشياء . لقد كنت أود أن أتحكم في الاشياء مثله ، وبالتالي فقد كان بسبان هو شعوري الداخلي . إن بسبان عندي يتحكم في الظلام وفي مقياس الحرارة وفي الضوء في الثلاجة . ويمكن بسبان أن يسحب خيطاً أو وترًا ، فيجعل كل شىء ممكن الحدوث . ولكن بسبان الذى كنت أفكر فيه ، كان يعمل اشياء سيئة ايضا مثل عقد رباط أحذية أبي مع بعضها البعض ، أو وضع ملح في وعاء السكر أو وضع صمغ بين غطاء التواليت نفسه . وهذا يجعلني حقيقة أضحك كثيرا . وفي بعض الأحيان عندما كنت أقول لنفسي وبصوت عال قصص بسبان ، فإنني أضحك وأضحك لمدة طويلة .

وعندما بلغت الحادية عشرة من العمر ، بدأت استخدام شخصيات عديدة أخرى مثل ألفرد كوستلو ، والذى كان دائما مجور قصصي المخترعة . وألفرد ، الذى هو

شخصية حقيقية ، كان أحد أفراد الفصل في المدرسة ممن كانوا يضايقونني طوال الوقت . فهو دائماً يسخر من طريقتي في الحديث ، ويحاول أن يوقعني عندما أسير في الممر ، وكذلك يطلق علي القابا فيها سخريّة واستهزاء مثل الغبيه أو الغريبة . ولقد كان خالق المشاكل في المدرسة ، ومضحك الفصل ، ومصدر الإزعاج لكل مدرسة . فهو الذى وضع حية مزيفة في دفتر علاماتها ، ووضع فأراً في درج مكتبها ، ودودة في التفاحة التى قدمها لها . لقد كان ألفرد شخصية مولعة بأذى الآخرين في الحياة ، والوغد اللئيم في القصص ، التى اخترعها في خيالي . ففي قصصي ، قد يكون ألفرد هو الذى قام بإلقاء القمامة حول المدرسة أو الذى يخرج لسانه على الاستاذة . ولقد كنت أضحك ، عندما أقول هذه القصص لنفسي وبصوت مرتفع ، ويزداد ضحكي عندما يتم القبض على ألفرد متلبسا بجرمه .

إن الضحك الذى لا يمكن التحكم فيه ، والتحدث والسؤال الدائم والمتواصل ، والالتصاق أو الارتباط بهاجس معين (مثل قصتي مع الانتخابات) ، كلها خصائص عامة للأطفال التوحديين . إن شكلي وسلوكي الثابت الذى لا يتغير ، قد ساعد على تخفيض الاثارة وتهدة مشاعري . وهناك العديد من الاخصائيين النفسيين ، ممن يؤمنون بأنه إذا أطلق العنان لشكل والسلوك الثابت للطفل ، فإنه يؤدي إلى ضرر ، يتعذر إصلاحه . إن السلوك الثابت ، يمكن توجيهه إلى شىء مفيد ، ولكن أزالته بالمرة قد يكون أمراً غير مرغوب فيه . كما أنه أحياناً قد يتم القضاء على عادة سيئة ، ولكن لتحل غيرها مكانها ، وكذلك السلوك الثابت للطفل . ولكن عمل شىء إيجابي من هذا السلوك الثابت ، هو أمر يستحق التقدير . إن السلوك الثابت اتجاه موضوع معين ، قد يؤدي إلى الاتصال ، وقد يكون اتصالاً معزولاً ولكنه على الأقل استطاع أن يخترق جدار الاتصالات . وإذا تم توجيهه بصورة مناسبة ، فإن الطفل التوحدي يمكن تحفيزه من خلال هذا السلوك الثابت . إن السلوك الثابت للطفل للتحدث ، حتى ولو جبرا على الآخرين ، قد يكون وسيلة للتخفيف من القلق المتزايد والعزلة التى يمر بها الطفل التوحدي .

إن الاضطراب الذى يمر به الطفل التوحدي ، يشمل جميع مراحل التعلم . لقد كنت آخر طفل في الصف الرابع ، الذى يستلم جائزة الخط . وهذه الجائزة لها قيمة معنوية كبيرة عند الاطفال ، لأنه عندما تحصل عليها فإن المدرسة تعطيك لقب « الكاتب » . وجموعة من أقلام الرصاص الملونة ولم أكن اعبأ كثيراً باللقب ، ولكنني كنت أشتهى أقلام الرصاص الملونة . لقد حاولت جاهدة ، ومع ذلك كنت الأخيرة في

الحصول على هذا اللقب . كما أن الرياضيات كانت أحد المواد التي تعرضت فيها لصاعب عدة ، ولم أستطع مجاراة الآخرين فيها . فعندما أكون قريبا من معرفة مفهوم معين في الرياضيات ، أجد أن الأستاذ قد انطلق إلى مفهوم آخر . ولقد كان تعلم الرياضيات أكثر صعوبة ، لأن مدرس الرياضيات كان بريطاني وهو السيد بروان . لقد كان انكليزيا من المستوى الرفيع ، وجعل الصف يكتبون مسائل الرياضيات بالقلم السائل ، وبالتالي كان لابد من كتابة علامات الزائد والطرح بصورة دقيقة ومرتبطة . ولقد كان الأمر شاقا علي ، حيث لابد أن أحاول فهم الرياضيات ، ناهيك أن يكون الإنسان دقيقا ومرتبيا . ومهما بذلت من جهد ، فإن الأوراق تكون مملوءة ببقع الحبر . وبينما أحاول معرفة مفهوم رياضي معين ، أجد أن مدرس الرياضيات قد أنتقل إلى فصل آخر من الكتاب .

لقد كانت القراءة هي هوايتي أو درسي المفضل ، وقد ساعدتني أُمِّي في ذلك بعد المدرسة . وقد أثمر ذلك ، أنني كنت أحصل على أعلى من المعدل في القراءة . ولقد حققت في هذا أمرين اثنين : الأول أنها حسنت من مهارات القراءة ، من خلال قراءتي بصوت عال الكلمات وكذلك بيان اصوات هذه الكلمات بوضوح ، والثاني أنها جعلتني أشعر بأنني كبرت من خلال تقديم الشاي لي اثناء القراءة . ولقد عرفت الآن أن الشراب الذي كان يقدم إلي لم يكن شايا ، وإنما كان ليمونا حاراً مع نكهة شاي ولكنه في ذلك الوقت كان بالنسبة لي شاي شبيه بما يقدم للكبار . وقد ساعدني ذلك تعليميا ، كما أدى إلى شعوري بالفخر والاعتزاز .

إن أحد المواد التي جعلت المدرسة يمكن احتمالها ، هي درس الرسم ، والذي يمكن من خلاله عمل شيء خاص من خلال اللوحة أو الصبغ أو المعجون . ومن الوقت الذي كنت فيه فتاة صغيرة ، كنت أحب أن أعمل وأشكل الاشياء . وفي ذلك الوقت ، لم يكن هناك الاهتمام (الذي نراه حاليا) ، بوجود الجانب الفني من المخ أو الجانب اللغوي منه . ولكنه من الواضح ، أن المنهج الذي يركز على الفنون ، سيشجعني على التعليم . وعندما كنت في الصف الرابع ، كنت أنا وصديقتي اليانور كريفن ، أول من سمح لهم بأخذ مادة تصنيع الخشب ولقد كنت أحب هذه المادة ، وكنت فخوره ببناء نموذج السفينه وصاحب المزرعة . ولكنه في آخر الامر ، كان علينا العودة إلى درس الطبخ ، والذي كنت فيه فاشلة مرة أخرى .

أما بالنسبة لمدرسة اللغة الفرنسية ، الأنسة جولي ، فد كنت مصدر رعب لها ، وقد تم طردى من الصف ، لإنني قلت لها باللغة الفرنسية ، « الانسة جولي ، أرجو

اغلاق فمك » . ولأن مدرسة اللغة الفرنسية هي نفسها مدرسة الخياطة ، لم تستطيع أن تفهم كيف كان سلوكي ممتازا في دروس الخياطة ، على عكس دروس اللغة الفرنسية . الجواب بسيط ، لأنه في دروس الخياطة ، كنت أستطيع أن أصنع شيئا ولقد كانت لدى قدرة خاصة في التطريز .

وتوضح الدراسات عن أن الأهمال والتقصير في الاطفال الموهوبين الصغار ، ناتج عن أن معدلاتهم العالية هي في مجال الذكاء السلس أو الذاتي والتفكير غير الشفهي ، مقارنة مع الذكاء المتبلور والذي يتطلب تدريبا وتعلما مسبقا . إن الذكاء المتبلور يستخدم التواصل اللفظي ، والاستنتاج الصوتي والخطوات المتتالية في المنطق وحل المشاكل . كما أن الذكاء المتبلور يكافؤ في نظامنا التعليمي ، حيث أن تدفق المعرفة ، تعطى له قيمة عالية . وكننتيجة ، فإن العديد من الاطفال الموهوبين ممن يمتلكون الذكاء السلس الذاتي ، لا يتلاءمون والهيكل التعليمي العادي . وتوضح إحدى الدراسات ، أن بعض الناس ، لديهم موهبة في القدرة على هضم قدر كبير من المعلومات وملاحظة الاتجاهات المنظمة الناتجة عنها ، بينما غيرهم لا يرى فيها إلا أشياء مبعثرة . وهذه المهارة ، مكنتني من إيجاد الحل السليم لمشكلة معقدة مثل سباق الخيل للمعوقين . وهذه المهارة ، لا يمكن قياسها على مقياس الذكاء المعروف وبالتالي يصنف هؤلاء الافراد بطريقة خاطئة ، وبالتالي يصبحون منبوذين . وفي معظم الاحيان ، ليس السبب أن الطفل الموهوب يحاول أن يكون مختلفا عن الآخرين ، ولكن السبب عادة أنه يسمع لحنا مختلفا أو يرى رؤية تختلف عن ما يراه غيره .

إن الابتكار وهو أن أعمل شىء ببدىء أو خيالي ، هو النبض الذي أسمع . فمثلا ، في درس التاريخ في السنة الرابعة ، كان دراستنا عن رجل الكهف في العصر الحجري . وكان واجبا عمل بعض الآلات الصخرية ، التي قد يكون الرجل الحجري قد استخدمها . ولقد كان هذا الواجب المناسب لتفكيري واهتمامي . ولقد كنت أقضى أنا وصدىقتي اليانور كريفن ، معظم الظهيرة نحاول شحذ احدى الصخور ليكون بمثابة رأس رمح ثم نقوم بتثبيته على عصا . كما أن أحد مشاريع حصة التاريخ ، هي زيارة المتاحف ، حيث شاهدنا المومياء المصرية . ولقد كنت أشعر بالسعادة والنشوة والاثارة ، وكنت أبلغ أفراد عائلتي بجميع التفاصيل حول هذه الرحلة الممتعة . ولكن القراءة عن هذا الأمر أو حوادث تاريخية اخرى في كتب التاريخ ، كأن يجعلني أشعر بالملل والسامة . وعندما يحدث ذلك ، تجدني اجلس في ركن من أركان الغرفة وأهرب إلى عالمي الداخلي وأبدأ بالحلم بالصندوق السحري الذي سيوفر

الضغط والدفء وكأن يدا حنونة تلتف من حولي .

ولقد كانت سمعتي في المدرسة الابتدائية ، تشوبها صفات الاندفاع ، والمرور بنوبات الغضب ، والسلوك الشاذ والغريب ، واسوء ما يمكن أن يكتب في التقرير المدرسي لطفل . ولكن مع هذا كله ، فقد كانت لي صفات مميزة في الإبداع . فعندما كانت مدرستنا بصدد عمل عرض للحيوانات الاليفة ، وطلب من كل تلميذ احضار حيوانه الاليف ، قمت بأحضار نفسي . وبما أن أمي كانت تريد أن احضر كلبنا ، وأن أبقيه مربوطا طوال اليوم في المدرسة ، فقد ارتديت لباس الكلاب وحتى أنني جعلت التوائم الاثنين من عائلة ريس ، يمثلون دور أصحاب الكلب ، الذي هو أنا . وقد قمت بتمثيل دور الكلب بما فيه النباح والجلوس والتقلب على الارض . ولقد كانت ضربة معلم وفكرة ممتازة ، حتى أنني تمت مكافئتي بشريط أزرق . وأما السنة القادمة ، فكان هناك عرض للالعاب الاطفال في المدرسة ، وقد قمت بتمثيل دور عروسة مكونة من الخرق البالية . ولقد كان لهذه الافكار الجديدة ، قبول كبير من قبل إدارة المدرسة .

إن افكاري الاصلية ، ممتازة كانت أو غريبة ، هي التي جعلت صديقتي كريستال سوفت ترتاح لي ، وهي فتاة مثلي صاحبة وسريعة . لقد كنا ندور حول أنفسنا ونلعب الالعاب اللفظية . لقد كنا نضحك بلا حدود على كلمة جيل ثم نقول كلمة ليمون ثم نتلوها بكلمة صلصة مرق اللحم . لم يكن هناك أحد آخر ، يعتقد أن هذه الكلمات مضحكة بلا حدود — لقد كانت تفهم كلماتي ونبراتي مع أن نطقها كان قريبا من اللفظ الصحيح ، بينما الآخرون لا يستطيعون . وعندما كان أحد الاطفال يسأل كريستال ، لماذا تحبين أن تلعب مع شخص غريب الاطوار مثلي ، كانت ترد عليه « أنا أحبها لأنني لا أشعر بالملل معها » .

وأما اليانور غرفن ، فقد استمرت كصديقة لي طوال المرحلة الابتدائية ، وقد كنا معا نقيم حصنا من الاشجار قريبا من منازلنا . ولقد كان سلوك اليانور ممتازاً ومناسباً . وأتذكر أنني في أحد الأيام ، غضبت غضبا شديدا ، لأن البعض قد قاطع الكلمة التي كنت ألقياها في قاعة الاجتماعات ، الشيء الذي جعلني القي بنفسي في الارض وأرفس أي شخص يقترب مني . وقد أدى ذلك إلى أن تخاف اليانور خوفا هائلا ، ومع ذلك استمرت كصديقة لي وكانت تدافع عني عند المدرسين وأمام من يقوم بتوبيخي أو السخرية مني . وقد كانت تحب طريقي في قيادة الخيول . وعندما غني أغنية « أمريكا الجميلة » أمام جميع الطلبة ، كانت هي أكثرهم تصفيقا .

وفي السنة الخامسة ، بدأت اساعد مدرسة المرحلة الثالثة في عمل بعض البذلات التنكرية ، وذلك لاستخدامها في الالعب المدرسية . وكنت اجيد هذا الأمر كما كان يمثل متعة أساسية بالنسبة لي . وذلك لأنه يعبر عن القدرة على عمل الاشياء وأن يكون الانسان مبدعا وخلاقا فيها . وحتى في الالعب المدرسية ، كنت أحاول أن أكون مبدعة . ولقد كنا معتادين على لعب لعبة الاستغماية (أختبي وأبحث) . وحتى أستطيع أن أخدع الشخص الذى يحرس المكان وبالتالي أستطيع أن ألمس المكان المحدد ، فإنني أخلع معطفي وأضع فيه بعض اوراق الاشجار وجعله في مكان بارز يستطيع أن يراه الشخص الذى يحرس المكان . وعندما ينخدع بهذا ، ويترك مكانه ليمسك بالمعطف ، أكون قد جريت إلى المكان المطلوب ولمسته وبالتالي نفوز في هذه اللعبة . ولقد كنت دائما أفكر في طرق جديدة مبتكرة لعمل الاشياء .

كما أنني مبدعة في ابتكار طرق فريدة للتخريب والسلوك السيء . وفي إحدى المرات ، كنت في زيارة لصديقتي سو هارت ، وقد كنا نلعب في شرفة بيتها . وكانت الشرفة تطل على حديقة السيدة ماكدونل والتي كانت مدرستنا في الصف الرابع . وقد قالت لي سو « أراهن أنك لا تستطيعين القاء الكرة الحمراء في حوض الطيور في حديقة السيدة ماكدونل » .

وعليه ، فقد قمت بإلقاء الكرة الحمراء من الشرفة على حوض الطيور ولكنها ارتدت منه . ولأسباب عديدة لا أدرى ما هي ، فقد كان هناك مئات من قوارير الشراب الفارغة في الشرفة . فقالت لي سو « لماذا إذاً لا تلقين أحد هذه القوارير الفارغة » . وعليه ، فقد ألقيت إحدى هذه القوارير الفارغة مما أدى إلى تكسير حوض الطيور (وسو التي كانت مدبرة هذه المؤمرات والحركات الشيطانية ، تشغل حاليا وظيفة عالية في الحكومة الفيدرالية) . ثم تمادينا على القاء كل قليل ، زجاجة شراب فارغة ، من الشرفة إلى بيت السيدة ماكدونل ، وعلى كل من المدخنة ثم ممر المشى ، ثم الرواق ثم على الورود المزروعة ولقد كان الزجاج المتناثر يكاد يغطي الحديقة .

وفي اليوم التالي ، كانت السيدة ماكدونل تتحدث إلى الصف ، حول الخراب الكبير الذى حصل لحديقته . ولقد كدت أن أقع في شر أعمالي ، عندما جلست بالقرب من السيدة ماكدونل ، عند تناول الغداء . ولقد بادرتها بالقول « إنه لشيء فظييع الذى حدث لحديقتك الجميلة » فردت علي « شكرا ياتمبل على اهتمامك » ثم ابتسمت لي في دفاء .

ثم نظرت إليها في عينها مباشرة ولعلها كانت الوحيدة وقلت لها « إنني ليس لدى فكرة من قد يكون سبب هذا الضرر لحديقتك ولكنني كنت عند صديقتي سو ولقد لاحظت وجود روبرت لويس وبيرت جانيكسن قرب منزلك بالأمس ». فردت علي السيدة ماكدونل « شكراً علي إعلامي بذلك ، إنك فتاة جميلة وتهتمين بالآخرين » . ثم نهضت السيدة واتجهت نحو الطاولة التي كان روبرت وبيرت جالسين عليها ، ثم أخذتهما إلى غرفة مدير المدرسة . لم أشعر بالأسى لأنني جعلتهما في مصيبة . لقد كان بودهما أن يعمل ذلك لو فكرا فيه ، كما أن ذلك يشكل جزاء وفاق علي سخريتهم وعدم حسن تعاملهم معي . مع اعتقادي إن ذلك أمر سيء ، أن يفعل المرء شيئاً من هذا النوع ، ولكنني كطفل توحدي لا يستطيع الدفاع عن نفسه جسدياً أو لفظياً ، فإن هذا الأمر له ما يبرره .

كما أن في إحدى المرات ، كنا في زيارة ابن عمي ، بيترناش . ولقد كان بيتر يضع نفسه دائماً في مشاكل . قام مرة بحرق أحد المخازن . وقد كان في ذلك اليوم جالسا علي الدرج الأمامي للمنزل ، وكان بيتر يتمتم « إن هؤلاء الجيران أغبياء ، لأنهم يطلبون دائماً من والدي أن يمنعني من العبور من خلال ممرهم ، يالهم من ثرثارين » .

وكنت أتثاب ، وهو يستمر في قوله ، « والآن علي أن أمشي مسافة بعيدة حتى أصل إلى بيت اصدقائي » . ثم يستطرد « لا بد أن أعمل شيئاً لهم » وهو ينظر إلى ساحة منزل الجيران .

ثم قفزت هذه الفكرة إلى خيالي ، فقلت له « نستطيع أن نتلف الساحة الخضراء أمام منزلهم . كما تعرف يمكننا القاء القمامة في كل مكان ثم نحفر الارض بمحاريث حديدية .

فقال لي بيتر وببساطة « نعم ، يمكننا عمل ذلك » ولكنه تراجع إلى الخلف وقال « ولكن أود التأكد من أنه لا أحد سيقوم باتهامنا أو توبيخنا » فقلت له « ولماذا نوبخ ، سنقول أن الكلاب قد قامت بها » ، ثم نهضنا إلى العمل وقمنا بتخريب الساحة الخضراء لمنزل الجيران ولم يستطع أحد أن يتهمنا .

ولكنه تم القبض علي متلبسة في عطلة الأسبوع ، عندما كنت البس حذاء التنس عند زهابي إلى الكنيسة . فقد صرخ علي أبي عندما رأى آثار الرمل والطين ، فجريت خارجه من الكنيسة وكان هو خلفي مباشرة ، حتى استطاع الإمساك بي ، ما بين محطة البنزين وسياج الحديقة وقام بتوبيخي علي هذه الفعلة . وكان والدي سريع

الغضب ، وعموما كانت عائلة والدي مشهورة بسرعة الغضب . وقد أبرزت بعض الدراسات الحديثة في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس ، أن هناك نمطا من الخصائص الموروثة بعض العائلات التي لديها أطفال توحيدين ، كما أن العيون الزرقاء ، هي ميزة موروثة ، فإن صفات التوحد ، كنوبات الغضب ، قد تكون موروثة من جيل إلى جيل . وبدرجة أقل ، فإن والدي لديه ميزات شبيهة بما لدى مثل سرعة الغضب والاتجاه نحو الاستغراق في عمل واحد مثل التخطيط لرحلة سفر . وكفتاة راشدة ، فقد تعلمت كيفية التحكم في غضبي وبطريقة بسيطة ، فأنا لا أسمح لغضبي أن يبرز أو يرتفع ، فأنا لا أتجادل مع الناس ، وببساطة فإنني أبتعد عن المواقف التي فيها مشاكل ، ولا أسمح أن أطلق العنان لغضبي . ولقد رأيت كيف أن الغضب يدمر رباطة الجأش والصدقة والعائلة . ولقد أدت نوبات غضبي في المدرسة المتوسطة ، إلى مشاكل عديدة .

الفصل الثالث

المخاوف الجديدة

في نهاية الصف الثالث ، اعتقد والدي أن نهابي إلى المخيم الصيف قد يكون مفيدا لي ، ولقد اختاروا مخيما شعروا أن القائمين عليه سيستطيعون أن يفهموا حالتي . ولقد سألتني أمي « هل تحبين أن تذهبي الى المعسكر الصيفي في هذه السنة ، يا تمبل ؟ » .

لم أجب على السؤال ، وإن كان جزء مني يرغب بشدة في الذهاب إلى هناك وخاصة أن العديد من الاطفال الذين معي في المدرسة قد ذهبوا إليه . ولكن الجزء الآخر من جسدي ، كان غير راغب في الذهاب . فسيكون هناك (أي في المعسكر الصيفي) أناس آخرون وأصوات مختلفة وتجارب متعددة وبالتالي فسيعني ذلك تغيراً عن المعتاد ، والتغير عموماً ليس بالأمر الهين علي .

وقد أكملت أمي حديثها ، فقالت « ستستطيعين الرسم في المخيم والمشي في نزهات خلوية وقيادة القوارب والسباحة . » .

وبعد انتهاء الفترة الدراسية ، قامت أمي بتوصيلي إلى المخيم والذي كان يقع في سواحل الولاية « ولاية ماستيوشنت » في منطقة الكيب كاد . وكنت طوال الطريق وبدون توقف ، أتحدث وأسأل اسئلة متعددة عن الأنشطة والناس والامكنه .

وقالت لي والدي « ياتمبل ، أنت تعرفين مقدار ما أعرف عن هذا الأمر » ثم أعقبتها بابتسامة ، مستطردة « هل تذكرين الصورة في كتيب المخيم ، لقد كان هناك أطفال يسبحون واخرون يقودون القوارب » ، فقلت لها « ولكن أين سأنام .. فردت ضاحكة « أنت تعرفين ياتمبل ، هل تذكرين صور الكبائن ؟ لقد قلت لك أنك ستكونين في واحدة من هذه الكبائن مع سبعة أطفال آخرين ومرشد بالغ في السن . هل تذكرين ما قلت لك ؟ » .

وكان ردى عليها « نعم ، ولكن كيف سيتسنى لي معرفة مكان نومي » فتقول أمي « إن هناك شخصا سيرشدك اليه ، وستقضين صيفا ممتعا مع أصدقاء جدد ومغامرات جديدة » .

وعندما وصلت أمي إلى موقف السيارات في المخيم ، والذي كان يعلوه الغبار ، أسرعت امرأة شابة لمقابلتنا . ولقد كنت أود أن أختبئ في مكان ما ، في ذلك الحين .

لقد كانت كبائن النوم ، أكبر مما هو مذكور في كتيب المخيم وكان هناك العديد من الناس والأولاد والبنات يركضون ويصرخون ويضحكون .

وقالت المرأة الشابة عندما فتحت باب السيارة من جهتي « أهلاً بك في مخيم البجعة ، أنت تامبل كاردن كذلك ؟ أنا نان أرمن ، المسئولة عن الكابينة التي ستقيمين فيها » ولكني ظللت أنظر إلى الارض ولم أتحرك . فقالت أمي وهي واقفة بجانب المرأة الشابة ، انزلي ياتمبل وتحديثي إلى نان » .

ولقد شعرت بالحرارة في الخارج في ذلك الوقت ، ولكن من الداخل كنت أشعر بالبرودة ، وببطء بدأت أخرج من السيارة . وخلال دقائق ، أرشدتني نان إلى كابينة النوم ، وسرير نومي ، وخزانتني . وعندما جاء الوقت لوالدتي لتغادر المخيم ، كنت مشغولة في ارتداء رداء السباحة حتى أنني بالكاد ، قلت لها مع السلامة .

لقد كانت تجربة السباحة الاولى ، تعتبر بمثابة مرحلة جديدة بالنسبة لي وأن أضافت مخاوف جديدة إلى والدتي . لقد كنت أجلس على فوطتي ، لأستطيع خلع حذاء التنس . وكان هناك فتى ربما في الحادية عشرة أو الثانية عشرة يقول لأحد اصدقائه « لاتزعج نفسك مع هذا القادم الجديد ، فهي ليس لديها ما لدى النساء البالغات (ثم قال كلمة تعنى أحد أجزاء المرأة البارزة) .

وعندما سمعت هذه الكلمة من فم الصبي ، أخذت أرددها ، بينما الفتیان كانوا يضحكون .

وقد كانت هذه الكلمة ، هي كلمتي المفضلة طول الظهر ، فقد كانت كلمة جديدة ، ولقد أحببت الشعور الذي ينتابني عندما ألفظها . وفي طريقي في المواظبة على الشيء ، أخذت أكررها المرة تلو الأخرى . وكلما قلتها ، أخذ الفتیان يضحكون . وعندما قلت هذه الكلمة في المساء في كابينة النوم ، فقالت لي نان (المشرفة) ، إننا ياتمبل لانستخدم هذه الكلمة في لقاء مختلط . ثم قامت ببيان معاني هذه الكلمة لي ، ولكن هذا التوضيح كان بعد فوات الأوان ، لأنها أصبحت محفورة في ذاكرتي وأقولها على لساني بصورة منتظمة .

(ثم يدور حوار بين تمبل وأحدى صديقاتها في كابينة النوم ، حول الفروقات بين الفتیان والفتيات ، مما يجعلها بصورة عفوية تسأل الفتیان الذكور ، أسئلة لايمكن أن تسألها فتاة مترنة ، مما جعلها عرضة للضحك والاستهزاء) .

وفيما عدا غير هذه الحادثة ، فقد مضى الأسبوع الأول في المخيم الصيفي في مرح وسرور . فقد قمت بالسباحة والتجديف بالقوارب وصنعت سلسلة للعنق من

الاصداق ، خلال وقت الهوايات اليدوية . ولقد كان من حولي يقولون لي كلمات لا أفهمها ، مثلاً يقولون لي إنك ثم يقولون كلمة سيئة لها مغزى جنسى . فأقوم بترديد هذه الكلمة عدة مرات وهم يضحكون . ولكنني عندما أقول هذه الكلمات للسيدة نورثروب ، مسئولة المخيم أو المشرفة على الكابينة الأنسة نان أو إلى الانسة لينوا ، مسئولة الهوايات ، فأنهن لا يضحكن ، بل يشحن بوجوههن عني أو ينظرون إلى الارض . ولكن هذا لم يمنعني من ذكر هذه الكلمات ، لأنني كنت مسرورة بمعرفي لهذه الكلمات الجديدة .

ومع نهاية الاسبوع الأول ، أصبحت مريضة . فقد صحت يوم الجمعة ، وأنا أشعر بالزكام والانفلونزا وكان صعباً علي التبول . وقد أخذتني الأنسة نان إلى العيادة الطبية ، حيث وضعتني الممرضة في الفراش . وبعد أن فحصني طبيب المعسكر ، وصف لي دواءً لمعالجة التهاب الاجهزة البولية . وقد ظلت طوال الاسبوع وأنا طريحة الفراش . وقد كانت الممرضة تدهن مواطن الالتهاب بالمراهم الطبية مرتين في اليوم ، وقد كانت عملية مؤلمة مما جعلني أصرخ من الألم . وقد كانت تعطيني بعض الحبوب المهدئة التي تجعلني أنام لمدة طويلة . وعندما جاءت أمي لتأخذني ، لم أستطع أن أعرف عدد الأيام التي قضيتها في العيادة الطبية .

وبعد شفائي من الالتهاب في منزلي ، قام والدي ووالدتي بزيارة الدكتور ستن وهو أخصائي طب نفساني ، وقد أوصى ، طبيب العائلة ، الذي كان يرعاني منذ المهد بالاتصال به . وقد كتبت والدتي هذه الرسالة ، بعد مقابلة د. ستن :

عزيزي د. ستن

لقد ، وصلت إلى بيتي بعد المقابلة وأنا مشوشة قليلاً ، وليس بسبب توقعاتك لاسباب عدم تأقلم تمبل ، ولكن بسبب حدة زوجي والذي فهم في نهاية الاجتماع غير ما كان يتوقعه . وأنا أعتقد أن زوجي كان يتوقع تبرئة من مرض ، والدكتور بلهم (طبيب العائلة) والسيدة دي (مدسة تمبل في الصف الثالث) ، يعتقدان أنه عنده ما يبرر ذلك . إن النقطة ، ليست ما إذا كان الطفل لديه هذه العادة أو تلك ، ولكن لا بد أن يقوم الطفل بالطريقة التي يتحرك بها ويعمل بها .

إن نفس الخصائص ، تظهر وبدرجات مختلفة في كل الأطفال ، ولكن السلوك القسري لتمبل هو المشكلة . ولكن مع ذلك ، فهو أفضل تحسن حصل . فعندما تكون تمبل في وضع مأمون ، تشعر من خلاله بالحب يطغي علي كل شيء وكذلك بالتقدير لها ، فإن هذا السلوك الاجباري نجده يتضاءل . ولذلك فإنه من الملاحظ أن صوتها

بدأت نغمة الانفعال تقل فيه ، وكأنها بدأت تتحكم في نفسها . إذا كانت تمبل في البيت ، فليس هناك مشكلة . وإذا كانت في محيط الجيران مع بعض الاصدقاء المقربين ، فإنها تستطيع التحكم في سلوكها في كل الاوقات . ولقد كانت هي واثنيتين من الفتيات تجمعهما صداقة حميمة ، وكان التقدير والاحترام بينهما متبادلا . ولقد لعبن معا ، خلال الصيف الماضي ، لعبا لم تلعبه تمبل طوال حياتها . وقد كانت علاقتهما بها طبيعية وسعيدة ، كأى علاقة تجمع بين فتيات صغيرات . كما أن سلوكها في المدرسة قد تحسن كثيرا . ولكن المشاكل والصعوبات تبرز عندما تتعب أو تعود إلى المدرسة - بعد العطلة المدرسية - وبالتالي عليها أن تتأقلم مرة أخرى . وكما أن تجمعات الاشخاص الكبيرة التى يغلب عليها الصخب ، تثير لديها القلق والارتباك . وعندما يطلب منها العمل ، فإنها تضيع جزءا كبيرا من طاقتها في الشكوى ، أو في الاندفاع بقوة وطرح نفسها جانبا ولكنها في النهاية ، تنكب مرة أخرى على العمل . إنها تريد دائما أن يكون هناك شخص بجانبها ، يكون محل ثقة . وأنا متأكدة ، أن تحسنها مرتبط بدرجة كبيرة ، بالتقدير والحب الذى يمنح لها . وحتى يأتي الوقت الذى تستوثق من أنها في أمان في المحيط التى تعيش فيه ، وتعرف حدودها وتشعر بأنها مقبولة ومقدرة ، فإن سلوكها يستمر بكونه غريب الاطوار .

في أي علاج مع ابنتي تمبل (ولنفترض ن أقترحك حول الجرح النفسي صحيح) ، يكون أهم عنصر فيه هو الحب . وكأنها تريد أن تعوض عن الحب الذى لم تعطه أو تستلمه في سنوات حياتها الاولى ، فإن تمبل يكون سلوكها ممتازا عندما تشعر بالحب . إن اولئك الذين يتعاملون معها بصورة لطيفة ، يستمتعون بالعبارة معها ويحصلون منها على أحسن الاستجابات . أما زملاؤه في المدرسة ، فقد تعلموا أن يقبلوا غرابة أطوارها ، لأنها تعطيهم المعلومات وتغنيهم بالافكار . ولقد سمعت مرة إحدى هؤلاء الفتيات الصغيرات ، تقول « أنا أحب تمبل ، لأن لديها العديد من الأفكار وتصنع العديد من الاشياء » . وعندما تكون نهاية أحد الأيام ناجحة بالنسبة لتمبل ، نجدها تأتي إلى البيت وجعبتها مملوءة بالعديد من الاحاديث حول أصدقائها ثم تذهب إلى غرفتها وتنظمها بصورة مرتبة ، لأنها أصبحت محبوبة وبالتالي تود أن تكون ممتازة وتعرف أنني سأكون مسرورة إذا نظمت غرفتها . وستقول لي « أنا أحبك يا أمي » ، لأنها تشعر بالسعادة والحب ، والاثنان بنظري هما وجهان لعملة واحدة .

إن المدرسة النهارية لريف الوادى ، قد قامت بعمل جبار في مساعدة ابنتي تمبل

في العيش مع مزاجها العصبي وفي تطوير مهاراتها . إن أستاذتها السيدة ديبى ، تشعر بأن تمبل بحاجة إلى وسط معروف لديها وأن من يتعامل معها لابد أن يتعامل مع غربة أطوارها بدلا من أن تصدمه وتجعله يبتعد عنها . إن تمبل بحاجة إلى معرفة الحدود لاي موقف جديد . إن اداءها الرياضي ضعيف وكذلك مشاركتها ولعبها في الالعاب الجماعية الثنائية ، ولكنها تستطيع المنافسة بصورة منفردة . كما أن لديها موهبة فنية وهو فخورة بأعمالها الفنية والتطريز . وتشعر السيدة ديبى ، أن تمبل بحاجة في معظم الوقت ، إلى التصنيع أو الاهتمام المتبادل ، ولا بد أن تكون هناك رابطة أو علاقة بينها وبين الشخص البالغ .

ولعل معظمنا وبصورة غريزية ، نضيع حياتنا لنرضى من حولنا وبالتالي نكتسب خاصية ما هو مناسب أو غير مناسب . ولكن تمبل ، تفتقد هذه الرغبة في التكيف أو أن نبضاتها العصبية غامرة بحيث لا تستطيع التغلب عليها ، أو لعل الأمر على قليل من الأمرين .

لايوجد شيء مرورع أو صعب ، بالنسبة لنا ، في العناية بابنتنا تمبل ، ولا أشعر بالأسى بالنسبة لنا . وقد رغبت في كثير من الاحيان ، أن تحصل على أحسن ما عند كل واحد منا . إن كل شخص تعامل مع تامبل ، أعطاهها بلا حدود من جهده ونفسه ، وكانت هي ترد الجميل . وأنا متأثرة جدا من رعايتها وحبها لي ولذلك فأنا محبطة لما جرى من مسلسل المخيم الصيفي . لأنهم كانوا أول من فشل معها . ولعل السبب أنهم كانوا حساسين تجاه الحديث عن الفوراق الجنسية (قد سبق ذكره في الفصل السابق) .

كما أن السيدة ديبى ، مدرسة ابنتي تمبل في الصف الثالث ، قد أخبرت السيدة نورثريب ، مسئولة المخيم أن تضع مرشدة في كابينه تمبل ، ممن لها خبرة كبيرة ووافرة . ومع أن نان (مرشدة الكابينه) ، كانت صغيرة وجميلة ولطيفة المعشر ، إلا أنها لا تعطيك الانطباع بأن لديها تجارب وافرة . ولذلك فإن السيدة نورثريب ، اختارت الطريقة الأسهل ، وألقت اللوم على تمبل . إن إتهاماتها كانت قوية عندما قالت أنها ومساعدتها ، كانوا أكبر سنا وبالتالي أعلم منى وكذلك لهم الحق في الادعاء ، بأن تمبل كانت متقدمة في النواحي الجنسية وغلب عليها الهاجس الجنسي . ومعظم هذه الاتهامات قيلت عبر الهاتف بصورة هادئة ولكنها مثيرة للاعصاب . وقد قالت السيدة نورثروب « لقد سمعت أحد الصبيان يقول للآخر « لقد اشارت إلى بإشارة غرامية ويقصد هنا تمبل وما يحمله ذلك من معان » وعندها أحسست بأن

هذا الأمر قد يكون غير مقبول من حيث الاعتماد فقط على حديث بعض الشباب أو معنى إشارة قد تكون مفهومة لدى ناس ولكن غيرهم لا يفهمها ، قالت السيدة نورثروب « أنا أفهم أن هذا التعبير يستخدم من قبل الشباب الصغار ولكن لا أعرف بالضبط ما هو المقصود » .

الدكتور ستن ، برأى ، إن المشكلة الرئيسية هي إلتهاب المسالك البولية لدى تمبل ، مما يجعلها كثيرة اللمس والحكة والتحسس لجسمها . ولكن بعد أن وصف لها الدكتور ، الدواء المناسب لهذا المرض ، فقد علقتم المرضة بقولها « رأيت كيف أن الطفلة قد تركت الأفعال غير السليمة » . ولعل المشكلة الثانية ، كانت غياب المعرفة لدى القائمين على المخيم الصيفي . ولعل تمبل تحاول دائما أن تختبر الناس الجدد من حولها ، لتتعرف على حدود سلوكها ونشاطها . ولعل أى مرشدة ذات خبرة ، تستطيع أن تعرف ذلك . وبالتالي لم يقوم أى شخص بإيقاف أسئلة تمبل عن الأشياء والأفعال الحساسة والفوارق الجنسية ، وكان – السؤال – داعيا لإيقاف كل هذه الملاحظات والحوادث السخيفة عنها . وقد قالت تمبل « لقد طلبت منى السيدة نورثروب عدم إستخدام بعض الكلمات ، وبالتالي لم أستخدامها معها » .

ولم لاحظ شخصيا ، بأن أى شخص في المخيم يشعر بالسعادة بالتعامل مع تمبل ، ولم يشعروا بالسعادة حتى استطاعوا أن يخرجوا تمبل من المخيم . لم تسمح المرضة لنفسها بالحديث عنها ، إلا عندما ركبت السيارة ، فقالت لي وبنبرة عاطفية « إنتظري فقط حتى ترى ما صنعت تمبل من أشياء جميلة في العيادة الطبية ، إنها فنانة صغيرة » عندئذ ، إنطلقت من صدرى ، زفرة حادة ، وذلك لأن تمبل قيدت حريتها في الحركة ، حتى أنها لم تستطع رسم خط واحد . إنني لا أحاول الدفاع هنا عن تمبل ولكن أحاول أن أبين أن السلوك المجبر عليه ، قد أخذ منحى غير سوي ، بسبب طبيعة الإلتهاب الذى حصل لها ، وليس لأنها تحاول أن تأتي أفعال البالغين (كما فسرها القائمون على المخيم) . لقد أسخطنى ، أن طفلتى قد قيدت حركتها ومع ذلك لم يعترف القائمون على المخيم بذلك . والشىء الغريب عن هؤلاء القائمين على المخيم ، أنهم يعطونك الشعور بأنهم أصحاب عاطفة دافئة وذوو كفاءة ويعطفون على الاطفال الذين تحت مسئوليتهم . ولعل إذا كانت خطيئتها أى شىء سوء الجنس ، لأمكنهم التعامل معها بصورة تثير الإعجاب . إنهم أول اناس من الذين قابلتهم ، لم يحاولوا الوصول إلى تمبل . والجانب المحزن من هذا الأمر ، أن تمبل أحببت المخيم وتذكر جميع ما جرى فيه بعاطفة جياشة .

وعادة عندما تكون الحياة صعبة بالنسبة لتمبل ، فإنها تكون عن نفسها ، فكرة غريبة . فهي المرة الاولى التي بدأت تأخذ فيها دروس السباحة ، كلما لم تستطع تعلم السباحة ، كانت تغضب وترفس من حولها . ولكن مدرس السباحة ، كان فتى عاقلا وراشدا ، كان مرحا . وصبورا ولكنه حازما معها . وبعد إنتهاء الامر ، سألتني تمبل « لماذا لدى مشاكل في تعلم كيفية إدارة شئونني والتحكم في سلوكي » . وعادة تقوم تمبل بعد فترة من التأمل وفحص النفس ، بأخذ خطوة سريعة إلى الأمام . وفي وقت آخر ، أبدت ملاحظة مرة ، أنه من الصعب التعلم للبقاء ومع ذلك أخذت خطوة سريعة إلى الأمام . ولم تكن ترضخ عندما حاولنا تعليمها ركوب الدراجات ، ولكن عندما تركناها مع خبيبة الامل ، فقد حاولت التعلم وبسرعة كبيرة . ومنذ جاءت إلينا من المخيم ، بدا لي أنها أصبحت أكثر نضجا . وأنا أعرف أنها قلبت الامور في عقلها عدة مرات (أي ما جرى في المخيم) ، ولعل معرفتها القليلة بالنفس الداخلية ، قد يكون الحل الذي سيساعدها في طريقها .

وأنا سعيدة أن اجتماعي معك ، لم يكن المحاولة اليائسة الاخيرة ، بل كان وسيلة لمساعدة تمبل في النضوج الناجح . وإذا كانت هي مشلولة أو عاجزة عاطفيا ، فعلى على الأقل هي لا تعرف ذلك . إنها طفلة سعيدة .

وأرجو منك أن لا تكون متوجسا أو حذرا من اعلامنا بالتشخيص السليم لها . إن المرء لا يتوقف عن حب طفل معين لمجرد أن جرحاً نفسياً قد أصابه وقد قدم تفسيراً آخر له . إن الطفل سيبقى هو نفس الطفل والعائلة ستبقى هي نفس العائلة ولعل العلاج كذلك . ولعل إحدى الفوائد في تربية الأطفال ، إنها عملية ثابتة ويومية ، وليست مشكلة لا بد من حلها في ثلاثة أيام مثلا .

وإذا لم تكن تشعر بأن تمبل ستنهال وبلا أمل عندما تبلغ سن المراهقة ، فإنني لا أرى أي تغير في الصورة الحالية لها . وإذا كنت تعتقد أن حالتها النفسية منتظمة ، فإننا سنكون مسرورين وسعداء لسماع نصائحك في هذا الصدد . لعلني راغبة في أن أعرف المزيد عن السبب الذي جعل الدكتور كريثوس والدكتور مايس - وإنني أكن لها أشد الاحترام - يصفان علاجاً عادياً لابنتي تمبل منذ كان عمرها ثلاث سنوات ، بينما كانت بحاجة إلى علاج غير عادى . أود أن أسمع رأيكم في هذا الصدد . لقد استفدنا كثيرا من النصيحة المتخصصة والأفكار النيرة التي أعطيت لنا . ونحن مدينون بالشكر لمستشفى سان ليول ، لأنه بسببهم واهتمامهم ، اتجهنا لطلب النصيحة المتخصصة .

المخلصة السيدة كاردين

وبعد طلب آخر للنصيحة المتخصصة ، أصبح والدائ يأخذني ، مرة في الاسبوع إلى الطبيب النفساني . والدكتور ستن ، الطبيب النفساني ، هو أصلاً من المانيا وتخصص على أساس نظرية فرويد . ولذلك فمن المفترض أن يسبر أغوار وأسرار ما وراء الوعى وبالتالي يكتشف الاسباب التى تجعلني غريبة . (إن النظرية النفسية في عام ١٩٥٦ ، تفترض أن سبب مرض التوحد ، هو حدوث جرح نفسي للطفل . وأما العلم الحديث ، في علم الاعصاب فيوضح أن هذه النظرية ضرب من الخيال . فالتوحد ينتج عن ضرر في النظام العصبي المركزى وبالتالي فهو مشكلة فسيولوجية) .

بالنسبة لي ، كان د. ستن ، أحد الرجال يظهرين على غطاء دواء لامراض الكحة . لقد كان من ألطف رجال الذين سبق أن تحدثت اليهم أو لعبت معهم . ولقد كان يبقي قطعاً من الشوكلاته على مكتبه ، لأستمع بها . إن محاولة معرفة جذور الجرح العصبي الغامض ، كان مهمة مستحيلة ولكن د. ستن كان مفيداً ، لأنه نصح أُمي بأفضل السبل للتعامل معي . لقد علمتني أُمي كيف أقرأ كما أنها تدافع عني عندما أتورط في مشكلة في المدرسة . كما أن غريزتها المفعمة قد أثرت في كثير من ساعات من العلاج المتخصص الباهظ الثمن .

وبما أنني أعرف أن الاخصائي النفساني تحدث إلى أُمي على انفراد ، فإنني لم أقل له بعض الأشياء . ولعلني لم أكن حساسة نحو علاقتي مع الناس من حولي . فعندما كانت تحدث بين والدتي ووالدى بعض المشاكل - التى تحدث عادة بين الأزواج - وتساءلني أختي جين « هل تعتقدين أن والدتي ووالدى سيحدث بينهما الطلاق » ؟ ، فإنني ارد عليها بعنف « بالطبع لا . وبما أنهما يتحاشيان رفع الاصوات في حضوري ، فإنني لم أستطع أن أستشعر مظاهر التوتر بينهما . وعموماً ، كانت علاقتي مع أختي جين ممتازة ، وهى التى تصغرني بعام ونصف . وبما أن أخي الآخر وأختي الاخرى ، كانا أصغر مني بست وثمان سنوات ، فقد كنت أنا وجين قرينتين لا نكاد نفترق ، كما أصبحت بين اخوتنا الصغار علاقة حميمة .

ولعل أحد الأشياء التى لم أخبر بها الطبيب النفساني ، هى رغبتى في بناء جهاز سحرى يوفر لي الاتصال والراحة الجسدية . وحتى أنني شعرت بأن هذه الفكرة ، قد يجعلها الاخرون تحت قائمة سلوكياتي الغريبة . ولكن بدلاً من رد فعلي الشاذ اتجاه إحتضان عمتي السمينية لي وعوضاً عن سلوكي وكلامي الغريب والبعيد عن السلوك السوى في المخيم ، فإن توفر هذا الجهاز ، قد يجعلني غنية عن هذا الأمر . وفائدة هذا الجهاز ، أنه يساعدني على التحكم في المثيرات التى بداخلي . وأستطيع

بذلك تلبية حاجتي للاتصال والراحة الجسدية ، بدون غمر حواسي بحجم كبير من المدخلات والتي لا يتحملها جهازى العصبي .

توضح إحدى الدراسات أن حاجة الاطفال إلى بعض الاحتكاك الذى قد يؤدي إلى أفعال غير سوية ، يقل مع زيادة العاطفة والاحتضان من قبل الوالدين . إن جهاز الراحة الجسدية الذى أسعى للحصول عليه ، ليس بديلا لعاطفة الامومة ولكنه سيساعد نظامي العصبي المتضرر أو المتأخر النمو ، لتعلم كيفية إحتمال العاطفة أو شعور المحبة من الناس الاخرين الذين يحبونني كوالدي وعمتي .

لقد سألتني د. ستن العديد من الاسئلة عن الحب ومن يحبني ومن أحب . ولقد سألتني « كيف وضعك مع أصدقائك في المدرسة ، هل هي حسنة ؟ »

فرددت عليه ، بينما أمد يدي إلى الاناء المملوء بالشوكولاته « أنا أخمن ، ولكنهم أيضا يضايقوني » . فيقول د. ستن « ماذا فعلت حتى يفعلوا ذلك » فأرد عليه قائلة « قد يكون بسبب إنني أضربهم » ثم أرجع برأسي إلى الخلف واضع في فمي قطعة من الشوكولاته . ثم يقول د. ستن « انتبهى يا تمبل لما أقول ، هل علاقتك حسنة مع والدك » . ولكنني في قرارة نفسي صممت أنني لن أخبره بأي حال من الاحوال عن غضب والدى السريع . وبينما أتناول حفنة أخرى من الشوكولاته ، قلت له « بالطبع والدى يغضب أحيانا مثل غضب الناس خلال غرس البذور أو تشذيب الزهور . ولكن ما أحبه حقيقة ، هو مساعدته في إصلاح قاربه وخاصة في تلميع لوازم القارب . ويثنى على والدى عادة بقوله « إنك أفضل شخص رأيته في حياتي في مجال تلميع اللوازم » . وهذه حقيقة ، كما أنها حقيقة إنني أكون مع والدى في أفضل حالاتنا وقمة عطائنا ، عندما نقوم بعمل جسدى .

في ذلك الوقت ، كان د. ستن ينحنى برأسه بينما كان يسجل بعض الملاحظات على ملفي . وقد تكررت زيارتي للدكتور ستن على مدى السنتين التاليتين وهذا جعل شركة الشوكولاته تستمر بالربح والنجاح . وفي نهاية المرحلة الخامسة ، كتبت أمي إلى الدكتور ستن :

عزيزي د. ستن

أعتقد أن هناك حاجة لفحص آخر من قبلكم لتمبل . ومع أن هناك تقدما في حالتها ، إلا أن هناك العديد من النقاط التي أود مناقشتها معك .

أولا : يبدو لي أن تمبل يكون اداءها أفضل في المنزل في جميع الاحوال . فهي تكون محببة وودودة ومطبعة وتحب المساعدة . ولذلك يكون بودي أن

يرى الأشخاص في الخارج هذا الجانب المشرق من شخصيتها : أنها تعتمد على نفسها وبطريقة تدعو إلى التقدير .

ثانيا : إن أداءها الدراسي مقبول ولكن من خلال إجبارها واکراها على ذلك . إنها تكره دروس الفرنسية وقد كانت - بصراحة - مصدر رعب لمدرسة اللغة الفرنسية . فهي تؤدي الواجبات المدرسية بصعوبة بالغة ومع أنه لأتني واتباعا لنصيحة مدرستها ، أساعدها في الليل في استذكار روسها . ولقد حصل تقدم كبير - بسبب ذلك - خلال السنة ، وخاصة عندما بدأت المدرسة ترسل تقارير اسبوعية عن تقدمها الدراسي . وفي بعض الاحيان أطلب هذا الأمر (أى التقارير المدرسية الاسبوعية) ، على وجه التخصيص ، مما ساعدني على جعل ذهن تمبل مرتباً بالأداء الدراسي . إن مشكلتها الدراسية الحالية ، هي : هل بإستطاعة تمبل أن تُنقل من مدرسة الوادى الريفية إلى مدرسة عادية منظمة ؟ هل يمكنها المتابعة أو الاستمرار مع المتطلبات الدراسية ؟ هل تستطيع أن تتعامل مع الآخرين من الناحية الاجتماعية ؟

السيد جونسون ، أستاذها في المدرسة ، لا يرى أن يكون هناك أى سبب يمنعها من متابعة تحصيلها العلمي بشرط أن تكون حالتها متفهمة لدى الذين يرعونها وأن يتعاطفوا مع وضعها . إن الخطورة تكمن في أننا قد نكون متفائلين حول مستقبلها ، نظرا للتقدم المطرد الذى نلاحظه في حالتها . إنه من الصعب لشخص قريب من تمبل ، الوصول إلى نتائج ، قد تكون مخيبة للأمال ، ولذلك فنحن نحتاج إلى مساعدتك في ذلك .

كما أود أن أذكر لك أن لدى شعورا مخيفا ، بأنني قد بالغت في تطبيق دور الموجه لتمبل وأشعر بأنها بحاجة إلى أن تبني قدرتها على توجيه نفسها . إن علينا هذه السنة والسنة القادمة أن نعددها ، أما لحياتها الجديدة في المدرسة واعتمادها على نفسها أو اعدادها لتعيش حياة أخرى بعيدا عن أصدقائها . لابد أن يكون هذا واضحا لها ولنا ، إذا أردناها أن تقف على أرض صلبة . لقد حاولت أن أبين لها ، أنها ستذهب إلى مدرسة أخرى معتمدة على نفسها . إننا لا يهمننا إلى أى مدرسة تذهب ، ولكن الخيار سيعتمد على ادائها ، ويمكنكم انتم وعائلتها وأستاذها ، مساعدتها ونصيحتها ، وهذا أمر صعب ، آخذين بعين الاعتبار أنها طفلة لا يتجاوز عمرها عشر سنوات ، ومهما كانت درجة محبة عائلتك لك ، لا يكن أن تتدخل في كيفية عيشك

وقضاءك لحياتك .

إن لدى شعورا بأننى أحاول أن أكون لطيفة مع جميع من لهم صلة بتمبل ، حتى يكونوا في حالة نفسية ايجابية تمكنهم من التعامل معها ومساعدتها . ولكن الوقت أصبح يدركني ولا أستطيع الاستمرار في هذا الأمر لمدة طويلة . كيف أستطيع أن أساعدها ؟ إلى أى حد أستطيع أن أضغط عليها ؟ لقد كنت دائما أستغرب كيف تستطيع أن تقضى تمبل على سلوك سيء إذا أرادت ذلك . إنها في الوقت الحاضر ، تحاول وبصورة جادة ، التحكم في نفسها وسلوكها . كم تستطيع أن تستوعب من ضغوط وضبط سلوكي ، مني أو من المدرسة ؟ هل أنا في الوقت الحاضر أساعدها ، أم أبني كتلا من المشاعر السيئة لديها ؟

لقد كان تقديري دائما ، أن الضبط السلوكي من العائلة أو من شخص محب لها في المدرسة ، أسهل من الضبط السلوكي من الغرباء ؟ ربما تستطيع أن تقدر ذلك . في بعض الاوقات ، تغادر تمبل المنزل وتقول إنني أجعل حياتها لا تطاق ولكنها مع ذلك تعتمد على المنزل في ضبط سلوكها وتوجيهها . ولقد قيل لي إنها تكون مسئولة وبدرجة كبيرة عندما تكون خارج المنزل - ولعل هناك عائلتين بالاحص ، توافقنني ، وترحبان بحضورها في جميع الاوقات .

إن هناك مشكلة بالاحص تضايقني مع تمبل وهى عدم فهمها للمعاني والايحاءات المتعلقة بالفروق بين الذكر والانثى . وقد قال لي السيد جونسون مدرسها في الصف ، إنها في بعض الأحيان تستخدم بعض الكلمات والتعبيرات السوقية والبذيئة . ولقد أخبرت تمبل أن هذا النوع من الكلمات هي كلمات طفولية وقد تسبب احراجا للآخرين . ولدهشتي ، فقد أنكرت أنها البادئة أو المحرصة على هذه الالفاظ وأن الطلبة هم الذين جعلوها تلجأ إلى ذلك . كيف أستطيع أن أساعدها في هذا الموقف بدون أن أضايقها ؟ إننا جميعا حائرون ونحتاج إلى مساعدتك .

ولكن ، كما تعلم يا دكتور ستن ، هناك الكثير من الامور الحسنة لديها ، فهى لديها حرص ورغبة في الاداء الجيد مع رشد وعقلانية ممزوجة باتجاهات طفولية ولكنها كلها مخلوطة بعضها مع بعض .

ولعلنا جميعا ، نستطيع أن نساعدنا في أن تفهم نفسها وخاصة أن لديها مقومات الفتاة السوية . ولعل هذا يمكن أن يذكر عن أى طفل ولكن هذا طفلنا . إذا كانت هناك وسائل وأمور يمكن عملها ، لنسعى إلى عملها بدلا من الاحجام أو خداع أنفسنا .

لقد حاولت تمبل جاهدة هذه السنة لتتقدم ، وبالتالي فهي تستحق أن نقدم لها

كل ما يمكننا من مساعدة وإنني أتطلع إلى سماع نصائحكم ومقترحاتكم .

المخلصة السيدة كاردين

الفصل الرابع

الأيام المنسية في المدرسة المتوسطة

يقول اودل شيرد « على العكس ، فإن ذاكرة الانسان ، هي ما يتبقى بعد ذهاب ما يود نسيانه » هل هذه العبارة تنطبق على أيامي في الدراسة المتوسطة ؟ . ونظرا لأن تلك الايام ، كانت أكثر الايام تعاسة ، فاني أتذكر أجزاء منها . وعندما أحاول أن افتح نافذة إلى ذاكرتي ، أجدها مزدحمة بالانطباعات السيئة مما يؤدي إلى شعوري بسياج من العزلة . وعندما ترد إلى خاطري ، ذكريات المرات المزدحمة ورفض الزملاء لي والمشاعر السلبية لدى الاساتذة ، أجد أن ريقى ينشف وأشعر بالحاجة إلى الهروب إلى عالمي الداخلي الذي أبتعد فيه عن تلك الذكريات الأليمة . كما هي العادة بالنسبة للشابات التوحيديات ، لم يقدم لي التغيير من خلال منحة أو نعمة الهية .

بعد الانتهاء من مدرسة الوادي الريفية النهارية ، دخلت المرحلة السابعة في مدرسة شيرى هل للبنات في نورش - ولاية كونتيكت . وهذه المدرسة ، هي مدرسة نهارية خاصة ، معظم روادها من بنات الفئة العليا من الطبقة المتوسطة . وهي تختلف عن المدرسة الابتدائية الصغيرة ، التي عشت فيها مع ثلاثة عشر طالبا في الصف ومدرس يقوم بتدريس كل المواد . كما أن المدرسة الابتدائية كانت قد عملت بصورة مكثفة مع والدي لضمان حسن أداء الدراسة .

إن دخولي مدرسة شيرى هل للبنات ، حيث ما بين ٣٠ - ٤٠ طالبة في كل فصل ومدرس أو مدرسة لكل مادة ، كان بالنسبة لي أمرا مثيرا للقلق وداعيا للانفعال والغضب السريع . لقد أصبحت ضائعة بسبب التدافع بالمناكب والزحمة المزعجة في ممرات المدرسة ولم أعد قادرة على النجاح في المواد التي لا يتم تعلمها بالنظر كالرياضيات والفرنسية . لقد كانت قضايا مجردة ومبادئ عامة ، لا يتم تقديمها بصورة واضحة بشكل أشياء أو مفاهيم وبالتالي أصبح من الصعب عليّ استيعابها . إن الشيء الوحيد الذي أتذكره من درس الرياضيات هو شرح بواسطة اليد لمعنى ط نق ، وهي المعادلة المستخدمة في معرفة مساحة الدائرة . ولا زلت أتذكر كيف أن المدرس اخذقطعة من الورق المقوى على شكل دائرة ، ثم شد حبلًا على محيط الدائرة وبين للصف أنه يساوي ثلاث مرات طول القطر زائدا قدرا

معينا يساوى ٣,١٤ .

ولقد كان هذا شيئاً حقيقي بالنسبة لى ، وبالتالى سهل على استيعابه . وعلم الاحياء هى المادة التى كنت فيها متفوقة نسبيا ، نظرا لأنها تعتمد على فن التعلم على رؤية الاشياء بدلا من التعلم الذى يعتمد على تسلسل الامور . وكما هو الحال في المدرسة الابتدائية ، فقد كان تحصيلي العلمي جيدا في دروس الفن مثل صناعة المجوهرات . كنا نعمل الاشياء من فضة حقيقية وقمت بصناعة قطعة من المجوهرات الفريدة . ولكن كما كان الحال في المدرسة الابتدائية ، فعندما لا أفهم المادة ، أشعر بالملل ، وعندما أشعر بالملل يصبح سلوكي سيئاً . ولدى التأمل في هذا الأمر الآن ، أجد أن جزءاً من مصدر إنخفاض ادائي هو نتيجة لشعورى بالملل . ومع ذلك كان هناك شعور بالاثارة مثل التساؤل حول ماذا سيحدث أو ماذا سيكون رد فعل زملائي ، وهل سيتم الإمساك بى . ولعل مثالا جيدا على ذلك ، هو درس الرياضة البدنية ، حيث كنت أنتظر حتى تدخل كل الفتيات إلى الصالة الرياضية ، فأنتهز الفرصة وأقوم باخفاء ملابسهن . وبعد ينتهى درس الرياضة البدنية ، أستغرق في الضحك في داخلي من منظرهن وهن يركضن هنا وهناك بحثا عن ملابسهن . وعادة ما يستمر ارتداء ملابسهن الرياضية حتى الحصة القادمة ، وأقوم باخفاء ملابسى حتى لا أصبح عرضة للشبهة .

وهناك حيلة اخرى ، هى ربط حبال مفاصل أدرج التلاميذ في الصف ، حتى إذا حاول أحدهم أن يفتحها ، ينتج صوت مريع واضطراب في الفصل . ومثل هذه الحيل ، كانت تغذى وتخفف من الملل الذى أشعر فيه في الفصل .

بالطبع ، قامت المدرسة بالاتصال بوالدتي حول أدائي المدرسي الضعيف ، مما جعلها تتصل بالدكتور ستن ، حول القلق الذى ينتابها . وقد كان د. ستن صديقا لمدير مدرسة شيرى هل ، مما مكنه أن يكتب هذا الخطاب اليه .

عزيزى جم (مدير المدرسة)

لقد اتصلت بي بالامس ، السيدة كاردين ، لأنها قلقة أن يكون هناك سوء فهم من قبل بعض الأساتذة في مدرستكم حول حالة ابنتها تمبل .

لقد عرفت عائلة كاردين من يوليو ١٩٥٦ ولكن بدأت صلتي بهم في مجال العلاج من ديسمبر ١٩٥٨ وحتى يونيو ١٩٥٩ . إن تمبل هى واحدة من هؤلاء الأطفال غير العاديين الذين كانت مرحلة الطفولة المبكرة من حياتهم مضطربة ، وللأسف اعتقد البعض في ذلك الوقت أن عندها تلفا في الدماغ . وباجرائي الفحوصات النفسية

باهتمام أكثر نتيجة للملاحظات الطويلة الامد ، اقتنعت برأى يختلف عن الرأى القائل بأن لديها تلف في الدماغ . كما تعلم فإن الاختبارات النفسية تسعى إلى معرفة الأسباب العضوية للاضطراب . ففي عام ١٩٥٦ ، حصلت على علامة كاملة على مقياس الاختبار ١٢٠ ، وأما في عام ١٩٥٨ ، فقد حصلت على علامة كاملة على مقياس ١٣٧ . ولكنها في الحياة وفي وظائفها العلمية كطفلة ، لا ترتقى إلى هذا المستوى العالي .

دعنى في هذه اللحظة ، أعبر عن رأى من خلال تلخيص الحالة ، الذى عرضت من قبل الاخصائين النفسانيين وكانت كالتالى « في خلاصة ، إن تمبل طفلة ذات ذكاء عال ، من أبرز مشكلاتها ، أنها لا تستطيع إطلاق مشاعرها لتستخدم ذكاءها في أمور خلاقة . وإذا نظر المرء إلى هذا من وجهة نظر أقل ايجابية ، فإنه سيرى فيها صراحة أكثر من اللازم ، ومعرفة سطحية لفحص واختبار الواقع المحيط بها تحت ظروف من القلق الشديد ، واندفاع شديد لا يجب أن يكون في طفلة عمرها إحدى عشرة سنة . أما في الجانب الايجابي ، فإن الانسان يرى سلوك بالغ غير شاذ . كما أنه يرى تحكما ذكيا واستخداما عقليا مناسباً وقدرة للتعامل مع المواقف كيفما برزت ، علما بأن تحكمها يتطلب قدراً أكبر من طاقتها .

إن تمبل ليست مريضة نفسياً ولا حتى قريبة من ذلك . ولكن يمكن أن نطلق عليها أنها مريضة عصبياً ، لأن لديها القدرة على التنظيم الفردى ولديها التحكم اللازم للمحافظة على هذا التنظيم ما عدا الحالات التى ينتابها ضغط شديد . وهى لازالت في مرحلة تطویر الجانب الأكثر اشراقاً في شخصيتها . وإن التقلب الذى يراه الانسان فيها ، هو جزء من عملية تطورها وتقدمها ، لقد قطعت مسافة مذهشة من التقدم منذ آخر مدة رأيتها فيها .

اعتقد أن تمبل طفلة لها قدرات كامنة وامكانيات واعدة ، فهى مبتكرة بطريقة غير عادية مع العلم أن بعضاً من سلبياتها قد يجعلها واضحة للعيان . وبالطبع ، فإنها ستنتقل إلى مرحلة البلوغ وقد تركت مدرسة عرفتتها في أسوء حالاتها ، ومع ذلك كانوا يساندونها ، وكانوا سعداء بالتقدم الذى حققته .

أرجو أن تعلمنى إذا كان هناك شىء أستطيع أن أوضحه أو أن أساعدكم بأى أسلوب ترونه مناسباً لكم أو للعاملين معكم . وأنا متأسف ، أننا لم نلتق كثيراً خلال السنتين الماضيتين .

ولقد كان د. ستن محقاً ،... فقد حققت بعض التقدم . لقد حاولت معظم الوقت أن

أتأقلم ولأسباب مقبولة ولكن بدون خلق أي اضطرابات . فقد تم انتخابي إلى لجنة النظام والإدارة . ودور اللجنة هو أنه اذا تحدث أى شخص أو لم يلتزم بالطابور ، فأنتني أسجل عليه علامة سيئة . ولأنني كنت أود أن أكون في لجنة النظام والإدارة وخاصة أنني أستمتع بذلك ، فقد تخلصت من السلوكيات الغريبة أو غير المقبولة مثل أخفاء ملابس الرياضة أو غيرها من أنواع المزاح .

لقد كانت هناك أشياء أخرى أكدت تقدمي . لقد كنت أحب أن أرى البرنامج الخيالي مسلسل ما وراء الشقق في التلفزيون ، وكنت أحب قراءة كتب الخيال العلمي وكنت مولعة بتصاميم الطائرات . ولقد حاولت أن أعمل تصاميم غريبة وجديدة وأسعى جاهدة لمعرفة قابليتها في الطيران . والاهتمام بالاشياء الطائرة ليس امرا جديدا على أسلوب حياتي ، فعندما كنت طفلة صغيرة ، صممت طائرة ورقية جعلتها تطير خلف دراجتي ذات الثلاث عجلات . وولقد توصلت من خلال ملاحظاتي ، أنه إذا جعلت الطائرة الورقية مستقيمة وقمت بطى نهايات الاجنحة قليلا ، فإن طائرتي ستطير بسرعة أكثر وإلى ارتفاعات أعلى مع حركة أقل ولكنها ستطير بزواوية حادة جدا . وبعد سنوات من ذلك التاريخ ، رأيت في مجلة الوال ستريت (الامريكية) ، اعلاناً عن طائرة لرجال الأعمال مزودة بأجنحة صغيرة على نهايات الأجنحة الكبيرة يمكن رفعها قليلا ، وتشابه تماما ما فعلته بالنسبة للطائرة الورقية . ولعل رغبتني في الاشياء الهندسية يمكن أن تعزى إلى جدى الذى كان مهندسا . فقد اخترع هو وشريكه أهم جزء من الطيار الآلي . وهذا الجزء الذى يطلق عليه صمام التدفق ، يقوم بمهمة استشعار حركة أجنحة الطائرة من خلال نظام الأرض المغناطيسي . ولا يزال هذا الاختراع يتسخدم حاليا في جميع الطائرات التجارية ، ولقد كان جدى دائما صبورا معي ويرد على كافة الاسئلة التى أوجهها له ، مثل لماذا السماء زرقاء ؟ لماذا الامواج تذهب وترجع ولقد كنت دائمة الاسئلة وهو يرد على باجابات علمية وبأسلوب مفهوم .

ومع هذه القدرة الخلاقة وإمكانية الابداع ، فأنا لا أستطيع العيش أو التفاهم مع الناس . وكقاعدة ، فهم لا يتقبلون سلوكي الغريب ، أو طريقتي الحادة في الحديث ، أو أفكارى الغريبة ونكاتي والمقالب التى أعملها ، كما كانت علاماتي المدرسية عموما ضعيفة .

ولكن لم تكن المقالب التى أعملها ولا العلامات السيئة ولا غرابة أطوارى ، هى التى أدت في النهاية إلى طردى من مدرسة شيرى هل للبنات بعد سنتين ونصف من

الدراسة فيها . كان السبب هي نوبات الغضب التي تنتابني . فعندما يبدأ الاطفال في مضايقتي ، يكون رد فعلي أنني جضعهم بقوة . ولقد تم إنذاري بأن رد الفعل هذا ، هو أمر غير مقبول في المدرسة . ومع ذلك ، فإنه عندما قامت إحدى الفتيات في صفي وهي ماري ليري بالتقدم أمامي في المر ونحن ذاهبات إلى درس الموسيقى ونظرت إلى ورفعت أنفها ومصت شفتيها ثم أردفت موجهة الكلام لي « أنتى معوقة ، إنك لا شىء سوى معوقة » .

لدى سماعي قولها ، انتشر الغضب والحرارة في جسدي ، وقد كنت أحمل كتاب التاريخ وبدون أى تردد ، جمعت قواى والقيت بالكتاب أرضا ، وانطلقت كالصاروخ الموجه وضربت ماري في عينها ، مما جعلها تصرخ بشدة وانطلقت في حال سبيلي غير مبالية حتى بأخذ كتابي .

في تلك الليلة ، رن جرس الهاتف في البيت فرفعت السماعه ، لأجد في الطرف الآخر السيد هارلو مدير مدرسة شيرى هل للبنات . لم يطلب الحديث إلى أحد من والدي ، بل قال لي « لا تزعجى نفسك بالحضور مرة أخرى إلى المدرسة ، إنك غير قابلة للإصلاح . إن السيدة ليري (والدة الفتاة) منزعة جدا من هذا الحادث الذى كاد أن يؤدى ببصر ماري ، وكل ذلك بسبب سلوكك الذى لا تتحكمين فيه ونوبات الغضب التى لا يمكن تهدئتها » .

ولقد ظللت رافعة للسماعة وشعرت بالغضب والاضطراب يتخلل جسدي وأحسست بالغثيان في معدتي . والسيد هارلو (مدير المدرسة) لم يزعج نفسه حتى بالسؤال عن أسباب حدوث هذه المشكلة ، بل افترض بأنني غير الاخرين ، فلا بد أن يلقي جميع اللوم على .

وقد سألتنى والدتي في حينها « من المتكلم عبر الهاتف ، هل هو شخص يريدني » . فقلت لها « لا » ثم أخذت نفسا عميقا واتجهت نحو غرفة المعيشة ، حيث كانت امي تقرأ قصصا لإخواتي واخوانى ، بينما كان والدى يقرأ الصحف المسائية . فقال والدى وهو يقلب صحيفته « من كان ذاك الذى اتصل » ، فرددت عليه « إنه السيد هارلو ، مدير المدرسة ثم قمت بسرد ما ذكره عبر الهاتف .

فاسترجعت امي وقالت « طردت يا تمبل » ثم القت بالكتاب جانبا وهرعت إلى مستفسرة وقالت « ماذا حدث يا تمبل » . قمت بتوضيح ما حصل لي في المدرسة وقد استمعت إلى بكل عناية كعادتها ، ووقفت في صفي . فبعد أن نام الاولاد الصغار وانطلق أبى نحو المشى الليلي ، جلست مع والدتى نضع الخطط والتصورات

حول مستقبلي .

وفي الأسابيع التالية ، قمنا بتغطية معظم المدارس في منطقتنا وفي النهاية ، ذهبنا إلى مدرسة ، كانت لوالدتي اتصالات مكثفة معها في العام الماضي . لقد كانت والدتي تكتب مقتطفات للتسجيل التلفزيوني ، سجلت أحدها حول الأطفال المعوقين . وقد فازت هذه الحلقة بجائزة ولاية اوهايو لأفضل فيلم تسجيلي . وقد كان الفيلم التسجيلي الآخر ، قد تم تسجيله للتلفزيون العام في الولايات المتحدة الأمريكية ، حول الأطفال الذين يعانون مشاكل عاطفية . ولقد كان معظم أبحاثها يتركز حول مدرسة الجبل الريفية في ولاية فيرمونت . قمنا بزيارة المدرسة وقررنا أنها المكان المناسب لي . ومرة أخرى ، كانت المدرسة ، مدرسة صغيرة مثل مدرسة الوادي الريفية اليومية ، وهي المدرسة الابتدائية التي قمت بالدارسة فيها قبل المدرسة المتوسطة . وتضم المدرسة الجديدة اثنين وثلاثين تلميذا في الفترة التي انضمت اليها ، وبالتالي فقد كان هناك اهتمام فردي بالتلاميذ . ولقد كنت معروفة باسم تمبل ، كفرد وليس كفتاة مختلفة عن التلاميذ الآخرين كما هو الحال في مدرسة شيرى هل للبنات . ونظرا لأن المدرسة صغيرة وكان فيها اهتمام فردي ، فقد كان من السهل علي أن أتعامل مع مشاكلي .

ولكن في كل الأحوال ، كان تفكيري دائما بدور حول أحلامي بوجود الماكينة السحرية التي تستطيع أن تسكن مشاعري وتساعدني على أن أصبح أقل اختلافا عن الآخرين .

الفصل الخامس

المدرسة التي تبعث على الملل

في نياير ١٩٦٠ ، قامت والدتي بتوصيلي إلى المدرسة الجديدة ، ولقد كنت أنظر بتركيز من خلال نافذة السيارة على الثلج المتراكم على جوانب الطريق السريع . ففي لحظة شعرت بالبرد مع الخوف والخشية ، وكأنني مثل الثلج المتراكم على جوانب الطريق . وفي اللحظة التالية القيت بالسؤال على والدتي « هل ستكون لي غرفتي الخاصة ، لقد قلت أن هناك حديقة للحيوانات ؟ هل هناك خيول ؟ هل سيسمحون لي بالركوب ؟ وإلى أى حد يمكنني ركوب الخيول ؟ وماذا سيحدث إذا لم أحبها ؟ هل سيكون هناك فتیان بذيتو اللسان ، سيضايقوني في المدرسة » .

فضحكت والدتي وقالت لي « أرجو توجيه سؤال واحد ثم التالي يا تمبل . إن مدرسة الجيل الريفية قد بدأت كمدرسة للأطفال الموهوبين مثلك . وهدفهم هو مساعدة الاطفال في الوصول إلى أقصى قدر يستطيعون أن يصلوا اليه من امكاناتهم ، بحيث يكون الطفل مهياً من الناحية العاطفية والعقلية ليصل إلى أفضل المدارس في أمريكا ، وهذا ما كانوا يفعلونه في السنوات الاحدى عشرة الماضية وكانوا ناجحين فيه جدا » .

« ناجحين ، ناجحين . أنا سأكون ناجحة » ، أخذت أردد هذه العبارة فقالت والدتي « وكذلك يا تمبل ، ستقابلين أصدقاء جدد « فقلت » . وجيادا ايضا » فقالت أمي « نعم ، ستقابلين جيادا وحيوانات أخرى . والمدرسة ستوفر لك دروسا في الفن والأشغال اليدوية كما ستكون هناك مخيمات وقيادة للقوارب . ولديهم موسيقى ، ومسرح وبولينغ وصيد أسماك وسباحة وتزلج على الجليد وأنشطة أخرى . أرجو يا تمبل وأعتقد أنك ستحبين هذه المدرسة كثيرا ، يبدو لي أن لديهم كل شيء » .

فانحرفت قليلا في كرسي السيارة وألقيت برأسي على نافذة السيارة الباردة ، ثم امتلاء ذهني بصور لي وأنا أصيد السمك أو أقوم بالتخييم في الهواء الطلق أو أركب الخيول . ولكن انبثقت من ذهني فكرة معينة ، هل سيكون هناك دروس للرياضيات والفرنسية ؟ هل في المدرسة تلك الحصص ؟ فسألت أمي عن ذلك . ولم أكن أستطيع أن أستوعب كيف يمكن أن توافق دروس الفرنسية والرياضيات مع الجدول المزدحم المملوء بالانشطة المتعلقة بالفن والأشغال اليدوية .

فردت علي أمي « نعم يا تمبل ، إن مدرسة الجبل الريفية ، يوجد لديها دروس في الفرنسية والرياضيات ومواد دراسية أخرى - إن هذا المكان هو مكان لطلب العلم ، كما أنه مكان للمرح ولتكوين الصداقات » .

ثم لفت أمي السيارة حول المنحنى الحاد ، فظهرت لنا بين أشجار الصنوبر ، عدة مبان ضخمة ومخزن كبير من الطابوق المعروف الذي تتميز به ولايات انكلترا الجديدة في امريكا . ولقد صرخت عندما رأيت بعض الخيول قائلة « إن لديهم خيولا » وبدأت أقفز في مقعدي في السيارة .

ثم انحرفت أمي بالسيارة عند اللافتة التي كان مكتوباً عليها

مدرس الجبل الريفية

عدد التلاميذ ٣٢

الارتفاع ١٠٠٠ قدم

فتوقفت أمي مباشرة في موقف السيارات التابع للمبنى الكبير ، عندما رأينا أحد الأشخاص ينزل درجات السلم مسرعاً ويعبر الحديقة متجهاً نحو السيارة وهو يقول « أهلاً وسهلاً ، السيدة كاردن . أهلاً وسهلاً ، أنا تشارلس بيترز ، مدير مدرسة الجبل الريفية » . ثم أبتسم لي وقال « وأنت تمبل ، أليس كذلك » ثم فتح الباب وساعد أمي في النزول .

فأخذت أوميء برأسي فقال المدير « تعال معي ، سأقوم بجولة معك وسأوضح لك بعض ما نقوم به هنا وأعتقد أنه سيعجبك وسيطيب لك المقام هنا . إن لدينا يا تمبل أكثر من ١٩٠٠ هكتار من الأشجار والبحيرات والينابيع والجبال . هناك مساحة كبيرة للنمو والحركة » .

جال مدير المدرسة ساعة كاملة مع والدتي حول الملاعب ، ولم يرني الصفوف المدرسية فقط والمسرح والمكتب بل أيضاً حظائر الاغنام واسطبلات الخيول ومزرعة انتاج الالبان . وأوضح السيد بيترز أن الأطفال الذين يودون العمل في مزرعة الحيوانات ، يمكنهم العمل في مزرعة الألبان وإسطبلات الخيول للعناية بهذه الحيوانات . ثم أردف يقول « هيا بنا إلى مكتبي الان ، وسأوضح لكم ترتيبات المعيشة ، وتطلعاتنا الدراسية وبعض أهدافنا لكل تلميذ » .

وبينما كنت أتمايل إلى الخلف في كرسي المكتب ، قال السيد بيترز « نحن هنا في مدرسة الجبل الريفية ، نؤمن بالتحكم (أن يتحكم الانسان في نفسه) ، لأنه يوفر نظاماً للتحكم في النفس والاعتماد على النفس وهي كلها أساسيات لحياة الانسان

الراشد . إننا نشجع الاطفال على المشاركة في الحياة الاجتماعية . وهذه المشاركة تعلم الانسان مسئوليات الفرد والمجموعة ، كما أنها تجربة واقعية لكيفية حل الاضطراب - ولعل أهم مزاياها - أنها تعلم الانسان أن يتحمل نتائج قراراته وما أقدم عليه من أفعال . إننا نبين للشابات والشبان الصغار ، الطريقة المنضبطة والخلاقة في نفس الوقت ، لحل المشاكل التي تعترضهم في حياتهم .

ثم ذكر لي أن هناك أربع قضايا رئيسية بالنسبة للمدرسة والفرد وهي :

٧ - معرفة المشاكل الشخصية للفرد وما هو المطلوب لتصحيحها .

٨ - التمكن من المهارات الدراسية

٩ - تطوير المهارات الاجتماعية اللازمة للعلاقات اليومية .

١٠ - وجود التنافس في الحياة اليومية سواء داخل المدرسة أو خارجها .

إن فلسفة المدرسة الأساسية قائمة على مبدأ إتاحة الفرصة أمام الطلاب للوصول إلى ما يستطيعون من مجالات محددة وفي نفس الوقت ، إعطاء نصيب علمي أو شخصي لأي إعاقة عاطفية . إن المدرسة توفر علاجا مباشرا للتلاميذ الذين يحتاجون إلى أكثر من توفر جو علاجي . وهذا يشمل استشارة فردية من خلال أخصائيين لمساعدة الطالب في حال مشاكل التحكم في النفس والدوافع ووضع الحدود لكل شىء .

عندها قال لي المدير « والآن يا تمبل ، قبيل أن نقبلك في هذه المدرسة ، نود أن نعرف شعورك حول المدرسة وفلسفتها . هل تعتقد أنك تحبين أن تكوني جزءا من هذا المجتمع ؟ ... لقد غمرني سؤاله وكان ردى عليه « نعم » ولكن خرجت من فمي بقوة .

فاستطرد قائلا « ستعيشين في إحدى الوحدات العائلية وسيكون عليك واجبات ومسئوليات ، كما ستحصلين على كثير من المرح » . ثم وقف وقدم يده إلى وحاولت أن أتغافل عن ذلك وقال لي « نحن مسرورون أن تكوني معنا ، يا تمبل » .

ثم رافقتني أمي إلى وحدتي العائلية الجديدة والتقيت بأم هذه الوحدة ، التي أخذتني إلى غرفتي . وقالت لي أمي « أنا متأكدة أنك ستحبين هذه المدرسة وستؤدين اداء جيدا فيها يا تمبل » . وبينما هي تستعد للرحيل ، وقفت والديتي وقالت « أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب الآن » . ولم أكن أنظر إليها عندما قالت ذلك ، حيث كنت أضع ملابسي في الخزان ، ثم أردفت قائلة « سيكون البيت موحشا بدونك يا عزيزتي » . إذ ذلك ، كنت العب بالأشرطة الضاغطة لجواربي مرة تلو الأخرى . ثم قالت

والدتي وهى تقبلني على رقبتي « سأفتقدك كثيرا يا تمبل ». ولقد كنت أتوجع لأنني لم أضم صدرى إلى صدرها ، ولكن كيف يتسنى لها أن تعرف ؟ لقد ظلمت واقفة كأني عمود كهرباء ، وبرزت في كل صفات التوحد . لقد انسحبت من قبالتها ، غير قادرة على تحمل المثيرات للمسية ، فما بالك بالحب والعاطفة الغامرة .

بينما كنت جالسة على طرف الفراش ، أخذت أنظر إلى الغرفة من حولي . لقد كان فيها كل ما أحتاجه من مستلزمات الحياة خزانة ملابس ، مكتب ، كرسي ، جهاز اضاءة وسريير . ثم أمعنت النظر في الكتاب الإعلامي لمدرسة الجبل الريفية وأعدت قراءته . ولقد قرأت « إن هناك اهتماما وفهما للمشاكل مع الكثير من الحب ، مترابطة مع التوجيه ، والدين والترويح والاعمال اليدوية والجلسات العلاجية والتوجيه النفسي » . إن مدرسة الجبل الريفية ، وفرت لي كطفلة توحدية تمتاز بعدم التحكم في تصرفاتها والكثير من نوبات الغضب ، الفرصة المناسبة للتعلم الأكاديمي والتوجيه العاطفي . ولقد استطعت أن أتعلم بسرعة فيها .

في ذات مساء ، وقفت في الطابور مع الاخرين ننتظر جرس العشاء ، ومع أنه كان هناك العديد من الاحاديث والضحكات حولي ، لكن لم يتحدث أحد إلى . وفجأة قامت فتاة أكبر مني بقليل بقطع الصف وأخذ الدور قبلي ، فقلت وأنا أتقدم عليها ، « انظري لايمكنك الدخول في الصف من المنتصف » . ثم سمعت نفسا عميقا من الفتاة وقالت بعد النفس « ابتعدى عنها يا أيتها الغريبة » وقامت بدفعي . وباندفاع قمت بلف نفسي نحوها ثم صفعتها صفقة قوية مما جعلها تصرخ وجعل الاحاديث والضحكات التى كانت حولي تتوقف فجأة . . ولقد جعلني الصمت المميت في الغرفة ، أشعر بالقشعريرة . ثم برزت من بين الأطفال ، امرأة كبيرة اتجهت نحوى ، وقد كان بوى في هذه اللحظة أن أجرى وأصرخ أو أختبىء . وبوجه لطيف ، قالت لي « أنت تمبل كاردين ، أليس كذلك » . فهزت رأسي إيماء . فقالت لي « نريد أن أتحدث اليك » وأخذت يدي واتجهنا إلى الخارج . وقد اعتدت في مثل هذه الحالة أنسحب وأتراجع إلى الخلف . لكن هناك شيئا ما في الاحساس ببلوزتها الحريريّة عند ملامستها ليدي والضغط المتواصل غير المخيف – من ذراعها حولي ، جعلني لا أتراجع إلى الخلف وأقبل مصاحبتها . ثم قالت للفتاة التى ضربتها والتي قطعت الصف « يا فوبيا ، أرجو أن تحجزى مقعدا على طاولتك لي ولتمبل » .

ثم أخذتني عبر الردهة ، إلى غرفة الجلوس وأجلستني في ركنها وقالت لي « أنا الانسة دواني ، أخبريني ماذا حدث يا تمبل .

جلست لدقيقة مذهولة ، لأنني لم أعود على أن يوجه لي سؤال حول ماذا حدث من النزاع أو الصدام من وجهة نظري . وبدون النظر إلى وجهها ، ذكرت لها قطع فوبيا صف الانتظار من أمامي . فردت على قائلة « هذا ما رأيته أنا أيضا يا تمبل ولا أحد يود أن يقطع عليه أحد خط الانتظار من أمامه ولكن » ثم اقتربت مني وأحاطتني بحيث جعلتني أنظر إليها « ولكن الضرب ليس الوسيلة لمعالجة عدم التفاهم » . ثم تحدثت عن أهمية المعاشرة الاجتماعية مع الناس وتعلم كيفية التحكم في النفس والمشاعر . فأردفت قائلة « إن مدرسة الجبل الريفية لا تسمح بأية اساءة أو استخدام للقوة الجسدية ، هل تفهمين ما أقصد » . فقلت وأنا أنظر إلى تحت « إنه من المفترض أن لا أقوم بضرب أى شخص » فقالت : « هذا هو عين الصواب ، والان دعينا ننضم إلى الاخرين لتناول عشائنا ، وسأتحدث إلى فوبيا لاحقا حتى لا تقطع الطابور .

ومن ذلك الوقت ، لم تقطع فوبيا خطوط الانتظار أمامي أو أمام الاخرين ، أما أنا فظلت أنفعل سواء بالغضب الشديد أو بضرب من يحاول الاساءة لى . ففي الشهر الاوولى لوجودى في مدرسة الجبل الريفية ، كنت أحل مشاكلي أو نزاعاتي باستخدام القوة . ولقد كانت الانسة دواني صبورة معي ، وقد حاولت الكثير لأكون على جادة الصواب ولكني عندما صفت أحد زملائي بالصف ، لأنه ضحك علي في أحد المواقف ، سحبت مني الانسة دواني أحد الاشياء التى أحبها وهى ركوب الخيل وذلك لمدة أسبوع . ولقد ظللت محبوسة في مكان النوم ، وليس لي نشاط غير حضور الصفوف وتناول الواجبات وذلك لمدة أسبوع . لم تستطيع الكلمات أن توقف ، من المشاجرات مع الآخرين أو تخويفهم لكن حرمانى من ركوب الخيل جعلني أشعر بالألم وأنفعل بسرعة شديدة . ومع أني لا أزال أعمل اشياء غريبة في الصف ، إلا أنني منعت نفسي من استخدام قبضتي لحل المنازعات مع الاخرين .

ولئن كان سلوكي نحو استخدام القوة قد تحسن ، إلا أن طريقتي في التفاعل ومظهرى العام ، قد تدهور نحو الأسوأ . ومع أن السلوكيات النمطية مثل كثرة الاسئلة وكثرة الثرثرة قد قلت بمرور الزمن ، بسبب التغير في البيئة المحيطة بي ، إلا أن ردود فعلي كانت دائما متسمة بالعصبية . وكمعظم الأطفال التوحديين ، فأنا أود المحافظة على نفس الوضع في البيئة المحيطة بي ، والتغير الذى حدث من المنزل إلى سكن داخلي قد سبب لي هذا الاضطراب . كما هو الحال مع معظم الأطفال التوحديين ، أردت أن يكون كل شىء كما هو عليه . لقد كنت ألبس نفس الملابس

والجاكيتة يوما بعد يوم وعندما طلبت مني مديرة المنزل ، أن أنتقل إلى غرفة أكبر وأوسع ، شعرت بالاضطراب لذلك ورفضت الانتقال . ولكن عاملا واحدا لم أستطع أن أبقيه كما هو ، ألا وهو نضوجي الجسدي . فالتغيرات الهرمونية التي مررت بها أثناء مرحلة البلوغ ، أسهمت في ردود فعلي المتسمة بالعصبية . ومع مروري بفترة الحيض ، فإن الانفعال الحاد يزداد حتى أنني أشعر وكأنني طاحونة هوائية تدور في عاصفة عاتية . بدأت الخيالات تداعب ذهني ويبدو سلوكي المندفع أكثر وضوحا ، حتى أنني أجد صعوبة في التأقلم وتكوين علاقات الصداقة مع الطلبة الآخرين . ونظرا لاضمحلال رغبتي نحو الدراسة ، فقد كنت آخر الصف في كل المواد فيما عدا الاحياء .

إن ردود الفعل المتسمة بالعصبية مع ازدياد خفقان القلب وجفاف الريق وتصلب السيقان يشابه - في مظاهره - الخوف الذي يمر فيه الممثل قبيل اعتلائه خشبة المسرح . ولكن بالنسبة لي كانت حساسية زائدة أكثر منها تلهفا أو قلقا . ولعل هذا يوضح كيف أن الأدوية مثل الفاليوم لم تستطيع أن توفر لي العلاج ضد الرعشة أو القلق اللذين يمر بهما جسدي . ويزداد اضطرابي كلما اقترب وقت الظهر وخاصة ما بين الساعة الثانية والرابعة فذلك اسوأ بالنسبة لي . وعند الساعة التاسعة أو العاشرة ليلا ، يخف لدى القلق والاضطراب حتى يتلاشى .

كلما تذكرت تلك الفترة من حياتي ، ألاحظ أن القلق أو الاضطراب كان مزمناً ، على شكل نوبات تنقطع وتعود . وعندما يأتيني الحيض يقل الاضطراب . ولكن في نهاية فصل الخريف ، عندما تكون ساعات النهار أقل ، فإن هجمات القلق والاضطراب تزداد لدى . وتوضح الدراسات ، أن طول النهار له تأثير على الإرهاق والاضطراب . ومحاولة إطالة مد النهار ، من خلال وضع إضاءة خاصة ، قد يقلل من الاضطراب لدى البعض . كما أن موجات القلق والاضطراب تخمد عندما أكون مريضة أو مصابة بالانفلونزا . (ولقد ذكر العديد من الوالدين ، أن سلوك أطفالهم التوحديين يتحسن عندما يكونوا مرضى بالانفلونزا) . إن هناك العديد من المؤثرات ، التي لا تعنى شيئاً لمعظم الناس ، تخلق لدى ضغطا وقلقا شديدا . فعندما يرن جرس الهاتف أو أفحص الرسائل البريدية ، أشعر بالقلق ويتصبب العرق وكأنني ممثل يصعد إلى خشبة المسرح . ماذا لو أنني لم أستلم أي بريد أو أنني استلمت بريدا ولكن يحمل اخبارا سيئة ؟ إن رنين جرس الهاتف يؤد إلى نفس الشعور ، القلق والاضطراب . إن الذهاب للعب البولينج في المساء يجعلني مضطربة عصبيا وكذلك

الحال بالنسبة للرحلات المدرسية . لقد ظلت دائما خائفة من أن تصيبيني إحدى نوبات القلق في مكان عام ، فربما لا أستطيع التحكم فيها .

ولعل إحدى الحقائق الجديرة بالاهتمام ، أن الاضطراب العصبي - الذى هو رد فعل اتجاه بعض المثيرات - يمكن أن يتأثر بها الطفل الصغير ولكن لا يظهر أثرها إلا بعد البلوغ . ففى حالتى ، ومن سن السابعة وحتى السادسة عشرة كانت تعاودني نوبات من مرض الديدان المعوية ، والحكة الناتجة عنها كانت تضايقني صغيرة ولقد فشل والداي في معالجاتي حتى تمكنت من جسدى . وقبل فترة البلوغ ، كانت الحكة ، تولد لدي الضيق فقط ، ولكن بعد البلوغ أصبحت الحكة تؤدى إلى ضغط نفسي شديد مصحوب بكل المظاهر النفسية المعزوفة كارتفاع نبضات - القلب وتزايد العرق والقلق . وأى حكة عادية ، لا تعنى شيئا بالنسبة لمعظم الناس ، تخلق لدى شعورا غريبا حيث أبدو وكأنني مطاردة من سفاح في ليل مظلم . وتوضح الدراسات الحديثة ، أن الهرمونات الانثوية يمكن أن تغير من حساسية الجهاز العصبي . ولعل هذا يوضح أسباب الاضطراب النفسي الشديد الذى يصيبنى عندما تداهمنى الحكة الناتجة عن الديدان المعوية .

تذكر الدراسات الحديثة ، أن الفئران التى تمت رعايتها وتم علاجهم مبكرا ، كان لديها سلوك أقل شكلية كنتيجة لحقنها بحقنة اميفنامين (Amphetamine) دواء يثير الجهاز المركزى العصبي) بخلاف التى لم ترع أو تعالج مبكرا . وربما أنى لو حصلت على مثيرات لمسية عميقة كطفل ، لتفاديت الحساسية الزائدة ولأمكنني التخفيف منها عند البلوغ .

كما ترى دراسات أخرى ، أنه ربما يكون هناك نقص في ضبط النشاطات النورديرنجريكه . والنورديرنلين Noradrenalin هي مادة شبيهة بالادرنلين تثير البواعث العصبية وتزيد الاثارة في الدماغ . إن النظام النورديرنجركى قد يكون البديل بين نشاط مكثف أو نشاط قليل . وحسب مقال نشر في مجلة التوحد واضطرابات النمو ، يقول ج . ل . يونج ورفقاه « إن المراحل المتتالية من الانتباه الزائد قد يكون رد فعل زائد اتجاه مثيرات بسيطة ، أو تفرقة محدودة وتقويم بسيط للمثيرات : الاندفاع نحو الالهفة أو القلق أو عدم تنظيم المشاعر والسلوك أو محاولة تجنب المثيرات وذلك بالانسحاب إلى النفس الداخلية » .

كما أن الأطفال التوحديين ، لديهم نسبة عالية من نوروبفرين Norepinephrine ، وهى مادة لها دور في نقل الاشارات

والمثيرات العصبية . ومهما كان السبب ، فأنا كفتاة توحديّة ، يكون رد فعلي واحداً
وذا شكل لا يتغير ، حتى أستطيع من خلاله تقليل الإثارة للجهاز العصبي المثار .
وفي وقت الطمث ، كنت بحاجة شديدة إلى التخفيف من نوبات العرق والقلق التي
تنتابني . ولقد كانت ردود فعلي تتفاوت ما بين رد فعل اندفاعي غريب أو الانسحاب
إلى ذاتي الداخلية هرباً من هذه المثيرات . وحتى أنني كنت أتفادى الذهاب في رحلات
مدرسية لأنها تجعلني أشعر بالقلق . وأحياناً تكون الحركة الجسدية المكثفة ،
كالركض الشديد على الخيول أو حمل بعض الأشياء الثقيلة ، تساعدني على التخلص
من تلك الهجمات . ولكن في معظم الحالات ، أشعر أن حياتي قاربت على النهاية ،
وذلك عندما تهاجمني هذه الأمور لأنني ، لا أستطيع أن أتغلب عليها ولا أستطيع
الهرب منها ، لقد وقعت في مصيدة أو متاهة الظواهر النفسية والتي قلت أو حطمت
وهزمت أي مكاسب حققتها من البداية .

الفصل السادس

الباب

عندما أصبح عمري ما يقارب الستة عشر عاما ، كنت بحاجة ماسة إلى أى عون ينقذني من الهجمات العصبية التي كنت أتعرض لها . ويبدو أن الظواهر الفسيولوجية عندي ، بدأت تتزايد كل يوم . ولقد قرأت العديد من الدراسات ، التي تصف الهجمات العصبية بأنها القلق المرعب بالنسبة لأمثالي . والذي يسببه هذه الهجمات ، أنني حساسة جدا نحو المدخلات للجهاز العصبي سواء كان جسديا أو سمعيا . وأما المدخلات الشديدة الناتجة عن البصر ، فإنها عادة لا تضايقني . ويعتقد دينسى جارني وزملاؤه الباحثون في جامعة يال ، أن هناك اضطرابا في نظام المخ وهو الذي عادة يستوعب نبضات الاعصاب المثارة . والآن أستطيع أن أفهم هذه الحساسية الزائدة وكيف أنها تثير اللمس الدفاعي لدى الأطفال . ولكن - كبالغة - ، فإن الهجمات العصبية تجعلني أشعر وكأنني أتمسك بحبل مدهون بالشحم معلق فوق هاوية .

وبالصدفة ، أكتشفت طريقة للتخفيف - ولو مؤقتا - عن هذه الهجمات . ففي خلال الصيف ، قامت مدرستنا بزيارة إحدى حدائق الترفيه . ولقد كانت أحد الوسائل في الترفيه هي ، لعبة البرميل الدوار . واللعبة تتكون من برميل ضخم يقف الناس فيه أمام الحائط ، بينما يبدأ البرميل بالدوران بصورة سريعة . وتؤدي القوة الطاردة المركزية ، راكبي البرميل إلى جوانبه . ولقد كنت خائفة في البداية ، بينما كنت أراقب أصدقائي في الفصل وهم يلعبونها . ثم خرج زميلي في الفصل لو من اللعبة وقال لي « تمبل ، تعالي إلى هنا . إنها لعبة غريبة ولكن مسلية » . ثم نظر إلى نظرة فاحصة وقال « أنك خائفة ، أليس كذلك ، أنا أتحداك أن لديك الجراءة على لعبها » . وقد أكون خائفة ولكن أن يطعن في جرائتي ، فهو شيء صعب . ولذلك اشتريت تذكرة لهذه اللعبة ، وركبت درجات السلم بساقين مرتجتين نحو البرميل . ولقد أحسست أن قلبي في فمي بينما كنت أستند على الجدار . ولقد أرسل صوت الحركة لهذه اللعبة ، شعورا بالخوف غمر جهازى العصبي . وعندما زادت حركة المحرك ، أحسست بطنين ضخم صم أذني . ولقد اختلطت لدى ، السماء الزرقاء مع السحب البيضاء مع الشمس الصفراء ، وحتى الاغذية التي أكلتها ، حتى أصبحت بالنسبة لي

كرنفالا من الروائح . وقد كنت مستندة إلى الجدار ، خشية أن يهبط قاع البرميل . ولقد كان طعم الخوف مرا في فمي مما جعلني أحاول أن أضغط وأعتسل أكثر بالحائط . ومع صرير المفصل لارضية البرميل وظهور الارض ، فقد غمرت حواسي ، معاني جديدة من الاثارة ، لم أشعر معها بالخوف أو القلق ، بل شعرت فقط بالراحة والطمأنينة .

وبعد الركوب الاول ، شعرت بالراحة مع نفسي للمرة الاولى منذ مدة طويلة جدا . وقد قمت مرة تلو الاخرى بركوب هذا البرميل ، متذوقة الاثارة الزائدة لحواسي والتخلص من الجهاز العصبي المثار . وتوضح الدراسات الحديثة ، أن الأطفال زائدي النشاط يخف نشاطهم باستثارة جهازهم العصبي من خلال تدويرهم على كرسي المكتب مرتين في الاسبوع .

ولقد ظلت هذه اللعبة وارتياها جزءاً من شخصيتي وصرت متعلقة بها ولكن بعد أسابيع عدة من اليوم الذي دخلت فيه حديقة الترويح ، أصابتنى بعض الهجمات العصبية التي لم يمكن التحكم فيها . ولقد كان قلبي يدق بشدة ، حتى أنني أرى نبضاته من خلال البلوزة التي أرتديها ، بينما جسدى كان يتصبب منه العرق بغزاره وكأنني في حمام سونا . كما أن يدي كانتا ترتجفان ، بينما لا أكاد أبتلع ريقى . ولقد قادني تفكيري التوحدي إلى أن هناك اجابة واحدة لذلك ، لا بد أن يكون لدى لعبة البرميل في المدرسة . ومع ازدياد سيطرة هذا الهاجس عليّ ، أخذت اقنع سلطات المدرسة بضرورة تركيب واحدة منها . وبالرجوع إلى أسلوبى الخيالي في الطفولة ، فقد كتبت وبصورة افتراضية ، رسالة شديدة الاهتياج إلى الفرد كوستيلو * . والفقرات التالية هي رده على ذلك .

بالاشارة إلى خطابك ، فإن الشىء الوحيد للحصول على العون . إن مدرستنا بحاجة إلى بديك (أو مثلك في الظل) ، تمبل كاردن .

إنني أنا البديل في الظل ، وأخذوا نصيحتي للمرة الأخيرة . إن هناك سببا لطلبي وهو بناء لعبة البرميل . أعيروا إنذارى انتباهكم قبل فوات الاوان . إن مدرستنا مقدر عليها الهلاك ، إلا اذا أقمنا هذه اللعبة . إن هناك قوى غريبة لا يعرفها أحد ، توجه أفعالي . أنا أحتاج إلى مساعدتكم . لا بد من بناء اللعبة . إنه الشىء الوحيد الذى سيمنع مدرستنا من الانهيار أو الزوال . لا بد من فعله الان ، لأنها على شفا جرف هاو .

* شخصية خيالية في ذهن الطفلة تمبل ، تحاورها للتفتيس عن مشاعرها والتعبير عن آرائها .

ولكن إذا هوت المدرسة إلى هوة المدرسة إلى هوة سحيقة وإلى الابد ، فإنكم أيها التلاميذ ، لن تعرفوا أى شىء حتى تغادروا المدرسة . ولن تتمكنوا من عبور حدود المنطقة ، لأنكم ستصطدمون بمانع قوى ، وستكونون في هذه المصيدة إلى الابد . وأنا اعطيكم الاشارات حاليا لصالحكم ، وابنوا هذه اللعبة قبل أن يكون الوقت متأخرا . وأنا لا أدري لماذا سيساعد بناء هذه اللعبة على التغلب على القوى التى تدفع المدرسة والعاملين فيها نحو الهاوية . لابد أن تكلموا السيد / بيتر ، مدير المدرسة ، والذي سيعتقد أنها فكرة مجنونة ، حتى يأتي الوقت الذى سيعرف فيه الحقيقة ، عندما تصطدم سيارته بجدار القوى الخفية . أرجوكم ، وللمرة الاخيرة قبل أن يكون الامر متأخرا جدا ، واحترموا بديل الظل . وهذا لصالحكم وخاصة أنني أعرف أنني أموت حاليا ، وأرجوكم أسرعوا قبل أن يفوت الأوان .

الظل ، الفرد كوستلو

ملاحظة : أسرعوا قبل أن يفوت الأوان .

أما الخطاب الثاني ، فقد كتب بعد أيام عدة وكان كالتالي

تحياتي إلى بديل الظل

هل اتبعت أوامرى بالسعى نحو منع انهيار المدرسة إلى الهاوية وإلى الابد ؟ هل جلبت انتباههم لنصائحي ، اثبتوا هذه اللعبة قبل فوات الأوان . عندما تتلاشى المدرسة ، لن تعرفوا ما حدث ، حتى تحاولوا المرور من خلال حدود موقع المدرسة . فسترون أن هناك حاجز من القوى ولن يمكنكم المرور من خلاله . سيحتم عليكم البقاء ، وإلى الابد ، في مدرسة الجبل الريفية . لا تحاولوا اللعب مرة أخرى مع القوى الخارجية . ستكونون ضحايا للغباء ، لعدم انتباهكم لنصيحة القوى الخارقة عبر حاجز الزمن ، وأنا أعرف - لذلك انتبهوا لنصائحي - وابنوا هذه اللعبة . وقد تظنون أنني مجنون ، ولكن الظل يعرف . بعد ذلك ، سأرسل خطاب اخيرا إلى ممثلة الظل تمبل كاردن وسيكون ذلك الانذار النهائي .

أرجوكم أعملوا بما نصحتكم به قبيل فوات الأوان .

الظل ، الفرد كاستيلو

عنوان الظل : الهلال الثاني

المجموعة الكونية الثانية

والآن وحتى عندما أكون في حالة شديدة الاهتياج ، فأنا أعرف أن الظل ، الفرد كاستيلو ، كان نتاجا لخيالي ، وكان يمثل العودة إلى أيام الطفولة وذكر القصص

المختلفة ، وكنت مسيرة بشعور القلق لعمل شىء . وعندما أقرأ هذه الخطابات بعد أن أصبحت فتاة راشدة ، أجد في نفسى صعوبة في تصديق أنني كتبتها ، ولكنني فعلت . كما في أيام طفولتي الأولى ، فإنه لا يكفى التفكير في القصة . بل لابد من ذكرها بصوت عال حتى تكون حقيقية . كما هو الحال عندما يتسلط هاجس ما على ، فلم يكف أن أتخيل وجود لعبة البرميل في المدرسة ، بل سعت نحو أماكن تحقيقها وبنائها في المدرسة . بل أدت عملية الترويج لهذا الامر ، إلى قيامي بوضع لافتات على حوائط السكن مما جعل هذه الحوائط في حالة سيئة .

إن تسلط هاجس ما على ، كان إحدى الصفات الواضحة لي . وعندما أرجع بتفكيري إلى الماضي ، أجد أن سلوكي يشابه مواظبه الفئران على Amphetamine . وتوضح الدراسات أن الفئران التي ترعى في المراحل الأولى ، تتمتاز بسلوك نمطى أقل نتيجة لحقنها بحقن Amphetamines مقارنة مع غيرها مما لم تتم رعايتهم . كما أن الدراسة توضح أن الفئران التي ترعى ثم تعاد لأمهاتها في القفص يكون لديها سلوك نمطى أميتميز Amphetamine - induced stereotype أقل من تلك التي رعت واعدت إلى القفص دون أمهاتها . ولكن سلوكي لم يكن يتأثر بصورة غير طبيعية بالحقن المبيتميزيه ، كما أن الهجمات العصبية بدأت تزداد حدة وتكرارا . لقد أصبح العالم الخارجي ، يثير الرعب فينى وكأنه أصبح من الصعب التحكم فيه . كل يوم ، يزداد فيه صعوبة توقع ما هو أن وكنت أبحث عن منقذ ، ولكنى حصرت نفسى في مصيدة الضغط العصبي والجسدي . وقد كان لهذا الضغط ، تأثير على كلامي وأفعالي وعلاقتي مع الآخرين .

وفي أحد أيام الأحد ، وبينما كنت جالسة في الكنيسة على مقعد يمكن طيه ، غمرني احساس بأننى مسجونة وخاصة أن تفرض علينا الحضور ، مما جعل شعور الملل يفيض في نفسى . وعندما بدأ القسيس في إلقاء موعظته ، هربت إلى عالمى الداخلى والذى تنعدم فيه الاثارة وحيث يلقي السلام والراحة رواجه . وفجأة ، أخذ صوت عال ، يخترق عالمى الداخلى فركزت نظرى على القسيس ووجدته يدق على الطاولة وهو يقول « حاول أن تدق وهو سيجيبك » . فاعتدلت في جلستى وقلت في نفسى « من هو هذا الشخص » . فقرأ القسيس مقتطفات من الانجيل وهو تقول « أنا الباب ومن خلالي يمكن للانسان أن يدخل وبالتالي سيكون في أمان » . ثم تحرك القسيس من جانب الطاولة ووقف أمام جماعة المصلين وقال لهم « إن أمام كل واحد منكم بابا إلى

الجنة ، حاول أن تفتحه وستكون في أمان » ، ثم تراجع إلى الخلف وقال ترتيلة ٣٠٦ من الانجيل « ، ربي بارك في هذا التجمع » .

ولم أسمع رقم الترتيله ، لأنني مثل العديد من الاطفال التوحديين ، كل شيء حرفيا بالنسبة لي . فقد كان عقلي مركزا على كلمة واحدة وهى الباب ، الباب الذى يؤدى إلى الجنة . الباب الذى أستطيع أن أدخل منه وبالتالي يكون فيه النجاة . ثم بدأت المجموعة تغنى ويرتفع بالغناء وعندما سمعت كلمات « بارك في هذا الباب والذى سيكون نافذة الى المحبة والمتعة » ، عرفت في قرارة نفسى ، أنني سأجد هذا الباب .

وكنت - فيما بعد - كلما أرى كل بابا يقابلنى ، أعتقد أنه الطريق المفتوح نحو المتعة والحب والسعادة ، فباب خزانة الملابس أو باب الحمام أو باب الاسطبل ، كلها اختيرت ثم رفضت على أساس أنها ليست الباب المعني في موعظة القسيس . وفي أحد الأيام وبينما كنت راجعة إلى غرفتي من العشاء ، لاحظت أن هناك ملحقا قد تم بناؤه للسكن . وحيث أن العمال قد انتهوا من أعمالهم وتركوا الموقع ، فلم أر بأسا أن أقوم بجولة سريعة حول هذا المبنى . ولقد كان هناك سلم متكئ على جدار هذا المبنى ، فقممت بتسلق هذا السلم إلى الدور الرابع بعد أن ألقيت بكتبي على الأرض . فوجدت هناك رصيف ممتد إلى السطح ومنه إلى غرفة صغيرة للمراقبة . وقد كانت الغرفة تحتوي على ثلاث نوافذ تطل على منظر الجبال الجميل . ولقد نظرت من خلال أحد النوافذ إلى القمر وهو يعلو في السماء ، ليلتقى بمجموعة من النجوم . ونتيجة لذلك فقد غمرني شعور بالراحة ، كما شعرت لأول مرة منذ أشهر بالأمن ، الذى حداني الأمل في استمراره في المستقبل . ولقد غطاني وغمرني شعور بالسعادة والحب في تلك اللحظة . لقد وجدت الباب المنتظر الذى يؤدى إلى جنتي . ولقد تراقصت الافكار في ذهني بصورة عفوية ، وبدأت لي أنها مهمة وذات تأثير في المستقبل .

لقد وجدته اخيرا . إنه رمز مرئى أمامي ، وما يجب على فقط هو المرور من هذا الباب . وبالطبع لم أشعر في ذلك الوقت بأن أفكارى تنبع مماأراه وبالتالي أحتاج إلى رموز محددة للتعبير عن المفاهيم .

ولقد كنت في ظلام تام بينما أنا أتقدم رويدا إلى السلم وفي داخلي الشعور بالتغير والحرص على تحرى الحقائق . لقد كنت أعرف أنني قد وجدت الباب الذى يؤدى إلى هدفي . وفي تلك الليلة كتبت في مذكراتي اليومية « إن عش الغراب هو كالمكان المقدس . فعندما أكون موجودة هناك ، أشعر بالتقدير لجمال الطبيعية . وعندما أنظر من

خلال نوافذ عش الغراب ، أشعر بشيء مختلف وهو أنني لابد أن أقهر مخاوفي وألا أجعلها عائقا في طريقي .

وفي الايام والاشهر التي تلت هذه المغامرة ، قمت بزيارة غرفة المراقبة أو عش الغراب كما يطلق عليه النجار ، عدة مرات . وحالما أدخل هذه الغرفة ، أشعر بالراحة والطمأنينة وأنني أصبحت ثرية بالافكار واكتشاف الناس .

وفي وجودي في جو من الخصوصية في عش الغراب ، بدأت أفكر في طفولتي - في القلق الذي عشته ومحاولاتي للاتصال والتفاهم مع الناس ، وفي الصدام والمشاكل التي حصلت معهم . أما الان كمراهقة ، فإن الاتصال والتفاهم الاجتماعي لابد من تأسيسه ولكن هناك هوة من سوء الفهم لازالت عميقة . هل هذا بسبب أنني طفلة توحيدية بينما لم يكن والداي كذلك ؟ ولعل والداي لم يكونا يفهمان طريقة تفكيري ، وأنا ، كإنسانة تعتمد في التفكير على الرؤية ، لا أستطيع فهم طريقة تفكيرهم ؟ أم أن هذه الهوة هو اتجاه عام يؤثر على كل الوالدين وبنائهم في مراحل مختلفة من تطور حياتهم ، مثل مرحلة المراهقة ؟ هل يمكن لجسر من المحبة أن يردم هذه الهوة ويقضى على هذا العائق .

وفترة بعد فترة ، كنت أنجذب أكثر الى عش الغراب . وعندما أكون هناك ، أشعر بأني في طريق نحو فهم شيء معين عن نفسي وقد كان كذلك . لقد عرفت أنني إنسانة ، ذات نزوات عديدة مثل التعلق بلعبة البرميل . ولقد فهمت لأول مرة ، ما كانت أمني تحاول أن تقوله لي طوال هذه السنوات .

ولقد شعرت عندما اقتحمت الباب وخرجت منه إلى الخارج حيث استنشقت الهواء الندي من خلال السقف ، مغلقة الباب الخلفي ، إنني مشيت نحو حياة جديدة ولا يمكنني روحيا أن أعود من خلال ذلك الباب القديم مرة أخرى .

ولكنني لم أفعل ذلك ، حتى عندما ضبطوني أتسلل إلى عش الغراب وأرسلوني إلى الطبيب النفساني للمدرسة للعلاج والنصيحة . لقد شعرت بأني جربت يقظة روحي وعقلي ولن يسلبني طبيب نفساني الكنوز الجديدة التي اكتشفتها .

ولقد حاول هذا الطبيب النفساني ، عبر تجربة وسائله المعروفة في التأثير على مرضاه والسيطرة عليهم (كي يستمر في الحصول على الاتعاب) أن يثني عن هذا الأمر ، ولكنني قاومته . وفقد قال لي « يا تمبل ، إنك تعرفين أنه ينبغي أن لا تذهبي إلى عش الغراب . إن هذا مخالف للقواعد المعمول بها هنا . بالإضافة إلى ذلك ، فإنه خطر . أليس كذلك ؟

فقلت بالرد عليه وقلت « ولكنه ليس خطرا بالنسبة لي » .

فيقول « ما هذا يا تمبل ، ما الذى يوجد هناك ؟ »

فأرد عليه « هناك نفسي ، وحياتي والهي »

فيضحك الطبيب ويقول لي « إنك تتصرفين مثل زوجة البحار التى تمشى على رصيف الميناء ، تنتظر سفينة تحمل عودة زوجها البحار ، لن تأتي ابدا . أرجوك عديني بإنك لن تذهبي إلى هناك مرة أخرى » .

ولم أرد عليه على هذا الاستفهام ، كما أنني لم أسمع توجيهاته . وتواصلت زياراتي لعش الغراب بصورة دورية . والآن لم يصبح الموضوع « نفسي وحياتي والهي » ، بل اضيف اليه حافزا آخر وهو الاثارة في التسلل وفي تسلق السلم وفي كسر القواعد المعمول بها .

إن مخالفة القواعد هو أمر لم أستطع التخلص منه مع مرور الزمن . ففي أثناء جلوسى في عش الغراب ، كنت أفكر في السلطة والقواعد . فعندما اندفعت من خلال الباب الخشبي الصغير ، كنت مخالفة لتعليمات المدرسة . ففي البداية ، فكرت بأنه متى كان الباب خلفي فأنا فوق أى سلطة أو قواعد أو نظم بشرية . خلف هذا الباب كانت نفسي وحياتي والهي وحرية الاختيار . ولكنى بعد ذلك ، تأملت في الأمر ، ووجدت أن هناك سلطة بعد هذا الباب ولكنها سلطة ضمن نفس الانسان .

ومع أنني كنت في سلام مع نفسي ، إلا أنني كنت في حرب مع المدرسة والدروس . لقد كانت علاماتي في وضع يرثى له ، والاسوأ من ذلك أنني لم أهتم لهذا الأمر . فقد كانت المدرسة بنظري مملة . . . مملة ومملة ايضا . وقد كان الأمر كذلك ، حتى دخل في حياتي ، أستاذ علم النفس السيد بروك ، لقد كان يتحدث كثيرا عن سلوك الحيوانات . ولقد كنت دائما أحب الحيوانات وكنت مغرمة بقصص السيد بروك عنها . ففي محاضرة أخرى ، عرض على فيلما سينمائيا عن الخداع البصرى مثل نافذة ايمس شبه المنحرفة وغرفة خيال ايمس المنحرفة — من خلال المرايا المقعرة أو الحادة . . . وقد أوضح لى أن الغرفة المنحرفة ، مبنية على أساس خداع البصر . فعندما يقف شخصان قامتهما واحده منهم يظهر لنا أنه أطول من الآخر بضعفين . ولقد سألني السيد بروك « هل تستطيعين عمل غرفة مثل هذه ؟ لا أود أن أخبرك كيف ولكنى أريد أن أرى كيف ستستطيعين معرفة هذا الأمر » .

لقد أصبحت الغرفة المنحرفة ، الهاجس الجديد الذى يملكني . فقد حاولت خلال الستة الشهور التالية بناء غرفة منحرفة من كراتين المقوى . وعلى الاقل ، فإن

الهُواجس التي لدى قد تم تحويلها إلى شيء مفيد وبناء وجعلني أرغب أكثر في فهم المواد العملية . ونظرا لتسلط فكرة بناء هذه الغرفة المنحرفة على ، فقد بدأت بدراسة بعض المواد العملية المملة حتى أستطيع في حالة احتياجي إليها ، أن أكون مقتدرة على فهمها .

ولكن مع ذلك كله ، فقد كان لدى وقت للتزلج على الجليد وركوب الخيل والعناية بها . لقد ساعدت الاستاذة في تصميم وعمل أدوات تنكرية لحفلات المدرسة ، كما ساعدت العمال في بناء منزل جديد . لقد كنت ممتازة في تغطية الأسقف بالألواح الخشبية وكنت فخورة أنني أستطيع أن أعمل أكثر المهام تعقيدا في هذا المجال . ولكنني مع هذا كله ، لم أستطيع أن أتأقلم مع باقي الاطفال في المدرسة . ولقد كانوا يضايقوني من خلال إطلاق أوصاف تسيء إلي مثل « العظام ، حمار الشغل ، أو المسجله » ولقد كان هذا يؤذيني كثيرا .

لقد استمرت عملية التفاهم أو الاتصال مع شخص - أي شخص - ، إحدى المشاكل الرئيسية لدي ، مما يجعلني أظهر بمظهر الفتاة الجافة أو الجلفة أو الفظة في معظم الاحيان . ففي رأسي ، كنت أعرف ما أود أن أقوله ولكن الكلمات لم تكن تتطابق والافكار التي أود ذكرها . والآن أعرف ، أن عدم قدرتي على متابعة التناغم في خطاب الآخرين ، كان أحد أسباب هذه المشكلة ، وهذا جعلني أبدو بمظهر الجافة أكثر مما أود أو أنوى . لقد كنت دائما أستطيع أن أكتب أفكارى ، كما أنني عندما أزور عش الغراب ، أكتب مشاعري في مذكراتي اليومية .

وإن الباب الخشبي الصغير ، كان علامة مهمة بالنسبة لي . والعديد من الملاحظات في مذكراتي اليومية تتناوله بالتفصيل . وعند أفكر مليا مرة أخرى في هذا الأمر ، أجد أن الباب هو دلالة لبلوغي ورشدي وأني جاهزة للتخرج من المدرسة الثانوية . إن المجهول خلف الباب بالنسبة لي ، يشابه جزئيا المجهول الذي ينتظرني بعد تخرجى من الثانوية العامة . وبما أنني تم تصنيفي فتاة توحديّة ، فإن السؤال الذى يخطر على بالي ، هو هل هناك حياة عامرة وثرية بالنسبة للأشخاص التوحدين بعد الثانوية العامة .

الفصل السابع

الجهاز السحري

إن ما خلف الباب كان بالنسبة لي ، مجموعة من النسا المتفهمين والعارفين . فبدونهم ، كان من الممكن أن أكون الان في مدرسة للمعاقين . فوالدي كان يقول « لقد حققت تمبل رقما قياسيا ، فقد سقطت في كل المواد ، ولا بد أن نواجه الحقيقة . فقد يكون من الافضل لها ، أن تذهب إلى مدرسة للمعاقين » . بارك الله في قلب أمي ، لقد وقفت أمام هذا الأمر . ثم جاء مدرس علم النفس ، السيد بروك ، وتحدايني مع لغز الغرفة المنحرفة ، ونتيجة لهذا ، فقد زادت رغبتني في العلم — حتى أستطعت ولو على القل — حل هذا اللغز .

ومدرس آخر ، وهو السيد كارلوك ، كان بمثابة المنقذ بالنسبة لي . فالسيد كارلوك لم يعط أدني اهتمام لمظهرى وسلوكي الغريب ، بل ركز اهتمامه على مواهبي الكامنة . وحتى مدير المدرسة في ذلك الوقت ، كان عنده شك في امكانية أن أنجح وأجتاز المدرسة الفنية . ولكن السيد كارلوك كان يؤمن ببناء وتنمية ما هو موجود لدى التلميذ ، ولذلك فقد حول هواجسي وسلوكي نحو مشاريع مفيدة . ولم يحاول في أى وقت أن يسحبني إلى عالمه بل بالعكس جاء هو إلى عالمي .

ويبدو أنه تحسس حاجتي لأكون مقبولة على مستوى . وليقد وثقت فيه بالكلية . وعندما حاول أن يشرح لى معنى الغرفة المنحرفة ، قال لي « إن الأشياء لا تكون دائما كما تظهر أمامنا ، تمبل » . وهذا الأمر قد أثارني ، الأمور في عقلية الاشخاص التوحدين ، — إما أبيض أو أسود — لا مكان لدينا لعدم الوضوح . وما رأيته كان شيئا غير مرن في نظري . ومع أنني أشارك في جميع أنشطة المدرسة ، إلا أن سلوكي الغريب وطريقتي اللفظة ، قد تسبب إلى الآخرين . والسيد كاروك لم يحاول أن يعظني بما هو مطلوب ولكنه أوضح لى من خلال تصرفاته الشخصية ، تصورا اجتماعيا معينا حاولت أن أنافسه فيه . ومنه استطعت ، أن أتعلم الاتجاهات الانسانية التي كنت أفنقدها كطفلة توحدية .

لقد أعطاني السيد كارلوك بعض كتب الفلسفة لقراءتها ، لأنه لاحظ أن بعض تفكيري المرتبط بالاشارات ، يتضمن أمورا ومبادئ أساسية في الفلسفة . وفي أحد الأيام قال « يا تمبل ، إن نبرة صوتك قد تغيرت ولم تعد واحدة أو رتيبة » .

فتساءلت في نفسي ، ماذا يقصد بأنها لم تعد رتيبة أو نبرة واحدة ؟ لقد أنعمت التفكير في هذا الأمر ولعدة أيام . وفي النهاية قررت أنه طالما أصبحت أكثر قبولا للعلاقات الاجتماعية ، فإن نبرة صوتي قد تحسنت وقد خمنت أن السبب أنني لم أعد أحتاج اليه كوسيلة للدفاع أمام العالم .

وبعد سنوات ، فوجئت باكتشاف أن أسلوب حديثي لا يزال فيه جزء قليل ، غير طبيعي . وأنا لم أكن أعرف ، أن هناك مثابرة لدى على التردد والحديث على نغمة واحدة خلال محادثتي مع الآخرين . ولعل أثناء نموى كطفل ، كان ينبغي أن آخذ دروس في الكلام والمحادثة بدلا من العلاج النفسي . ولعل التدريب على التعرف على أخطاء المحادثة من خلال التسجيل وإعادة سماعه هو الأفضل لحياتي الاجتماعية ، من محاولة الاخصائي النفسي سبر اغوار الاسرار المظلمة من نفسى . ولقد كانت أتمنى أن يوضح لى أحد هؤلاء المتخصصين النفسانيين مشاكلى في الحديث بدلا من القلق حول النواحي النفسية . ولقد كنت أعلم أن بعض الناس لا يردون أن يتحدثوا معي ولكن لم أعرف لماذا .

لقد كان السيد كارلوك هو مدرسي وصديقي ومحل ثقتي . كما قال أحد الزملاء في الصف « إن الفتيان لا يحبونك يا تمبل . لأنه ليس لديك مظهر جذاب » . ومع البكاء ، رددت هذه الملاحظة للسيد كارلوك . وكان رد فعله أنه لم يضحك أو يقل لي لا داعى للقلق ، بل قال « إنك شخصية موهوبة ، يا تمبل ، وأكثر بكثير من شخصية لها مظهر جذاب . إن جاذبيتك ، عندما ترقين لمستواها ، سوف لن تكون جاذبية جسدية فقط بل وفكرية ايضا .

وعندما تركت مكتب السيد كارلوك ، غمرني الاطمئنان حول قيمتي في هذه الحياة ، وبسبب هذا الاستاذ وغيره من الاساتذة المخلصين وإيمان والدتي بي ، فقد بدأت في التحصيل العلمي الجاد . لقد كان أمامي الكثير لتعويض ما فات ، ولكن لأول مرة في حياتي ، أود أن أنجح في دراستي . لقد كان لاهتمام السيد كارلوك بي ، حافز لى للتحسن . لقد قام البروفسور كانر بدراسة متابعة لحالات ٩٦ طفلا توحديا ، وقد وجد إن إحدى عشرة حالة بما فيهم الذين قد نجحوا في التحصيل العلمي عندما صاروا بالغين ، حصل لديهم تغير في الدافع الذاتي وفي السلوك عندما مروا بمرحلة البلوغ . ولقد علق على ذلك البرفسور كانر ، فقال « خلافا لمعظم الاطفال التوحديين الاخرين ، فإنهم يشعرون بخصوصيتهم ويحاولون أن يبذلوا جهودا ذاتية لعمل شىء لأنفسهم » . لقد أحس اليد كارلوك بأنني وصلت مرحلة مهمة تتوفر لدى

امكانية التغيير والتقدم وقد أدت رعايته لي ، إلى تحفيزي لمحاولة التعلم .
وخلال اجازة الصيف التي عقبته المرحلة قبل النهائية في المدرسة الثانوية ، قمت
بزيارة عمتي آن في مزرعتها في اريزونا . فهي كذلك ساعدتني ايضا وبصورة
كبيرة . وعندما أقترحت أمي في البداية أن أقضى الاجازة مع عمتي ، لم أكن متحمسة
لذلك ، لأنني لم أغانر المدرسة طوال فترة الدراسة ما عدى بعض عطل نهاية الاسبوع
، التي قضيتها في زيارة بيتي . بداية الفقرة إن السيد بيتر ، مدير الجبل الريفى ،
شعر بأن البيئة التي يمكن التحكم فيها ولا تتغير كثيرا ، ليست فقط مفيدة لى بل هى
أمر أساسي . والذهاب إلى المزرعة ، يعنى محاولة التأقلم مع بيئة جديدة بالاضافة
إلى السفر ، وما يعنى ذلك من التعرض لأناس وأماكن ومواقف مختلفين ، وهذه
جميعها تؤدى إلى زيادة الهجمات العصبية لدى .

ولقد كان عندى اختيارين للتعامل مع المشكلة العصبية ، أما أن أنسحب إلى عالمي
الداخلي وبالتالي أقلل من الإثارة ، أو أحارب النار بالنار وأجد أكثر الأنشطة اثارة لي
وأؤديها ولازلت أتذكر كيف أن ركوب لعبة البرميل ، قد ساعدني في تخفيف العصبية
لدى . إن اللعبة وما تمثله من اثارة جسدية وحسية قد تغلبت على توجهي نحو
تفادى مثل هذه الاثارة . وبالتالي لم تكن هناك أي طريقة لمقاومة مثل هذا التوجه .
ولقد شعرت بعدها بالراحة خلال فترة قصيرة ، أما في المزرعة في اريزونا ، فلن يكون
هناك لعبة البرميل لأثارتي ولكن سيكون هناك خيول وبالتالي يمكن الجرى عليها
مما يعنى أن هناك عملا جسديا شاقا .

وعندما ذهبت إلى المزرعة ، ظللت أتحدث عن الغرفة المنحرفة . ومرة بعد أخرى ،
أخبرت عمتي ، عن كيفية بناء هذه الغرفة من زواياها المختلفة وقصة معاناتي لحل
هذه المعضلة (كيفية بناء الغرفة) وكيف في النهاية ، قام السيد بروكس مدرس علم
النفس ، باعطائي كتابا مع رسم مخطط لهذه الغرفة . ومع أن نماذجي المختلفة
للغرفة المنحرفة ، لم تستطع حل المشكلة ، ولكنني في كل نموذج كنت قريبة من الحل
الصحيح . وأخيرا استطعت تطوير النموذج ، وبناء هذه الغرفة من الخشب المقوى .
إن تسلط الامر على ونجاحي في تنفيذه ، يجعلني أردد القصة تلو الاخرى على عمتي
آن . ولقد كانت كريمة وصبورة واستمعت بكل عناية إلى هواجسى وتسلط هذه
الفكرة علي ، مرة بعد الاخرى ، مما جعلها تكاد تنفجر من الملل والتكرار .

ولقد أدي القيام بأعمال جسدية شاقة أحيانا إلى التخفيف من الهجمات العصبية
. ولقد كنت مسرورة بمشاهدة كيفية عمل جهاز تثبيت وضغط المشية في مزرعة

عمتي . وطريقة عمل الجهاز هي كالتالي : يوجه الحيوان إلى هذا الجهاز بحيث يكون وجهه إلى بوابة الرأس (وهو جهاز شلمقصلة التي استخدمت في القتل في اوروبا) . وجهاز تثبيت المشية له قوائم جانبية من الحديد والخشب وذلك على شكل حرف V . وبعد أن يكون رأس الحيوان في الفتحة ، فإن هناك حبلا يمكن سحبه ويؤدى ذلك إلى ضغط القوائم الجانبية على الحيوان بحيث لا يدع له مجالاً للتحرك أو لخلق نفسه من خلال الفتحة . ولقد كنت أشاهد وبعضية زائدة وبعينين تلوح فيهما الدهشة ، حيوانا يساق بعد الآخر إلى جهاز ضغط المشية . وبعد أن تضغط القوائم الجانبية لهذا الجهاز ولدقائق بسيطة ، نجد أن الحيوان الذى كانتت أعينه متوترة ، قد خف عنه التوتر . فهل يا ترى أن الضغط البسيط ، قد ساعد على راحة الحيوان والتخفيف من الاثارة الزائدة للعجل ؟ إذا كان كذلك ، هل مثل هذا الضغط سيساعدني أنا أيضا ؟

ولقد كنت ، ولساعات عدة ، أراقب الحيوانات المذعورة ، وهي تدخل نحو هذا الجهاز وبعد أن يضغط عليها جانبي الألواح برفق ، أجد أن هذه الحيوانات قد هدأت . وقد رجوت العمدة أن أن تجعلني أجرب هذا الجهاز على نفسى . فإذا كان الجهاز قد ساعد العجول ، فإنه لا شك سيساعدني . ولقد قامت أن بسحب حبل الجهاز ، مما جعل جوانب الجهاز تضغط برفق على جسمي . ومباشرة شعرت بضغط الجهاز على جوانبي ، وفي العادة ، فإنني أنسحب من هذا الضغط كما حدث من قبل عندما أحست بالابتلاع والاختناق عندما ضمتني إحدى قريباتي السمينات خلال أيام الطفولة . ولكن في هذا الجهاز ، لا يمكنني الانسحاب وذلك لأنه لا توجد وسيلة لتفادي الضغط إلا إذا تم اطلاقى من هذا الجهاز ، لقد كان أثر هذا الأمر علي مزدوجا ، فهو مثير وفي نفس الوقت مريح للأعصاب . ولكنه من الأهمية بمكان بالنسبة لطفل توحدى مثلي ، أن في هذه التجربة كنت متحكمة في الأمر ،عكس حادثة ضم أحد قريباتي السمينات لى . لقد كان بإمكانى توجيهه أن إلى درجة الضغط المريحة . ولقد وفر ضغط الجهاز لى ، راحة من الهجمات العصبية ، مما جعلني مرتبطة به بشكل كبير .

وبعد اجازتي الصيفية ، كتبت العمدة أن إلى والدتي ، الخطاب التالي :

... كما تعلمين ، لقد انتظرت وصول تمبل بمزيج من مشاعر التوقع والخشية . لقد أخبرتني كيف أنها تتعلق بفكرة وترفض أن تتركها . ولقد سمعت عن نوبات غضبها العنيفة ، وخاصة عندما تكون قواعد السلوك صارمة ، وحيث أنني لا توجد

لدي لوائح وقواعد للسلوك ماعدا ما تتطلبه اللياقة والمنطق ، فإنني لم أر هذه النوبات منها . لقد أخبرتنى كيف أنها بارعة في العمل اليدوي والجسدي ، وهي كذلك . ولقد كان هذا من حسن حظي ، لأن المزرعة بحاجة شديدة إلى العديد من الاعمال والتي تتطلب أشخاصا بارعين في العمل اليدوي وعندهم العدة والأدوات لذلك . لقد اشتريت لها آلة لتشذيب وتقطيع الفضّة والجلد . وقد تمكنت تمبل من صنع لجام جبلي بيديها . كما أنها استطاعت تلبية لرغبة أولادي ، في عمل عرض غير رسمي للخيل بصورة متقنة ، وكان دورها هو القاضى ومدير الحبلية . ولقد كنا بحاجة ماسة إلى بوابة لحجز الماشية والتي يمكن فتحها بدون النزول من السيارة . وباستخدام الخيوط واعواد الثقاب ، استطاعت تمبل أن تصنع نموذجا مصغرا والتي يمكن من خلاله معرفة الأبعاد والأوزان وبالتالي بناء بوابة متكاملة ، يمكن فتحها بحبل يسحبه الشخص وهو جالس في السيارة . وهذه البوابة تفتح من خلال الحبل وكذلك من وزنها ثم بعد مضي وقت لمرور السيارة ، تغلق مرة ثانية .

وأما في الجانب السلبي ، فهي كما أوضحت لي سابقا ، تفتح موضوعا وتتعلق به حتى تقتله بحثا وكلاما . وتتعامل تمبل بالمعانى ولكنها عندما تجد شخصا ، يستطيع أن يتحمل تبعات بعض مخاوفها وقلقها ، فإنها لا تدعه يلتقط أنفاسه .

فقصة الباب التي تتذكر من خلالها آمالها وأحلامها ، سمعتها عدة من المرات ، حتى أنني أستطيع أن أرددها حرفيا وعن ظهر قلب . وقد كنت أقاطعها ، في العديد من المرات ، من منتصف حديثها . ولكنها تتركني أكمل ما قطعت ثم تعدد لاكمال قصتها من حيث بدأت . نعم ، إن تمبل سريعة الغضب ولكنها بدرجة رئيسة ، حساسة ، كما أنها ذكية لدرجة واضحة للعيان . بالاضافة إلى هذا ، فإن عندها الرغبة الشديدة في المساعدة في أي مشكلة ، مما يجعل الاستماع اليها ، يعتبر ثمنا بسيطا لا بد من دفعه .

إن جهاز الماشية الضاغط ، والذي أنا متأكد أنه سمعت به ، كان رمزا لدافعين متعارضين ، الأول الرغبة في الحصول والاستمتاع بالضغط الجسدي ، والدافع المتعارض الثاني هو عدم السماح لأي شخص حتى أنت والدتها بلمسها ، ناهيك عن عمته السمينة والشديد القوة .

ولا بد أن أعترف ، بأنني لم أستطع أن أفهم سبب انشغال واهتمام تمبل بجهاز الماشية الضاغط . وفي الحقيقة ، لقد مررت بلحظات سيئة وصعبة ، بينما كنت واقفة وتمبل تضع رأسها في جهاز الماشية الضاغط وأنا أقوم بالضغط عليها . ومع أنها

كانت تمر بتجربة عاطفية ، إلا أنني كنت اتسأل ، ماذا سأقول لرئيس عمال المزرعة عندما يمر ويسألنا ماذا نفعل . وسواء فهمت أم لم أفهم الإثارة التي تمر بها تمبل ، إلا أنني لاحظت أن جهاز المشية الضاغط كان مهما بالنسبة لها وكان رمزا مفيدا بها تمبل ، إلا أنني لاحظت أن جهاز المشية الضاغط كان مهما بالنسبة لها وكان رمزا مفيدا لها ، وفي حلها لمشاكلها بنفسها . ولهذا السبب ، فإنني أخذت أدافع عن تصرفاتها . وإذا قامت تمبل في مرحلة لاحقة ، ببناء نموذج لاستعمالها ، فهذا شيء مناسب . وبعيدا عن وصفه بأنه شيء غير صحي ، فإنني أشعر وببساطة أنه جزءا من الطريقة التي يعجب بها دماغه غير العادي في حل مشاكله غير العادية .

وأنا مسرورة أنني ساهمت ولو بجزء بسيط في تحرير هذا الدماغ الذكي للعمل الايجابي والذي أعرف أنها تستطيع أن تعمله . وأنا أعرف أنه سيأتي يوم أقول فيه وبسعاده « أنني اعرفها عندما »

المحبة أن بريشن

لقد رجعت إلى المدرسة في ذلك الخريف ، ومع ذلك لم أزل مرتبطة بألة المشية الضاغطة . ولقد وجه السيد كارلوك ارتباطي واهتماماتي نحو مشروع نافع . وبناء على نصيحته ، قمت ببناء ماكينة ماشية ضاغطة من الخشب المستعمل . ولكن هذه الماكينة ، أثارت قلق الاخصائي النفسي للمدرسة والذي قال « يا تمبل ، إنني لم أقرر هل هذا النموذج هو لعبة جواهر أم لشيء قبيح آخر » ، ثم استغرق بالضحك فأجبت « أنه ليس أى واحد منها » . ثم تحول إلى كرسيه وصفى حنجرته وأتكأ على الدرج أمامه وكأنه يشاركني في سر من الاسرار « ليس لدينا مشكلة في معرفة هويتنا هنا . أليس كذلك ؟ أنا أقصد ، إنك لا تعتقد أننا أبقار أو شيء شبيهه ، أليس كذلك ؟ » . فرددت عليه « هل أنت مجنون أو شبيهه بذلك ، بالطبع لا أعتقد أنني بقرة أو شبيهة بها . هل تعتقد أنك بقرة ؟ » .

لقد انتهت المحادثة مع الاخصائي النفسي ، بفقدانه لأعصابه ثم قال « لقد علمت العديد من الاشياء الغربية في مدرسة الجبل الريفية ، يا تمبل ، وإن الجهاز الادارى والمدرسين قد بذلوا جهدا للتعاطف معك وتفهم رغباتك . ولكن صندوق الضغط هذا يبدو غريبا وليس لدى خيار سوى أن أنصح أمك بما استقر عليه رأيي بهذا الصدد » .

كما أن قسم الطب النفسي كذلك ، رأى في المشروع ، أنه غريب ولا ينبغي أن

أستعمله . حتى أتفهم قد بذلوا جهودهم لأخذ هذا الجهاز منى ، مما جعلنى عرضه أكثر للهجمات العصبية . ولقد أقنعت إدارة المدرسة والدتي بأن استخدام جهاز الضغط سيجلب لى الضرر . وأصبح هذا الامر أساسا للتنافس بيننا ، مما جعلنى أحاول ، أكثر من أي مرة أخرى ، أن أبرهن على التأثير المريح لآلة ضغط المشية ، وأن نفس الاثر يمكن أن يكون على الناس ، وأنه ليس انتاجا لمخى الغريب . ولأول مرة في حياتي ، شعرت بأن هناك دافعا أو سببا للتعلم ، سبباً بعيدا عن محاولة حل مشكلة الغرفة المنحرفة بل هو سبب حقيقي . لماذا ضغط آلة المشية ، يهدىء العجول الخائفة ويهدىء اعصابه المتوترة ؟

وعادة ، عندما أكون جالسة في عش الغراب ، أتأمل في هذا السؤال وكذلك في قدرى ومستقبلي . ومهما يحمل المستقبل لى ، فأنا أعرف أنه يتضمن الدخول من الباب الخشبي الصغير ، الذى هو ، بالنسبة لى ، رمز الحرية والسعادة والمتعة . إنه الباب . إنه الباب . إنه الباب . ماذا وراء هذا الباب ، هو ما أصنعه وأعمله . لا بد أن أثق في نفسى قبل أن أطلب من الآخرين الثقة بى وبأفكارى . ولعل لدى العديد من الافكار التى تخيف الآخرين وخاصة فيما يتعلق بالفوراق بين الذكر والانثى . ولقد حاولت التخلص منهم بمظهر يعطى بالانطباع بأنها ليست موجودة معي ولكنها موجودة في أعماق نفسي . .

وفي مناسبات عدة وبينما كنت مضغوطة في آلة الضغط ، كانت تراودني لحظات ممتعة وأفكار حلوة عن الحب . ولقد كانت آلة الضغط التى صنعتها هي المعبرة عما كان يعتمل في خاطرى من أحلام أيام الطفولة . وفي بعض الأوقات كان يراودني القلق من أن يسيطر على التعلق بهذه الآلة فلا أستطيع العيش بدونها . ولكننى انتبهت أن هذه الآلة عبارة عن جهاز مفيد مبنى من مخلفات الاخشاب . إنها نتاج عقلي ، ونفس الشعور والافكار التى يحصل لى عند وجودي تحت ضغط آلة يمكن أن يحدث لى بدونها ، فهذه الافكار هي من نتاج عقلي وليس بسبب الضغط . وعندما أكون مضغوطة - بواسطة آلة الضغط - أحس أنني أقرب لبعض الاشخاص مثل والدتي والسيد بيترز والسيد بروكس والسيد كارلوك والعمة آن . ومع أن آلة الضغط هي مجرد جهاز ميكانيكي ، إلا أنها كسرت حاجز اللمس الدفاعي وشعرت بالحب والعاطفة اتجاه الناس وبالتالي اصبحت قادرة على أن أعبر عن مشاعري للاخرين . ولعل أقرب تشبيه لهذا الأمر ، بالباب المتموج (الاوركورديون) ، الذى انفتحت وانطلقت معه مشاعري الكامنة .

عندما بدأت بإنشاء آلة الضغط ، كانت شبيهة بتلك التي في المزرعة . لقد كان يتم ادخالي فيها والضغط على بمساعدة شخص آخر . ولكن مثل هذا الترتيب لم يكن عمليا في المدرسة . ، ولذلك اعدت تصميمها لأتمكن من غلق الآلة أو فتحها بنفسى . ولم تمكننى آلة الضغط فقط ، من التعبير عن مشاعرى ولكنها كانت حافزا لعمل واجباتى الدراسية ، حيث أنني لا أستخدمها حتى أنتهى من كل أعمالى المدرسية .
واخيرا ، جاء اليوم الذى سأمرر بالباب الأول ضمن سلسلة من الابواب . ففي يوم التخرج ، تم اختياري لإلقاء خطبة ضمن العديد من الخطب .

خطبة توزيع الشهادات ١٢ يونيو ١٩٦٦

في حياة كل شخص ، سيأتي يوم ، يتوقف أحدنا عن حياة الطفولة ويفتح بابا ليكون قائما ومعتمدا على نفسه ، منذ ثلاث سنوات ، كانت المرة الأولى التي اتسع فكري ليشمل المستقبل . ففي الدور الرابع من السكن المبنى حديثا ، توجد غرفة ذات ثلاثة جوانب ، تطل على الريف ، تسمى عش الغراب . وفي احدى الليالي ، وبينما كنت راجعة من العشاء ، لاحظت وجدد سلم يتكىء على الجدار ، فقامت بتسليق السلم ودخلت غرفة الملاحظة . وبينما كنت أحرق وأنظر من خلال حواف النوافذ التي يكسوها الجليد في ليلة مظلمة ينزل فيها الثلج ، تبين لى أنني وجدت المكان إلى الذى استطع أن أكون فيه بمفردى ، وأتأمل فيه أفكارى في عزلة وطمأنينة مع نفسى . إنه هذا المكان ، الذى بدأت أفكر فيه بمستقبلي بعد انتهائى من الدراسة . إن الباب الخشبي الصغير ، المؤدى إلى السطح ، يرمز إلى خطوات نحو المستقبل . ولقد فكرت أنه عندما أمر من هذا الباب إلى السطح فإنى سأكون مسئولة عن نفسى بالكلية .
وحتى يستطيع الانسان أن يفتح هذا الباب الخشبي الصغير ويمر من خلاله ، لابد أن يكون المرء راشدا بدرجة كافية تمكنه من التعامل مع المسئوليات والتحديات التي ستواجهه . كما أن الشخص لابد أن يكون لديه إيمان وثقة في نفسه وفي الآخرين . ولا بد للمرء أن يذهب إلى تلك المواقف ، دون خوف ، لأن الايمان سيتغلب على الخوف .

والان ، وبما أنني قد عملت في مزرعة عمتى في اريزونا وواجهت المشاكل العملية ، أشعر كأننى قد مررت من خلال هذا الباب الصغير . لقد كنت مسئولة عن نفسى في المزرعة . وهكذا مررت عبر الباب الصغير . ولقد طلبت من عمتى في أحد الأيام أن

تضعني في آلة ضغط المشية التي ستجعلني عاجزة تماما وبالتالي غير قادرة على الهرب . كان لابد أن أضع المشية التي ستجعلني عاجزة تماما وبالتالي غير قادرة على الهرب . كان لابد أن أضع ثقتي فيها كصديق ، بأنها لن تذهب وتركني في الآلة . وبينما كنت أسير في الممر الضيق الذي يؤدي إلى الآلة ، كنت أود أن أهرب حتى أبتعد عن ضغط الجوانب الحديدية للآلة . كان لابد لي أن أمشي بهدوء وطمأنينة ، بينما طرفي المقصلة يغلقان على عنقي . وكان لابد لي أن أواجه الحقيقة ، أنني لا أستطيع الهرب من عتبة الباب الصغير . ولقد راودتني نفسي ، أن أقفز قبيل أن تطبق علينا الجوانب الحديدية ولكني تحكمت في نفسي ولم أضرب بعنف الجوانب الجديدة . وعندما استطعت التحكم في نفسي لدرجة أنني أطلب وبهدوء تحريري من الآلة ، قامت العمدة أن بتحرير الآلة وأصبحت حرة مرة أخرى . ولقد لاحظت مبكرا ، أنه كان هناك شيء قيم يمكن الحصول عليه لأي أحد ، وهو أن يضع الشخص جزء من طاقته أكبر . إن قرارى بالعبور من خلال هذا الباب ، يرمز إلى قرارى برفع مستوى علاماتي المدرسية والعمل بصورة جادة نحو ذلك . إن هذا الباب ، كان المرحلة الأولى من الصعود الصعب نحو الوصول إلى الهدف الاكاديمي وهو التخرج من هذه المدرسة . إن التخرج هو عبارة عن تسلق سلم للمرور عبر باب في السماء . إن كل علامة ممتازة ، هي عبارة عن ارتقاء درجة نحو القمة . لقد ارتقيت ، بصورة مجازية ، سليما نحو باب في الدور الرابع من السكن الرئيسي . لقد كنت واقفة عند السلم واتسأل كيف أستطيع الوصول إلى هذا الباب . وبخطى بطيئة ، أجبرت نفسي ، درجة تلو درجة ، حتى وصلت إلى الباب . وعندما وقفت أمام الباب ، عرفت في قرارة نفسي أنه يمكنني الوصول ، لقد عرفت أنه يمكنني التخرج .

واليوم ، وأنا على قمة ذاك السلم وعلى وشك المرور عبر هذا الباب ، نحو مستقبلي ، فانني أشعر في أعماق قلبي ، أكثر مما مضى ، بالحب والرعاية التي شملني بها السيد بيترز ، وزوجته لمساعدتي في الوصول إلى ماوصلت اليه في حياتي . وأنا أعرف أنني لابد أن أظل أشكرهما دائما وأتذكرهما دائما ، عندما أرقى السلم القادم نحو القمة أثناء مروري بالباب الرمزي ، فإنني أفكر في كلمات الاغنية الجميلة « إنك لن تمشي وحدك » .

واليوم ، فانني أشعر أكثر مما سبق ، بأنني لا أمشي وحدي في مدرسة الجبل الريفية . وأنا لا أشكر فقط إدارة ومدرسي المدرسة ، بل الشكر موصولاً لعائلتي وأصدقائي كذلك .

الفصل الثامن

من خلال الباب الصغير

بعد تخرجي من مدرسة الجبل الريفية ، قمت بزيارة عمتي آن في مزرعتها في اريزونا مرة أخرى ، ولقد شعرت بالارتياح ، لأنني أعود إلى أشخاص أعرفهم وأماكن غير غريبة علي وأعمل أشياء في المزرعة معروفة لدي . وبعد مدة بسيطة من وصولي ، ارسلت لي والدتي رسالة ، فقالت فيها :

عزيزيتي تمبل

كما هو مثير أن تلد فرس العمه آن ، مهرا ، أعطيه ضربة خفيفة على أنفه ، هدية خاصة مني (إن وصفك لكيفية القيام بوسم الحيوانات بالنار ، يبدو لي أمرا مقززا من الصعب على القيام به) .

كما تعلمين ، لقد كنت أفكر في موضوع محادثتي معك حول الحب وكنت اتسأل حول امكانية قيام أحد بعمل ورقة حول ماهية الحب . ويبدو لي أن الحب هو الرغبة في رؤية الاشياء تنمو وأن يكون للانسان دور في هذا النمو . أولاً كل شخص يريد أن ينمي نفسه ولذلك فإنه لا بد من تنمية الرموز حتى يستطيع عمل ذلك . تذكرى التّك الضاغطة . لقد بنيتها في البداية ، لأنك قد مللت المزرعة وشعرت بالحنين إلى منزلك . وكلما ازداد جهدك في ذلك ، تبرز علامات نضجك ورشدك . وبعبارة اخرى هو رغبتك في النمو التي اوصلتك إلى هذا المستوى . إن الرغبة في النمو هي في الحقيقة حب نفسك وحب أفضل جزء في نفسك . وهذا الحب يتمثل في آلة الضغط (ومن ثم ، فإنه نظرا لحاجتك إلى الحب الجسدي ، تحبين أن تضغطي من خلال هذه الآلة) . وبعد أن يتعلم الانسان كيف يحب نفسه ، يبدأ في الرغبة في الاهتمام بالآخرين ، لينمو هم كذلك وبالتالي يستطيعوا أن يمروا من خلال الباب الصغير ايضا . وحالما يضع الانسان جهده ليجعل شخصا أو شيئا ينمو ، فإنه يصبح شريكا أو له سهم في هذا الشخص أو الشيء . إن لك نصيبا في المزرعة ، لإنك بذلت جهدا فيها . أنا لي نصيبا في المنزل الذي أعيش فيه ، لأنني عملت فيه . إننا نكره أن نرى تلك الاماكن تهدم ، لأننا نحبها ، والناس لهم نصيب في كل واحد منهم . أنا أحبك ، لأنني استثمرت الكثير مني فيك وأود أن أراك تنمين ، ولكنني أود معرفة ما هو شعورك تجاهي ؟

وهنا يمكن الفرق . فالبشر هم احياء ويمكنهم الاستجابة وتبادل المشاعر ، ولكن

الاشياء لا تستطيع التحدث اليك أو ضمك . إن الأشياء هي عبارة عن أمور تم صنعها من الخيال والطاقة والمواد الاولية . إنهم يعنون فقط ، ما تعطيهم اياه من معان . إن الانسان ليس رمز خاصا أو ممثلا لجهودنا ، ولكن مخلوق حى يستطيع الاجابة على اسئتنا . وقد لا نكون دائما نحب اجاباته ، لأنها قد تكون مختلفة عن ما نتوقع ولكن هذا المخلوق الذى يجيب ، له روح تحاول أن تصل إلى الكمال ، كما نود نحن . وفي نفس الوقت هذا الكائن الحى فريد ، كما أننا كذلك ، ولا يمكن ان نتصور أن يكون هناك كائن حى يشابه الاخر . والان يمكنك أن تقولى الشئ نفسه عن حبات الجليد أو القطة الصغيرة ، ولكن هناك شئ آخر عن تفرد الانسان . إننا كائنات كثيرة اللحم . أنا وأنت لدينا حلم الكمال ومن خلال مشاركتنا لأحلامنا ، نتعلم من بعضنا البعض . وعندما نعمل معا ، ينمونصيب أحدنا في الاخر ونصبح لا نحبه فقط وإنما نحبه كنتيجة لجهدنا . أما الاشياء فلا تستطيع أن تحبك . وحب الحيوانات محدود وأما حب البشر ، فالمرء تزداد علاقته مع الاخرين حتى ولو كان يكرههم . إن الحب لا يعنى بالضرورة أن يكون لديك شعور خاص ضمن نفسك . ولكن يعنى ببساطة الالتزام بالآخرين والسماع لهم والتعلم منهم . وبعد ذلك ، في مرحلة معينة ، وبدون أن نشعر متى ، تجد أنفسنا نهتم بهذا الشخص ونشعر بالفراغ والحزن عند فقده .

ها هي أمي العزيزة - التي تحبنى كثيرا وترعاني بعناية - تكتب هذه الرسالة الجميلة . إن اهتمامها يظهر في العناوين الفرعية للرسالة وأنا أعرف ماذا تقصد عندما قالت إن حبات الثلج أو القطة الصغيرة ليست من البشر . ولكن أمي لم تستطيع حتى الان أن توفق بيني وبينها في الرأى حول استخدام نموذج آلة الضغط . إن الاخصائي النفسي ، قام بعمل ممتاز ، حيث استطاع أن يقنع أمي أن الآلة الضاغطة هي شئ سىء ولا بد من عدم تشجيعي على استخدامها . إن عدم الاتفاق مع والدتي حول استخدام آلتى للراحة ، جعلني أكثر اقتناعا من ذى قبل ، بالحاجة إلى اثبات أن تأثير الراحة لهذه الآلة يمكن أن ينطبق على الناس الاخرين . إنها ليست نتاجا لتفكيري الغريب بل هي ، حقيقة أن الآلة لها فوائد عديدة .

وعندما تركت المزرعة في نهاية الصيف ، التحقت بالكلية الجامعية . سأظل ممتنة لأولئك الذين اختاروا لي كلية صغيرة . فلو أني دخلت جامعة كبيرة ، لضعت بين المباني الكبيرة العديدة لآلاف التلاميذ . ومع أني حزت على شرف الحصول على لقب فاتحة الاقفال في الكلية نظرا لقدرتي الفائقة على فتحها (والعديد من هذه الاقفال

تعود لأصدقاء كثيري النسيان) ، إلا أنني بدأت أكون بعض الصداقات .
ولحسن الحظ ، فإن الكلية كانت بالقرب من مدرسة الجبل الريفية كما أن منقذي
، اليد كارلوك ، لا يزال موجودا ، ليشجعني في المرحلة الجديدة من حياتي ، وعندما
أخبرته عن رد الفعل الذي حصلت عليه حول ماكينة الضغط ، من الاخصائي
النفسي ووالدتي ، قال لي بحكمته المعروفة « حسن ، لنبني الآن ماكينة أفضل منها
ولنقم بعمل تجارب علمية مع طلبة الكلية . حتى تتأكد من أن لعمل تعمل على إراحة
الانسان ولتبحثي فعلا عما إذا كان هذا الشعور حقيقيا » ، فقلت له متسائلة له
« حسن ، من أين نبدأ » .

فقال لي « نبدأ بك يا تمبل » وقد قالها السيد كارلوك بحزم وابتسم لي ثم أردف
قليلاً « إذا أردت أن تبرهنى على نظريتك ، لا بد أن تتعلمي الرياضيات وتطالعي بعض
المقالات العلمية في المكتبة وتقومي ببعض الأبحاث » . ولقد أخذت نصائحه بجدية
وبدأت أتعلم كيف أستخدم الملخصات العلمية وأن أقرأ وأفهم المقالات العلمية في
المجالات المحكمة . وفي كل نهاية اسبوع ، كان السيد كارلوك يأخذني إلى معمله
العلمي ، للعمل في آلة الضغط .

لقد أثار السيد كارلوك يأخذني في الرغبة في تعلم العلوم ووجه تطلعاتي إلى
مشروع ذي قيمة . لقد كنت أقضى ساعات طويلة في المكتبة ، أبحث عن
أي شيء ، يمكن أن أجده ، مثل تأثير المدخل الحسى في نظام حسى معين عل
الانطباع الحسى لنظام حسى آخر . لدهشتي وفرحتي ، وجدت أن هناك حقلا
علميا كاملا يسمى التفاعل الحسى . وعليه ، فإن بحثي للتخرج ، كان يتعلق
بالتفاعل الحسى وتجاربه وخاصة فيما يتعلق بالآلة التى اخترعتها للضغط
الجسدي . وتؤكد النتائج التى استخلصتها من تجاربي ، أن الضغط يثير بداية
التكلفة السمعي Auditory thersholds .

وبعد أبحاث عديدة ، بنيت « باسيز » وهى النموذج الثانى لآلة الضغط . وكلمة
باسيز تعنى الأحرف الاولى من جهاز الضغط المتحكم فى بيئة الاحساس . وكان هذا
النموذج المزود بجوانب من الفوم المقوى ، يعتبر كالكاديلاك مقارنة مع نموذجي
الخشبي الاول . وبسبب أن الاساتذة والاختصاصيين ، كانوا كلهم من أتباع نظرية
فرويد ، فقد فسروا جميع اهتمامي وتعلقى بآلة الضغط ، تفسيرا فرويدا جنسيا ،
مما جعلني أشعر بالذنب .

ومع هذا لازلت أشعر بأن أستخدم الماكينة ليس سيئا بالكلية . وفي الكلية ، قمت

بخطوات واسعة في الاتصال الاجتماعي مع الناس . ولقد ارجعت كسر هذا الحاجز والعمل بصورة أفضل مع الناس ، إلى آلة الضغط الجسدى . لقد علمتني هذه الآلة أن أكون لطيفة وأن أكون متعاطفة ، كما علمتني أن اللطف ليس مرتبطا دائما بالعنف . لقد بدأت أتعلم كيف أتفاعل مع الناس وأعبر عن مشاعري . إن الدراسات اوضحت حالتين لاطفال توحديين رفيعي المستوى ، كان فقدان العاطفة والتعاطف هو أكبر سلبياتهما . ولقد كتب أحدهما أنه لا يهتم بالناس كما أن بعض البالغين مما ششفوا من التوحد ، كانت لديهم صعوبات في اقامة العلاقات مع الآخرين . كتب أحد الرجال التوحديين « لقد كنت بارد المشاعر والقلب ، لقد أصبح من المستحيل علي قبول أو اعطاء الحب للآخرين . لقد كنت دائما أصد الآخرين عني . وهي لازالت مشكلتي حتى الآن هي كيفية اقامة الصلات مع الآخرين » . ويصف جيلس بمبوردي ، من كلية الطب في هارفرد ، أحد البالغين من التوحديين بقوله « يبدو أن جيري (اسم الشخص التوحدي) أحيانا يفهم في أوقات معينة ، كيف يشعر الشخص الآخر ، ولكن لا يستطيع تلقائيا تحسس أو أدراك نفسه ضمن تفكير الشخص الآخر » .

إن الشعور بالضغط الناتج عن الآلة ، بصورة بطيئة ، قد أمكنني من ادراك مشاعر العاطفة . ولقد كتبت في مذكراتي « إن الاطفال لابد أن يتعلموا كيف يكونون لطفاء ، وبما أنني لم أتمكن من تعلم ذلك ، فلا بد أن أتعلمه الآن . إن آلة الضغط تعطيني الشعور بأنني محاطة بعناية وكأني في أحضان وذراع أم . وهذا من الصعب التعبير عنه ، لأن كتابته هو تعبير عن قبول هذا الشعور » .

وتوضح الأبحاث والدراسات مع أطفال القرد ، أن قدرتهم على التعاطف مستقبلا ، تتأثر بمدى نيلهم لالتصاق جسدى يعبر عن الحنان والعاطفة . والظاهر أنه حتى يتم الحصول على الشعور بالاهتمام والرعاية ، لابد أن يحصل على الشعور بالراحة . إن التجارب مع الحيوانات ، توضح أن اراحة المثريات اللمسية يؤدي إلى تغيرات بيوكيميائية مميزة في النظام العصبي المركزي . وأنا أضمن أن الاستخدام المنتظم لأن الضغط قد يساعد على تغيير بعض البيوكيميائيات الغير عادية والتي نتجت عن غياب الاراحة للمثريات اللمسية خلال فترة طفولتي المبكرة . ولعل غياب العاطفة في العديد من الاطفال التوحديين ، ناتجة عن كرههم للحضن عندما كانوا صغارا . ولكن مع ذلك كله ، يمكننا أن نؤكد وبصورة واضحة ، إن ماكينة الضغط هي ليست الدواء الشافي لكل الاطفال التوحديين .

إن ضغط الماكينة الجديدة كان لطيفا لا يمكن مقاومته . ولذلك فإن الضغط كان

تأثيره كبيرا لأنه كان لطيفا ، ولأنني ضغطت على نفسي لقبول آلة الضغط وجوانبها الضاغطة . والأهم من ذلك كله ، أنني كنت قادرة على تحديد حجم الضغط الذى أريده، فبدأت أشعر بأنني قادرة على تحمل لمسة على عنقي أو ضربة على أكتافي من البشر .

ومع أنني أعرف مزايا الآلة الضاغطة ، إلا أنني مع ذلك ، كنت أخاف منها وخاصة الأحياء الجنسية ، التى دائما يشير اليها الآخرون . ولكنني أخيرا عرفت أن الخوف الحقيقى ، هو الخوف من النظر إلى نفسي وأنني محصورة ضمن نفسي . ومع أنني كنت أعلم ، بالرغم من الأحياء الجنسية التى جعلها الآخرون مرتبطة بالآلة ، أن أفكارى وخيالاتي لم تكن نتيجة لما أطلقوا عليه الآلة الشيطانية . فقد كانت الآلة هي عبارة مكبرة عن مشاعرى وأن الآلة لم تكن مسئولة عن أفكارى ، كمثل مسئولية آلة التسجيل عن الموسيقى التى تديعها .

ولقد شعرت أنه متى قبل الناس بفوائد آلة الضغط ، سأومن أكثر بنفسي وقدراتي . إن القبول التام بها لن يتم ، إلا بعد الفحص العميق لمشاعرى وأن أتفادى أن لا أكون قادرة عن الدفاع أو تبرير أو حماية نفسي من تأثيرها . ومنذ كنت صغيرة ، كنت أحلم بوعاء يعطيني الراحة . ولقد كنت أشعر ، حتى وأنا في هذا العمر الصغير ، أنه أياً كان الجهاز الذى سأبنيه ، فإنه سيمكّنني من الفهم والتدبر في عالم لم يفكر فيه أحد سابقا . ولقد كنت اتساءل بصورة مستمرة هل سأكون معتمدة دائما على هذا الجهاز . إن جهاز الضغط كان شيئاً أمنت به وبنيتة على هذا الأساس . لقد تعلمت أن أتحكم في نفسى ، عند استخدامي لآلة ، بدلا من محاربة الضغط . وبدأت أشعر بأنني إذا قبلت الضغط ، فإنه يهدء أعصابي ويريح بالي .

إن نتائج الاختبارات على الأشخاص الآخرين ، الذين استخدموا آلة الضغط ، توضح أن آلة الضغط يمكن أن تخفض بعض الوظائف المتعلقة بالتمثيل الغذائى Metabolic . ومن مجموع أربعون طالبا عاديا في الكلية ، أحب ٦٢٪ منهم آلة الضغط ووجدوا فيها وسيلة للراحة . إن آلة الضغط ، تجعل الضغط على اجزاء من الجسم ، الأكثر حساسية في الانسان ، وسيلة لانتزاع الفعل اللارادى الناتج عن ضغط البشرة ، ولقد وجد بعض الأشخاص أن ماكينة الضغط ، توفر لهم الراحة لمدة ١٠ أو ١٥ دقيقة الاولى ، ثم يبدأ الملل يتسرب إلى نفوسهم ، مما يعنى أن هناك حدا أعلى للآثاره تتناقص من بعده . وقد وجد أن آلة الضغط تكون أقل فعالية ، خلال أيام الصيف أو اذا كانت الغرفة باردة . وبالتالي فإن ارتباطي بآلة الضغط لم يفدني

فقط ، بل أدت راحة إلى ٦٢٪ من الاربعين طالبا في الكلية ، الذين شاركوا في التجربة .
لقد شعرت بالرضا حول ارتباطي بآلة الضغط بعد هذه النتائج .
إن آلة الضغط تستخدم حاليا في المصحات التي تعالج الاطفال التوحيديين
والاطفال البالغين الذين لديهم طاقة زائدة . وتقول لورنا كنج وهي أخصائية تدريب
مهني ومديرة مركز دراسات تطور الأعصاب في فينكس ولاية اريزونا ، أنها وجدت
الجهاز مفيدا في تخفيف الطاقة الزائدة . وتذكر الاخصائية كنج ، أن البالغين ممن
يتسمون بالنشاط الزائد يشعرون بالهدوء في اليوم التالي ، عندما يتعرضون لضغط
هذه الآلة لمدة عشرين دقيقة . ومع أن الاخصائية لورنا كنج نجحت في علاج بعض
الاطفال التوحيديين من خلال علاج التكامل الحسي ، إلا أنها لم تغرس الاثارة في أي
طفل . إن وسائل الاثارة الحسية كالضغط ، تستخدم كطريقة لمساعدة النظام
العصبي المتضرر على إصلاح نفسه بنفسه . فالاثارة الحسية ستؤدي إلى انشاء
دوائر عصبية جديدة . فالفئران التي وضعت في بيئة غنية بالألعاب وأشياء
اخرى تستطيع تسلقها ، كان تطورها العقلي أفضل من الفئران التي وضعت
في أقفاص عاية . فالاثارة الحسية تساعد على سرعة بلوغ ورشد الجهاز
العصبي . فالكلاب التي تعرضت للاثارة الحسية ، ادى ذلك الى الرشد
العصبي Vestibular Neurons .

إن استخدام الابواب كرمز ، كان أحد الاشياء التي تعلق بها سواء في المدرسة أو
في الكلية . وفي الواقع إن تخطى عتبة الباب ، كان طريقتي في إتخاذ القرار ، مثل
التخرج من المدرسة الثانوية والتخطيط للدخول إلى الجامعة . والمرور من خلال باب
حقيقي (وليس حسي) ، جعل من اتخاذ القرار حقيقة . ورمزيا ، كان ارتباطي
بالباب ، يمثل مروري من خلال ممر الزمن . ولأن قدرتي العملية ، كانت مرئية ، فإن
فعلي ذاك ، كان رد فعل طبيعي لهذه القدرة .

وبعد سنتين من الدراسة في الكلية ، بدأت مرة أخرى في التخطيط للمستقبل سواء
التخرج من الكلية أو متابعة الدراسات العليا . إن الاعداد العاطفي وتصور الرحلة إلى
المستقبل نزهة كان أمرا أساسيا ومهما بالنسبة لي ، ومرة أخرى استخدمت الباب
كرمز للشئ الذي أود المرور من خلاله . إن الباب يؤدي إلى السطح في السكن
المدرسي ، وهو يشير إلى المرور من خلاله ، إلى مكان جديد . وبالطبع فإن حرمة
التسلق إلى هذا الباب ومن خلاله إلى السطح ، قد أضافت أهمية إلى هذا الفعل . إن
أي شئ يمكن أن يفعله الانسان ، لابد أن تكون له بعض الجوانب السلبية . كما أن

عدم شرعية الفعل ، قد أضاف شيئاً إلى التزامي في المستقبل . فلو كان المرور من خلال هذا الباب مأموناً وشرعياً ، فإن هذا لن يكون واقعياً بالنسبة لي .

وإنه لاشك لدى ، في أن أن الضغط والباب الرمزي ، كان لهما دور فاعل في تحسين مستوى الدراسي وفي تطوير علاقاتي مع الناس ، ولكنني مع ذلك لازلت أواجه مشكلة في علاقاتي الاجتماعية . فبعض التلاميذ يطلق على الفتاة الغربية . وحتى عندما البس ملابس تواكب أحدث الموضات ، يظل العديد من طلبة الكلية يتحاشون الحديث معي . ولم أستطيع أن أعرف ما هو الخطأ الذي ارتكبته والذي يجعلهم يتصرفون كذلك . ولقد كانت خطوة كبيرة إلى الامام في التطور الاجتماعي ، عندما عملت كعضو في فريق «مراجعة رافن» . ومراجعة رافن عبارة عن عرض العقول الذكية في الكلية . وقد كانت خطوة عملاقة إلى الامام مقارنة مع أيام الدراسة المبكرة ، والتي كانت الوسيلة الوحيدة للاتصال بزملائي ، هي ضربهم . لقد بنيت وقلت بصياغة نصف الأشياء المستخدمة في العرض ، ولا عجب بالتالي أن زملائي يحترمون مقدراتي الابتكارية . إنه من السهل ، أن يكون لدى الانسان اتصالات اجتماعية مع الآخرين ، بينما هم جميعاً يعملون في نشاط واحد يهتمهم جميعاً .

وفي الصيف الذي يلي السنة الثالثة في الكلية ، عملت في مستشفى مع الأطفال مضطربي الاعصاب . ولقد كان جاك ، وهو طفل في السابعة من عمره ، أحد هؤلاء الأطفال في المستشفى ، ولقد أسرني وأثار اهتمامي ، لأنني وجدت نفسي فيه . ومع أنني كنت التف في قطعة من البلاستيك عندما كنت طفلة (كوسيلة للوصول إلى الاثارة الحسية) ، فإن جاك ، حتى في أشهر الصيف الحارة ، كان يلف نفسه ببطانية . ومع أن جاك لم يتم تشخيصه كطفل توحدي فقد كانت لديه بعض صفات الأطفال التوحيديين . ففي معظم الأحيان ، كان لا يهتم بالناس ولا ينظر اليهم مباشرة ويبدو كأنه لا يسمع لهم . ومع ذلك فإنه مرتبط كثيراً بالاجهزة الميكانيكية . ومع أنه يمكنه التحدث بصورة طبيعية ولكنه عادة يقوم بالصراخ ، إذا طلب منه شيء معين مثل أن يقال له «إجلس يا جاك» . وفي ذلك الصيف ، قضيت وقتاً طويلاً معه أتحدث فيه عن الآلات الميكانيكية . ولقد بدأت أشعر وكأنني السيد كارلوك عندما قام بفتح مداركي . إنني أفتح الباب الان نحو عالم جاك السري ، والمسألة المهمة هي الحديث معه عن ارتباطه (باجزاء الآلات الميكانيكية) اولا ثم إدخال موضوع الناس والعلاقات الاجتماعية ضمن الحديث ، وإلا سيستمر جاك بعدم الاتصال بأحد على الإطلاق .

وكقاعدة ، فإن الاخصائين عادة يتفادون أن ينمو ارتباط الشخص بشيء ما . ولكن العديد من الأطفال التوحديين ، الذين يرتبطون بشيء ما أو يتغلب عليهم هاجس ما ، فإنهم يفعلون ذلك ، لأن الأمر له علاقة بالحاجة إلى التقليل من اثارة نظام عصبي زائد النشاط . ولأنهم يركزون على مسألة الارتباط ، فإنهم يسدون المجال امام اثارات لايمكنهم أن يتحكموا فيها . إن الاثارة المتكررة والرتيبية ، قد تؤدي إلى تخفيض حدة العصبية في البالغين من الناس . والعديد من الاخصائين المعالجين والنفسانيين ، يؤمنون بأنه إذا أطلق العنان للطفل في الارتباط بشيء ما ، فإنه سينتج عن ذلك ، ضرر لا يمكن إصلاحه . وأنا لا أومن بأن ذلك صحيح في كل الحالات ، فالارتباط بشيء ليس سوى ميزة أو سمة ، فيها بعض التطرف . وقد يكون الطفل عنيدا في الارتباط بشيء ما ، ولكن عندما تكون تلك السمة أو الميزة تستهلكه ، فإن هذه الميزة أو السمة يمكن وصفها بالارتباط بشيء معين وعدم الانفكاك عنه . وبعض الميزات والسمات فيها فوائد جمة . فالعناد له علاقة بالمواظبة والمثابرة . والمثابرة سمة مطلوبة للوصول إلى أهداف معينة . إن الصفات والمميزات في الأطفال التوحديين ، هي مشابهة لما عند الاطفال العاديين ، ولكن بعض هذه السمات ، قد نحى منحى بعيدا لدى بعض الأطفال التوحديين .

وأنا أتذكر عندما كنت صغيرة ، كنت أحب الاثارة التي تنتج عن ضرر ولو نفسي . وقد يكون الامر كذلك ، مع الاطفال الذين يشوهون أنفسهم أو يسببون لها الضرر * . ولعله من الممكن ، أن يوجه هؤلاء إلى اثارة ذاتية وايجابية وأقل تخريبا وضررا . وقد تساعدني - آلة الضغط التي ذكرتها آنفا - على مساعدة هؤلاء الأطفال . ولعل الطفل إذا تعلم أن يحب الاثارة الناتجة عن آلة الضغط ، فإنه لن يقوم بعض أصابعه أو احداث ضرر بجسده . وتوضح الابحاث الحالية عن الحيوانات ، أن الاثارة الذاتية والسلوك ** النمطي الغير ذاتي Stereotyped Behavior ، يخفف من الإثارة ويقظة الجهاز العصبي لدى الحيوانات . فالسلوك النمطي غير الذاتي يقلل من مستويات هرمون الاجهاد Cortisol . والاطفال التوحديون ، لديهم عادة جهاز عصبي زائد النشاط . إن أعراض التوحد والحرمان الحسي Sensory Deprivation ، هي أعراض متشابهة . والاشخاص والحيوانات ، المحرومون من الحس ، لديهم جهاز عصبي شديد الحساسية ، مما يعني قلة استجابتهم للمؤثرات الحسية .

* كضرب الرأس في الحائط أو ألقاء النفس على الارض .
** ان يكون سلوك الانسان ، متكررا أو نمطيا دون تفكير أو تأمل سابق .

ولو أن الطفل ، استخدم آلة الضغط ، فربما ينتج عن ذلك اثارة قوية له ، تكون مريحة . وبما أن آلة الضغط قد تم تصميمها لتعطي الشعور بأنك محضون من شخص ، فإنها قد تساعد الطفل عل تعلم أن يحضن أو يلمس من قبل الناس الذين حوله . وحالما يعرف الطفل كيف يستخدم الآلة ويحبها ، فإن الخطوة القادمة ستكون الاثارة الانسانية . والآلة الضغط هي خطوة مهمة ، لإن الطفل يستطيع التحكم فيها وبالتالي يتحكم في حجم الاثارة التي ترد عليه .

ولعله من الواضح ، أن الطفل إذ بدأ يسبب الضرر لنفسه ، فلا بد أن يمنع من ذلك . ولكن الأنواع الاخرى من الارتباط بالشئ ، يجب أن لا يكون عدم التشجيع هو القاعدة دائما . لأنه في بعض الاحيان ، يكون وسيلة للاتصال والتفاهم ، كما في حالة جاك . كما أن تحويل فعل سلبي إلى آخر ايجابي ، هو أحد الاحتمالات التي يمكن عملها . كما أنني أعتقد أن جاك سيتحسن بكثير لو استخدمت معه آلة الضغط . ولقد كنت أتبادل الرسائل مع امرأة بالغة من التوحديين وكانت تشتكى من عدم قدرتها على التحكم في نوبات غضبها . وفي رسائلها إلى ، يظهر بوضوح تعطشها للاثارة اللمسية . وهي تستخدم كلمات لمسية لوصف الاشياء ، كقولها ريش وناعم وغيرها من الكلمات المرتبطة بالمشاعر اللمسية . وقد أحببت فكرة آلة الضغط ، وربما تساعدها الآلة في ذلك .

ولقد كان استخدامي لآلة الضغط هو محور النزاع بين الأخصائيين والأصدقاء والأقارب . ولق حاولوا عدة مرات أخذها مني . وعلى المدى الطويل ، فقد آذوني كثيرا ، لأنهم جعلوني أشعر بالذنب وكأن استخدام الآلة هو عمل غير مقبول وغير أخلاقي ويثير الاشمئزاز . ولقد استغرق الامر سنين عدة ، حتى استطعت التغلب على الشعور بالذنب وبالتالي قبول ماكينه الضغط بالكامل .

أما في الجانب الاخر ، فإنهم عندما حاولوا أخذ آلة الضغط مني ، جعلوني أحاول وبصورة جادة اثبات أن الماكينة لها فوائد عملية كثيرة - وعدم موافقتهم على ما أقوم به ، جعلتني أحاول أن ينتج عن ارتباطي بآلة الضغط ، شيء مفيد * .

أما ارتباطي بالابواب ، فقد استمر حتى الكلية . ففي مذكراتي اليومية ، اعترفت بمخاوفي من المستقبل ، ولقد كنت قلقة حول مدى استعدادي لذلك المستقبل . ولقد كنت متحمسة لأن اعبر الباب الرمزي نحو تجربة جديدة . وفي الكلية ، كنت في سجن نفسي . ومع ذلك كانت لدي الرغبة في الدراسة وفي التحكم في مشاعري ، والسعى

للتأقلم مع الناس ، ولاتخاذ الخطوة الحاسمة نحو ولوج الباب نحو الحرية والمستقبل الزاهر . أنا أعلم أن الحياة هي عبارة عن دائرة ، وأن الماضي لا يمكن أن يتركه المرء خلفه . إن الباب الرمزي في الكلية ، لم يكن أكثر من امتداد لعش الغراب في المدرسة الثانوية ويمثل الحياة والاتصال والعلاقة الاجتماعية . كما أن آلة الضغط ، كانت وسيلة للتعرف على أحاسيسي ، إذا لا يمكن للحياة أو التعلم أن يصلح بدون الآخر .

ولقد بدأت أيام الكلية تقترب من النهاية ، فالامتحانات النهائية على الأبواب ثم يليها التخرج . ولقد عملت بجد في دراستي ، كما خطوت خطوات عملاقة في تكوين علاقات الصداقة والتأقلم مع زملائي في الكلية ، مما ولد عند شعوراً بالتناغم معهم . وقد قلت في الأوراق الأخيرة - التي كتبتها في فصل الزواج والعائلة - وعبرت عن مخاوفي وقلقي ، وعن رغباتي وأحلامي - كتب ما يلي :

« إن الهدف من الورقة ، هي كتابة بعض آمالي وأهدافي من الزواج ، وإنني أستطيع أن اعطيكم ورقتين من الأفكار النظرية عن الزواج المثالي أو أخبركم عن حقيقة نفسي ، إنني أعتقد أنه امر غبي ، أن يكتب الانسان عن شيء ليس بذي قيمة ، لأنكم ستعرفون أنه ليس له قيمة بالنسبة لكم . إن محاولة تلميع الفكرة النظرية للزواج ليس اسلوبي . وعلى أي حال من يستطيع العيش في جوانب نظرية ؟ إنني مترددة في الكتابة عن مشاعري الحقيقية ، لأنه قد يكون فيها بعض المخاطرة . إن المرات التي أفصحت فيها بعض أسراري أو مشاعري الخاصة ، وجدت كثيراً منها قد انتشر في أرجاء الكلية ، مما أدى إلى أن يساء فهمها عموماً . وبالتالي فأنا لا أستطيع الوثوق بكم ومن المحتمل أنني لا أستطيع الوثوق بأي شخص . ومع ذلك فإنني قررت قول الحقيقة في هذه الورقة ، وبعد قراءتكم لها ، أكون لكم شاكرة لو تقومون بارجاع هذه الوريقات أو إتلافها ، حتى لا يستطيع شخص غير مسئول الاطلاع على أسراري العسكرية ذات الصفة المكتومة . والآن ، تأتي الاشياء الصغيرة الغريبة التي أود ذكرها .

إن هدفي من حياتي في هذا الكوكب ، هو بناء جهاز أو تطوير الطريقة التي يمكن استخدامها لتعليم الناس كيف ينظرون لأنفسهم وكيف يكونون لطفاء وحريصين على رعاية أنفسهم والآخرين . ولم تفتأ أفكارى تدور حول بناء آلة أو جهاز ، أستطيع من خلاله تعليم نفسي كيف أتعامل بلطف مع نفسي وغيري . وأنا الآن استطعت أن أبني جزءاً من هذه الآلة ، وهو نموذج لآلة الضغط .

ومنذ كنت طفلة ، ولسنوات عديدة ، كنت انسانا يهتم بالآلات بدلا من الناس . لقد انكفئت على نفسي بعيدا عن الناس ، حتى أنني لم أبدأ الكلام إلا في سن الرابعة . إن هناك تسمية لهذه الظروف وهي التوحد . وأنا مرتبطة وحتى الآن بالآلات وخاصة الآلات التي يُتحكم بها والمصممه للتفاعل مع الناس . ولقد استطعت بآلة ضغط المشية ، وهي الجهاز الذي كنت أفكر في تصميمه منذ صغرى ، أن أعلم نفسي كيف أشعر . لقد كنت أقضى ساعات عديدة في هذا الجهاز العبقري بدلا من الدراسة . ولم أبدأ في الدراسة ومراجعة المواد ، إلا بعدما شعرت أن العلم أداة أساسية لبناء الجهاز الذي سيساعدني على عمل الإثارة التي كنت أفتقدها منذ كنت صغيرة .

ولعلمك تتساءلون ما علاقة ذلك مع الشعور بالهدف ، إنها علاقة حميمة . إن الإله (لحكمة يعلمها ، ويتفاوت الناس في معرفتها) قد خلق في هيكل جينات بعض الاطفال ما يفصم خلايا المخ التي تخلق العاطفة ، عن الارتباط مع الام والاقارب . ولعل إلهي خلقني بهذه الطريقة ، حتى أستطيع أن أخترع جهازا سيساعد أناسا آخرين . والطريقة الوحيدة التي يستطيع المخترع أن يعرف كفاءة جهازه ، هي أن يجربه على نفسه .

وحتى الآن ، وبعد أن بنيت آلة الضغط واستخدمتها ، فإنني لازلت أرفضها وأخاف منها . إن شعوري عندما أكون بين آلة الضغط ، هو شعور الشخص الذي يبحث عن الارتياح . ولكن المشاعر التي قد تثيرها ، تكون معظم الاحيان مؤلمة . ولا زلت أجد صعوبة في قبول الجانب الشعوري مني . ولعل أحد الأسباب الرئيسية لخوفي ، هو القلق من أن عواطفني ستتغلب على ولن أستطيع الوصول إلى مقصدي أو ما هو مقرر لي في القضاء والقدر . ولهذا فإنني أخاف من الزواج . وأنا أكثر اهتماما ببناء هذا الجهاز وبتطوير طريقة لمساعدة الناس الآخرين ، من اهتمامي بأن أتزوج وأكون امرأة عادية .

ففي الزواج تصبح فتاة تابعة أو خاضعة . أنا لم أر حتى الان زواجا ، يمكن أن يكون نموذجا مناسباً لي . والطريقة الوحيدة ، لأكون متزوجة ، أن أعمل أنا وزوجي في البحث العلمي .

وللأسف هناك تحاملا على المرأة ودورها في المجتمع ، وينطبق هذا الأمر حتى على هذا الحرم الجامعي . فالإدارة تتعامل مع النساء العاملات وكأنهن غيبات وليس لديها أدنى احترام لهن . إن هذا الشعور المتعصب اتجاه المرأة ، جعلني عازفة عن

لزواج وجعلني أفضل أن أكون متبته .

ولعل هناك نقطة واحدة ، أحب أن أجعلها واضحة ، إن الهدف من آلة الضغط ليس أن يخضع الشخص لمبدأ يضعه المجتمع ، ولكن لتمكين الشخص من البحث بصورة كاملة عن روحه ، وليكون قريبا من وعيه وعقله . وقد يكون سبيلا للقرب من ربه ، فلا يكون همه تحقيق المكاسب الشخصية . وإذا كانت الوسيلة الوحيدة لتي أستطيع بها أن أعمم استخدام جهازى في العالم ، قبل أن أموت ، هي أن يسرق حد الجهاز ويدعى نسبه اليه ، فإنني لا أمانع من ذلك .

لكن واحسرتاه ، ومثل سكنر B.F. Skinner في عمله ولدن الثاني Walden Two ، لا ود أن أخضع نفسي لجهازى الذى اخترعته ، حتى ينتشر في العالم أجمع . وعندما يكون ذلك ، أستطيع أن أستخدمه كذلك وأنسبه إلى نفسي . وماذا عسى أن أكون لولا مسكى بهذه الفكرة حياتي كلها ، فقد كانت الدافع الوحيد لأن أدرس بجدية في مدرسة . وكم كان يتتابنى القلق ، عندما لا أستطيع فهم الرياضيات ، لأن رياضيات مهمة في بناء الجهاز .

وهكذا ، ياسيد وبر ، ورقتى هي الورقة الحقيقية عن هذا الموضوع ، فهي ليست جرد صفحتين مكتوبتين بخط جميل ، ولا تحتوى على أفكار نظرية غير واقعية . إننا كتبته من وريقات ثلاث ، فيها الكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية مطبوعة بصورة رديئة ، ولكنها تعبر عن الحقيقة . إن الورقة النظرية عن هذا لوضوع ، لا تقدم لنا شيئا . أنا أمل أن أثق فيك بأن لا تناقش أى جانب من جوانب هذه الورقة مع أى شخص .

ولقد كتب السيد وبر على هذه الورقة « ورقة ممتازة ، وأشكرك عليها . لقد كنت ائمة تكتبين أفكار أصيلة وبصورة عميقة . وأنا أكتم الأسرار فيما يختص بما كرته من أفكار » .

ثم جاء اليوم المشهود وهو يوم تخرج دفعة ١٩٧٠ من الكلية بدرجة بكالوريوس في علم النفس ، مع مراسم إعطاء تحية خاصة من الدفعة .

إنه الوقت المناسب لفتح الباب الرمزي نحو المستقبل . لقد وصلت إلى أعلى سلم دراسة الجامعية والآن في أدنى سلم الدراسة ما بعد الجامعة .

وبعد الانتهاء من حفل التخرج ، مررت عبر الباب في المبنى السكنى حو سطح المبنى يملؤني شعور بالثقة . ولقد غرست دبوسا في سطح كتبه للتعبير عن تقدمي عبر باب آخر . ولقد كان الدبوس منقوشا عليه الكلمات

التالية Saxam . Atruim. Culman ، ومعناها : « كافح للوصول إلى المرحلة الاعلى » . لقد استطعت أن أقهر سلم الجامعة ، وأنا جاهزة لارتقاء سلم الدراسات العليا . إن معنى كلمة التخرج باللغة الانجليزية تعنى الابتداء . إن عبورى الباب من السقف العلوى ، كان رمزا لبدئى الدراسات العليا . ولتذكيرى بنجاحى ، قدمت لى والدتي حلية ذهبية منقوشة عليها « المرور من الباب الصغير » .

الفصل التاسع

كلية الدراسات العليا وعائق الباب الزجاجي

لقد قضيت الصيف ، بعد انهائي دراستي الجامعية ، في المنزل . واستفدت من هذه الاجازة ، في بناء جهاز لضغط الماشية أفضل مما سبق - أدخلت تحسينات عديدة مثل جعل جوانب الضغط ومكان الرأس ، أكثر راحة .

وباستخدامي لآلة الضغط ، تعلمت التحكم في سلوكي العدواني وأن أقبل العاطفة . وفي بعض الأحيان ، تخف الهجمات العصبية على . وخلال هذه الفترة ، استمرت معاناتي من نوبات النملة Eczema ومغص القولون Colitis . وربما اضطرتني هذه النوبات ، متى اشتدت إلى العيش بالروب (الزبادى) والجيلي ، كغذاء ولمدة ثلاثة أسابيع . وحتى أستطيع أن أصحح هذا الاضطراب ، فإنني أكون بحاجة إلى الشد من الناحية العاطفية حتى أخفف من أعصابي . ولقد كانت ماكينة الضغط الجديدة أكثر قبولا لديّ في التخفيف من هذا الأمر مما سواها . والعدوانية والأفكار السلبية عن هذه الماكينة هي مسائل صعبة ولكن الشعور بالاسترخاء يجعل العدوانية تذوب وتتلاشى . وأنا أشعر فقط بالراحة في ماكينة الضغط ، عندما أشعر بأنني حرة في استخدامها ودون أي تحفظات عليها .

وقد أشعر بالتناقض في مشاعري تجاه ماكينة الضغط . فقد شعرت أنني أخاف منها ، لأنني أحس أنني أوجه بواسطة مشاعري . وهذا شيء طيب ، لأنني إذا لم أشعر بالسعادة والعواطف الايجابية ، فإن الغلبة ستكون لمشاعري السلبية وسلوكي العدواني . فكلما ازداد قبولي لمشاعري ، كلما ازداد شعوري بالاهتمام بالآخرين . حتى القطة ، أشعر أنها تحبني أكثر الان . وقد يكون السبب أنني أوفر لها جوا مناسباً . وذلك لأنني وفرت لنفسى الراحة والاسترخاء ، من خلال ماكينة الضغط ، قبيل أن أوفر الراحة للقطة .

ومع كل هذا التعلق والترويج لآلة الضغط ، فقد أقلق من استخدامها إذا كانت والدتي في الغرفة المجاورة . قرأت مع والدتي بحثي عن آلة الضغط والنتائج الايجابية لها وتقبلت توصياتها ، إلا أنني أحس أن لديها بعض التحفظ عليها . وكانت رغبتى أن تقوم بتجربة النموذج الجديد للآلة ، ولكنها دائما تتهرب من ذلك بعذر أو بآخر .

في شهر سبتمبر ، انتقلت إلى ولاية اريزونا وبدأت الدراسات العليا في برنامج علم النفس . ولعل هذا كان هو أفضل وقت للاعتزاز بالنفس والثقة فيها . فبعد ذلك كله ، وبعد رحلة طويلة من المعاناة والاجتهاد ، استطعت أن أتخلص من عدم الكلام ، وضرب الزملاء والزميلات وثورات إلقاء الأشياء ، كما استطعت التخلص من الشعور بعدم القيمة وعدم الثقة بالنفس . إن تعلقى بأمور لايجاد قيمة كحياتي ، جعلني قاسية . وهذا التعلق غذى النوبات العصبية التي استهلكنتي تماما . ولقد كان خوفي الأكبر ، أن تصيبنى نوبة عصبية في العلن وأمام الملأ . وعندما أتعلق بشيء معين ، فإن هذا يخفض من مستوى الإثارة في جهازى العصبى . واثناء الدراسة العليا ، لم يكن تعلقى بباب عادى مثل الموجود في عض الغراب أو الباب الأفقى كما هو في الكلية ، بل كان تعلقى بباب ممر زجاجي يتحرك اوتوماتيكيا . وكثيرا أتساءل في نفسى ، لماذا يتسلط عليّ هذا الباب الزجاجي ويصبح كالهاجس لدي . كنت أجبر في الدخول من الباب ، رمزا إلى خطوة إلى الامام أخطوها ، فلماذا أتعلق بهذا الباب ؟

ولعل أحد الفوارق ، هو في شرعية الباب الزجاجي المتحرك . فاستخدام الأبواب الأخرى يرمز إلى الإثارة في تحقيق فعل غير مشروع ، وبدون أن يضبط الانسان . فباب السوق المركزي يستخدم بواسطة الآلاف من رواده ، ولكنى عندما واجهت ذلك الباب ، أصبحت مريضة جسديا . فأخذت ساقى ترتعش وتصبب جبينى عرقاً وأصاب معدتي الغثيان . ولقد مررت سريعا بالباب ، معتقدا أنني سأترك هذه المشاعر المريضة خلفي ، لكنها استمرت . وعندما اجتزت إلى الجانب الاخر من الباب ، استندت على جدار ، وبدأت دقات قلبي بالزيادة وأعصابي بالارتعاش وغمر جسدى كله الغثيان . بدأت أفكر في تحطيم الباب الزجاجي المتحرك ، كي أتخلص من الحالة المزرية التي أنا فيها . وحاولت أن أفكر عقلانيا حول تعلقى هذا وهو اجسى نحوه . ترى ما هو السبب في انجابى له ولماذا أنا خائفة منه ؟ أليس هذا الباب ، باب عاديا مثل سائر الابواب الاخرى ؟

تأملت في الأمر ، فوجدت سببا آخر لاختلاف هذا الباب عن غيره من الأبواب وهو أنه رمز إلى الانفتاح وفقدان السرية . ولقد كتبت في مذكراتي اليومية إنه ليس سوى باب زجاجى ، ولكنه مع ذلك يظل حاجزا وعائقا . إنني أرى أن اللغز يمكن في الثابنتين اللتين يستغرقهما اجتياز عتبة الباب . وهذا يشابه النقلة من حالة ذهنية

نفس البيئة والظروف لكن نظرتي لهذه البيئة أو الظروف ، هي التي تغيرت . والشخص هو القادر على تغيير حالته الذهنية ، أما البيئة فلا تغيره ، ليس في ذلك غموض أو سحر » .

وبعد ثلاثة أسابيع من المعاناة من الهواجس حول الباب الزجاجي المتحرك ، استطعت أخيرا الدخول من الباب ، مثل أى مرتاد عادى . لم أكن مسرعة ، بل مشيت واجتزته في تجربة نمطية رائعة . وفي الاسبوع اللاحقة لهذه الحادثة ، قمت بزيارات عديدة للسوق المركزى ، حتى أنني في أحد الايام اجتزت هذا الباب عشر مرات ذهابا وايابا . والشىء الوحيد الذى كنت أخافه ، هو السخرية . وقد لاحظ مدير السوق الأمر ، إلا أنه لحسن الحظ لم يتحدث معي بشأنه .

لم يكن التعلق بالباب الزجاجي هو الشىء الوحيد الذى يضايقني ، فاستخدام آلة الضغط كان ينتابني ويلازمني . فظاهريا ، كنت دائما أقرر فوائدها ولكن داخليا كنت أرفض خشونتها وأصلها الجاف . فقد كان من الصعب ، دمج ماكينة الضغط للماشية بالنموذج الذى بنيته . وأحد الأسباب لذلك ، أن الماشية يحصل لها العديد من الاشياء المؤلمة مما يترامى معه للشخص إن في ماكينة الضغط بعض الوحشية . وقد يعتمد البعض القسوة مع الحيوانات عند استخدامهم لآلة الضغط ولكن كقاعدة عامة ، فإن الحيوانات لم تكن تعامل بصورة وحشية . ففي الواقع ، إن ماكينة الضغط هي عبارة عن وسيلة لتثبيت الحيوان حتى يتم تلقيحه أو لوضع السم علىه ، والهدف من هذه الآلة هو الإمساك أو السيطرة على الحيوان .

وعندما استخدمت لأول مرة آلة ضغط الماشية ، احتبست في مقصلة الرأس . ثم قمت ببناء أخرى من الخشب الصلب لاستخدامي الخاص ، وشعرت إذ ذاك بنفس شعور الحيوانات . وعندما بدأت أتقبل الحبس في هذه الآلة ، قمت بتحسين آلة الضغط لتكون أكثر لطفا وراحة ، وذلك حتى أصل إلى العضلة التى تواجهني وهي كيفية الموازنة بين فوائد هذه ورفضها من الآخرين . وأنا حاليا لا أستطيع النظر إلى اعلان عن آلة ضغط الماشية ، بدون أن تبرز إلى السطح ، الافكار والعواطف الماضية . ولقد بدأت بمواجهة مخاوفي هذه بعد أن صورت نفسي في آلة الضغط ووضعتها في اطار كبير ، إذ ذاك أحسست بأنني وصلت إلى الحد الذى أشعر عنده بالسعادة والعاطفة عندما تراودني فكرة آلة ضغط الماشية . ومكنتني ذلك من اكتساب مشاعر ومودة تجاه الآخرين . ولئن عزوت هذه المشاعر إلى تأثير آلة الضغط علي ، فإنني أحس أحيانا في أعماق نفسي بالخوف ، الخوف من أفكارى ومشاعري بينما أكون

محبوسة في آلة الضغط .

وعندما تم افتتاح معرض ولاية اريزونا ، كان علي أن أواجه مجموعة من الأمور الواقعية . فقبل سبع سنوات ، قمت بركوب لعبة البرميل وأصبحت متعلقة بها . وتوضح الدراسات أن الأطفال التوحديين يخافون من الحركة السريعة في البداية ثم يتعلقون بها بعد ذلك . وها أنا الآن أركب هذه اللعبة مرة أخرى . وبدأت الأمور تتضح لي بصورة أكثر جلاء . فالأبحاث توضح أن الأطفال التوحديين ، يحبون في العادة الإثارة الحادة بما فيها الإثارة التي تعتبر مؤلمة بالنسبة للأطفال العاديين . ولعل الرغبة في الإثارة الحادة ، هو الذي يجعل بعض الاطفال التوحديين ، يمثل في نفسه أو يجلب الضرر لنفسه . وفجأة ، بدأت أعني أن لعبة البرميل هي السلف أو البديل لجهاز الضغط ، ولكنها كانت أشد بضعفين من آلة الضغط الأصلية . فلعبة البرميل تجعلني ملتصقة بالحائط بالقوة . وليس لدى خيار سوى التسليم لضجتها وتأثيرها . لئن كنت أحس بحائط لعبة البرميل يضغط على ظهري ويؤلمني فقد أحسست للمرة الاولى ، أن هذه الفعل يمتص مني بعض السلوكيات العنيفة .

وبعد الانتهاء من الكرنفال ، مررت بالمعرض ، وعندما وجدت آلة ضغط المشية معروضة فيه ، جعل ذلك العديد من المشاعر والأفكار تغمر جهازي العصبي . تراجعت من المعرض خائفة . ولكن كلما قل اللمس الدفاعي وارتقيت في السن ، أصبحت الاثارة الحادة الناتجة عن آلة البرميل ، مصداً للالم ومجلية للغثيان . أذكر أنه عندما استخدمت آلة ضغط المشية في البداية ، كانت وطأة الضغط ضعفي ما كنت أضعه في فترة لاحقة . وحالما تعلمت أن أقبل اللطف ، أصبح الضغط الزائد مصدراً لعدم الراحة .

في تلك الليلة ، كتبت رسالة إلى والدتي ، أخبرها فيها عن شعوري بأنني زائدة على الحياة والتصاقي بالباب الزجاجي المتحرك ، والتعارض في نفسي حول آلة الضغط . هل أنا في الواقع فتاة شاذة ذات أفكار جنونية ؟

وصلت رسالة أُمي بالبريد المسجل فيها المعاني التالية ،

لا بد أن تكوني فخورة بأنك مختلفة عن الآخرين . إن جميعاً الأشخاص النابغين الذين ساهموا في الحياة ، كانوا مختلفين عن الآخرين وساروا في مسار الحياة وحدهم . إذا اكتفى الآخرون بالتحمس ، تقومين أنت يا تمبل بانجاز الأشياء الحقيقية .

ولا تقلقي يا عزيزتي عن آلة ضغط المشية ، خاصة أنك تترتاحين منها . هل

تذكرين عندما كنت صغيرة كنت ترفضين أي شيء يمكن أن يجلب اليك الراحة ؟
وذلك لأنك لم تستطيعي أن تتحمليهم . وبالتالي فإن حاجتك إلى آلة الضغط ، هو
شيء طبيعي . إن الشيء الصعب في الحياة ، هو كيفية حل أو تعديل التفاوت في دماغ
الإنسان . فالجزء الناضج من دماغك ، تصيبه الربكة والحيرة من الجزء غير الناضج
منه . ولا تخجلي من الدوافع الأولى أو المبكرة ، وذلك لأنها عميقة في خيالنا وجزء من
حياتنا .

إنك بحاجة إلى رموز وخاصة أنك تحبينهم وهو تعبير عن مشاعرك . كما هو
الحال في القطعة الفنية والتي هي تعبير جسدي عن ما نشعر فيه ، وفي النهاية كل
الفن هو عبارة عن رمز . وبعدها بأيام ، شعرت بأنني أعاني من نفس الأعراض
القديمة مثل فقدان المناطق المألوفة والتلاميذ والطلبة المعروفين وانفصoul المألوفة .
وببساطة أحسست بأنني لست بدون قيمة ولكنها رد فعل لطفل توحدي ، اتجاه
بيئة جديدة وأناس غير مألوفين ومواد دراسية جديدة . ولقد عانيت ، نتيجة لذلك ،
من نوبات مغص شديدة . وفي النهاية ، واجهت الحقيقة بأن الدراسات العليا ليست
الوسيلة الوحيدة لي . وسأحاول جاهدة أن أحصل على الدكتوراه ، ولكن لا يعنى ذلك
المخاطرة بصحتي . فدرس الاحصاء مثلا ، ليست له علاقة كبيرة بالحياة اليومية
ومتطلباتها . ولا زلت في بعض الأحيان ، يصيبني الشعور بالقلق عندما أصل إلى
الباب الزجاجي المتحرك للسوق المركزي . وفي النهاية قررت أن مروري ، من خلال
الباب الزجاجي المتحرك ، سيكون من خلال فهم نفسي وبالتدرج .

ولقد كنت طوال فصل الخريف ، أجاول أن أتغلب على التحديات الجديدة مع
استمرار تعلقي بآلة الضغط . وكنت دائما أتساءل كيف يمكن لجهاز (آلة الضغط)
أن يكون قاسيا وحادا عندما يستخدم مع الماشية ولكن عند استخدامه مع الناس
يوفر لهم الراحة والدعة . لقد كنت أفكر في الاديان وكيف أن الرموز الدينية نابغة من
رموز للعنف وطقوس لها . وحتى يومنا هذا ، ومع أن الرمز الأصلي قد تم تعديله ، إلا
أن أثره العاطفي لا يزال قويا . وهكذا كان الأمر مع آلة الضغط ، فالآلة الأصلية
والأولى ، كانت تمارس ضغطا قويا مما يشعرك بالخضوع لها . وأما النموذج الجديد
والمعدل ، فهو لطيف الضغط ومن خلال الراحة التي يشعر بها الإنسان لهذا اللطف ،
فإنها تثير مشاعر الرعاية والاهتمام .

ولقد سألتني أحدهم مرة ، كيف أنا أحب القلط ومع ذلك أجري عليهم التجارب
العلمية . ولقد كنت أسأل روجي ، نفسي طبيعية السؤال حول أصل آلة الضغط .
كيف يمكن لآلة أن تؤدي إلى خضوع الحيوان بينما لو استخدمها الإنسان ، تثير فيه
مشاعر الحب والرعاية .

الفصل العاشر

من خلال الباب الزجاجي المتحرك

في فبراير عام ١٩٧١ ، قمت بزيارة موقع آلة الضغط وقمت عمليا بتجربتها على ١٣٠ رأسا من الماشية ، علما بأنني في السابق كنت فقط أراقب عملية استخدامها . ونظرا لغياب أحد العمال ، ولحاجتهم إلى معونة زائدة ، فقد تقبل الرجال الثلاثة وجودي ووافقوا على أن أقوم بمساعدتهم . وفي المرة الأولى لم أستطع وضع البقرة في المقصلة وبالتالي انزلت منها . ولقد كانت كافة الأمور تتم على الماشية عند حجزها في آلة الضغط كالوسم والتطعيم من الامراض وغيرها من الأمور . وعندما بدأت العمل لم يفلت مني شيء وكأني خبيرة بذلك ومضىء علي مدة طويلة فيه .

ولقد كان رعاة البقر مسترخين في عملهم ولذلك فقد ينسوا العديد من المهام المطلوبة منهم . فهم يعملون بينما الراديو مفتوح ويقومون بالرقص والعمل على أنغام الموسيقى الاسبانية .

ولقد شعرت بالأسى للعجل الذي انزلق من المقصلة ، لأنه بعد ذلك ، كان لا بد أن يربط ويسحب من قبل رعاة البقر . ولقد تقبل الثلاثة العمال خطئي بصدر رحب وحتى أن أحدهم قال لي « انسي الموضوع ، إننا جميعا يفلت منا عجل من وقت لآخر . أعتقد أن أداك جيد » .

كما أن رفقاءه في العمل قد أثنوا على سرعة تعلمي للأمور ، حتى أن أحدهم قال لي « يبدو أنك تؤدين عملا جيدا يا أختي ، إنك عاملة ماهرة ويعتمد عليك » . ولقد أثر ذلك علي حتى أنني تركت المكان وأنا أشعر بالثقة في قدراتي كعاملة على آلة ضغط الماشية ، كما صرت مسرورة بأنني استطعت أن أتكيف مع زملائي العاملين .

وفي طريق عودتي إلى السكن ، توقفت عند السوق المركزي ولقد مررت من خلال الباب الزجاجي المتحرك ولم أشعر به ، في العادة ، من الانكماش عندما يفتح الباب أو الاسراع في الدخول وكان قطعيا من الماشية خلفي . لقد عبرت الباب وكأني شخص عادي . ولقد قررت أن العيش بصورة طبيعية مع الناس هو مثل الباب الزجاجي المتحرك . لأن الباب الزجاجي لا بد من الاقتراب منه بصورة بطيئة ولا يمكن إجباره على أن يفتح وإلا أدى ذلك إلى كسره . . والعلاقات مع الناس والعيش معهم ، شبيهة بذلك . إذا أجبر الناس على تكوين العلاقات ، فإنها لا تستمر . فقد تكون حركة معينة

أو كلمة فيها زلل ، تهدم علاقات انسانية مع شخص آخر بنيت على مدى شهور على الثقة والاحترام .

وفي تلك الليلة ذهبت إلى حفلة أقامها قسم علم النفس . وبعد أن مضى كل المدعوين قمت بالتحدث طويلاً مع صاحب الدعوة والذي قال لي « تبدين مختلفة اليوم يا تمبل ، حتى أن الطلبة الآخرين لاحظوا ذلك » .

فردت قائلة « ولكنني لم أتغير » .

فقال لي « في الواقع ، إنك قمت بزيارة زملائك اليوم ، ويبدو أنك عندك رغبة في تكوين علاقة معهم .

فقلت « وماذا في ذلك » ؟

فقال لي وهو يصفى حنجرته « معنى ذلك أن هذا ليس أسلوبك المعتاد »

فقلت له « ماذا تقصد بكلامك » ؟

فنظر إلى الأرض لفترة ، ثم قال لي : « حسن ، دعيني أخبرك بالحقيقة ، إنك مصنفة من قبل زملائك في الصف على أساس أنك شخص بارد المشاعر ولا يهتم بالآخرين . وبعض ملاحظتك أحياناً تجعل الأفعى الخبيثة أو السامة تنفر منك » .

ولقد كنت أريد أن أقول ، ولكن كان ذلك ، قبيل أن أستخدم آلة ضغط المشية وأن أمر بالباب الزجاجي المتحرك بدون أي وجل ، ولكنني لم أقل وذلك لأنه لن يستطيع أن يفهم مشاعري أو ما أقول . ولقد شكرته على إقامة الحفلة ووعدته أن أكون أكثر ودا وصداقة مع الآخرين . وبينما كنت راجعة إلى غرفتي ، أخذت أفكر فيما قاله صاحب الدعوة وأبرزت لدى بعداً جديداً ، وكأنه فجر جديد ، إنني مختلفة عن الآخرين . ففي مرحلة ما قبل الابتدائي ، كنت أعتقد أن زملائتي هم المختلفين بينما في المدرسة الثانوية ، شعرت بالغيرة وكانني لا أتلاءم معهم . وأما الليلة ، فللمرة الأولى ، التي أشعر أنني في الحقيقة أختلفت عن الآخرين ، فأنا شخص توحدي وبالتالي فأنا شخص فريد .

ولقد استمررت بالعمل - كمشغلة لآلة ضغط المشية - ولكن بصورة غير متفرغة في البادية لم أكن أهتم بالمشية كما هو الحال في معظم من يعمل في هذا الوظائف والذين ينظرون إلى هذه الحيوانات كبضائع . وكلما استغرقت أكثر في العمل ، بدأت اتجاهاتي واهتماماتي بالتغير . فالناس وخاصة اللطفاء منهم . يصبحوا في بعض الأوقات ، قساة على الحيوانات ، فهم يضربونهم ويصعقونهم أحياناً ، وهذا جعلني أشعر بالاضطراب . وأخيراً ، توفرت لي فرصة للعمل مع شركة تهتم بمعدات المشية

، وذلك في مجال بيع ممرات الماشية وعربات التغذية .
وفي أحد الطرق التي أسير فيها نحو العمل ، كنت أمر من خلال أرض البقر ، وهو
أسم الأكبر مسلخ في الغرب الجنوبي . ولقد تنحيت جانب الطريق وبدأت أتأمل
مباني المسلخ والتي كانت مباني بيضاء وكبيرة وأسرة للناظرين . ونظرا لأنني
نشأت في الشرق ، فلم أزر أي مسلخ من قبل . ولقد أخذت فكرة في الماشية التي
تعاملت معها عندما استخدمت آلة الضغط . لقد كانت الماشية ، تعد للذبح في النهاية
في هذا المصنع الأبيض . ولقد كانت المباني نظيفة وكأنها مستشفى مع ممرات
للتنزيل من الخشب في جانب وشاحنات بيضاء تنتظر التحميل من أماكن التنزيل في
جانب آخر . ولقد شعرت كأنني أدور وألف في مدينة الفاتيكان بحثا عن طريق
للخروج . وكلما نظرت إلى أرض البقر (المسلخ) ، تمنيت أن لا يحدث أي تشويه أو
ضرر للماشية هناك . كما كنت أود أن يسمح للماشية بالموت بكرامة أو بالسير في
ممرات التنزيل بدلا من أن يضربوا أو يسحبوا إليها . ولقد كنت دائما أتساءل ماذا
يحدث خلف هذه الحوائط البيضاء مع كل هذه الأصوات الناتجة عن مكائن المسلخ .
ولقد أصبح هذا القرار ، هو الهاجس الذي يملكني ، ولكنه يختلف عن هاجس الباب
المتحرك الزجاجي . فأرض البقر هي شيء حقيقي ولا بد أن أواجه جميع الأشياء التي
تواجه البشر مثل الخوف والحياة وأن أجد من خلالها معني للحياة .
وأخيرا استطعت أن أرى ما بداخل أرض البقر ولقد تعجبت من انعدام انفعالي
نحوها . لقد كانت الماشية تسير من خلال الممر ثم يتم قتلها وهذا كل ما في الأمر .
وكل حيوان كان يقتل في الحال بواسطة جهاز يطلق عليه جهاز البراغي المدوخ . وهذا
الجهاز يعمل بصورة تجعل البرغي يدخل بعمق في دماغ الماشية ويسبب ألما أقل ،
بصورة ملحوظة ، مما تعانیه عادة مع رعاة البقر القساة في مزارع الماشية العادية .
وفي نهاية السنة الثانية من دراساتي العليا ، قمت بتغيير تخصصي من علم
النفس إلى علم الحيوان . فمن سعادتي في ركوب الخيل إلى حبي لمزرعة العمدة أن
واهتمامي بالماشية ، كلها اشارات إلى حبي ورغبتني في هذا التخصص . ولقد عملت
عملا إضافيا في بيع ممرات الماشية وقمت بزيارة للعديد من مزارع تربيتها . وبالتالي
فإن تغير تخصصي بدا لي أنه شيء طبيعي .
كما أنه كان من الطبيعي عندي ، أن أدخل تحسينات إضافية على آلة الضغط .
وبعد أن شاهدت استخدام النظام الهيدروليكي في الآت ضغط الماشية وفي البوابات
وفي مزارع الحليب ، واستخدامها ضاغطات الهواء في عملياتها ، قررت أن أستخدمها

في آلة الضغط . وبالتالي فإن حجم الضغط يمكن التحكم فيه من خلال الضغط على عتلة أو رافعة ، بينما أنا داخل الآلة . وبعد دراستي لبعض المعدات التي تعمل بواسطة الضغط الهوائي ومعرفة بعض المبادئ الهندسية ، فقد وضعت ضاغط هواء في آلة الضغط مع صمام للتحكم . ولقد أدى هذا التطوير أن تكون الآلة أكثر راحة لمن يستخدمها . فمثلا إذا تم إخراج الضغط بصورة تدريجية أو زيادته بصورة تدريجية ، فإن الشعور المنبعث يحطم أي حواجز . ففي البداية ، وبعد التعديل ، كان هذا الأمر يسبب الخوف لي وكذلك لأنني شعرت بأنني غير محمية . ولقد عبرت عن ذلك في مذكراتي اليومية ، حيث قلت « قد يكون ذلك هو الخوف من فتح الباب والخشية من رؤية ما في الجانب الآخر . فعندما يفتح الباب وننظر إلى الجانب الآخر ، فإننا لا نستطيع إنكاره بعد ذلك أو تجاهله . فبعض الأحيان ، عندما أكون في آلة الضغط ، أشعر بأنني كأني حيوان متوحش ، يخاف من أن يلمسه أحد . وفي البداية كنت أرتج ولكن بعد ذلك أصبحت لا أبالي . ولقد كان ذلك التحسين الرابع الأساسي في آلة الضغط . وكل تحسين أساسي أضيفه إلى الآلة ، يذيب جزءا من اللمس الدفاعي عندي » .

وفي كريسماس ١٩٧٣ والذي قضيته في بيت والدتي ، تعرضت لواحدة من أسوأ النوبات العصبية في حياتي . ولقد كان أحد الأسباب لذلك هو ، أحد أعراض الأطفال التوحيديين وهو التغير في البيئة المحيطة بي . وسببا آخر لذلك قد يكون توقيت السنة ، إذا كان وقت النهار قصيرا في تلك الفترة . فقد كنت أعيش في أريزونا ، أعمل في الساحات وأتبع روتيننا معنا . وفجأة ، يحدث تغيير في الأشياء المحيطة بي وكذلك في الروتين الذي أتبعه . ولقد وجدت أن عطلة الكريسماس تمثل ضغطا نفسيا علي لعدة أسباب : أولا ، أنني بعيد عن بيئتي وبالتالي ليس لي تحكم في البيئة المحيطة بي حاليا . ثانيا : لابد في البيئة الحالية ، أن أفكر في حاجات الناس الذين من حولي بصورة كاملة . وثالثا : أنني بعيدة عن الأشياء التي تجذب انتباهي مثل المشية ، مجاري التغذية ، وأخيرا فأنا بعيدة عن التي للضغط . ولعل سببا آخر لذلك هو الكبرياء . فقد تم نشر عدة مقالات لي في مجلة المزرعة والتي تصدرها الولاية ، أما في نيويورك ، فلا أحد سمع بهذه المجلة المحترمة وكان جهودي في هذا المجال ، بدأت قليلة في أعين الناس هنا في نيويورك .

ولقد تحدثت مع والدتي في هذا الموضوع ، واقترحت علي أن أقوم بتسجيل أفكارتي مثل واجب الجرائد (العمل اليومي الذي يقوم فيه محررو الصحف) . وسيكون

الموضوع هو نفسي . وقد قالت « يا تمبل ، إن هناك خيارين ، أولهما هو أن تعودني إلى اريزونا وأفضلهما أن تجلسي هنا حتى ٢٧ يناير وتنتهي هذا الواجب » .
وقد استمعت لنصيحة والدتي وبقيت في نيويورك . ولعل السبب في حدة أعصابي هو تذكر بعض الذكريات القديمة . فقد أعطتني أمي بعض الرسائل التي كتبتها إلى طبيبي النفسي عندما كانت لدي بعض المصاعب في المدرسة . ولقد صعقت عندما عرفت حقيقة بعض سلوكياتي الغريبة ومدى قلق والدي نتيجة لذلك . ومن خلال الرسائل ، عرفت أن والدي كانا قلقين علي أنني لن أستطيع أن أعيش حياة سوية .

وعادة عندما أزور والدتي في نيويورك ، فإنني لا أزعج نفسي باستخدام الآتي القديمة للضغط ولكني مع مرور أيام العطلة ، شعرت بأنني أزداد عصبية يوما بعد يوم . ويبدو أن كل طاقتي صارت موجهة نحو محاولة منع أن تتولد لدي هجمة عصبية قوية . ولقد شعرت بالخوف لأنني خشيت أن يكون مستواي قد بدأ بالتراجع . وفي النهاية قررت أن أستخدم آلة ضغطي القديمة والتي عندما استخدمتها ، وجدتني غير مريحة (لأنها كانت نموذجاً قديماً) ومع ذلك ساعدتني على تخفيف بعض المشاعر العصبية لدي . وبالنسبة لبعض الناس ، فإن لديهم شكوكا حول آلة الضغط ولكن بالنسبة لي فإن لها وظيفتين : الأولى أنها توفر لي الإثارة (وهي مهمة بالنسبة للطفل التوحدي) وكذلك توفر الراحة . وثانيهما أن الآلة توفر الدفع وجوا مسترخيا وناعما وتساعدني على أن أتمكن من أن أقبل وأعطي العاطفة .

وبعد قراءتي للخطابات المتبادلة بين أمي والمختصين واطلاعي على تقارير التقويم لحالتي في الماضي ، بدأت أتحدث إلى والدتي وأعلمها أنني أود أن المسها وأخبرها أنها شخص قريب مني جدا .

وشيء آخر عرفته بعد أن أقمت في مسقط رأسي لمدة سبعة أيام ، أنه كم هو مهم بالنسبة لي ، الماشية ومجاري التغذية والتي جعلتني أشعر وكأن شخصا ما أو شيئا ما أفقده كثيرا هناك . لقد كنت أعرف أنني مرتبطة بالماشية ، ولكن حتى هذه المرحلة ، لم أكن أعرف كم أنا مولعة بها .

وبعد العطلة ، عدت إلى اريزونا وقررت بزيارة مزارع الماشية وأرض البقر (المسلخ) . ولقد وجدت أن شعوري بدأ يميل أكثر نحو الحيوانات ومشاعرها سواء القلق أو الخوف . ولقد عرف بعض مصنعي لحوم الماشية في الوقت الحاضر ،

أن المعاملة الحسنة والعطف على الماشية ، لا ترفع فقط من الروح المعنوية للعاملين وكيف ينظرون إلى انفسهم ، بل تؤدى أيضا إلى تحقيق الأرباح . فالماشية المصابة بمرضات أو ضربات لا يمكن استخدامها للاستهلاك الأدمي ، واللحم الناتج عن ماشية قدرة أو متضررة ، جودته تكون في المستوى الادنى .

ولقد كتبت في مذكراتي « لقد وجدت أنني عندما أضع يدي على حيوان ينتظر في الطابور في أرض البقر (ينتظر دوره في السلخ) ، فإنني أشعر بأنه في حالة عصبية . وأحيانا لمس الحيوان يساعد على تهدئته . وبعض الناس يقول بما أن هذه الحيوانات سنقوم بذبحها فلا حاجة لأن يكون الإنسان رحيما معها . وجوابي لمثل هذا ، هو ماذا لو كانت جدتك على شفا الموت في أحد المستشفيات ، كيف سيكون رد فعلك نحو الطبيب الذي يقول لك « إنها في النزاع الأخير ، يمكن أن نلقبها في الركن البعيد » . وعندما رجعت إلى أماكن تغذية الماشية ، وجدت أنني أستطيع أن أشغل آلة الضغط على الماشية بصورة أكثر رحمة . فبعض رعاة البقر نجدهم ينزل المقصلة بقوة على رأس البقرة ثم يقوم بالضغط بصورة شديدة من خلال الضغط الهيدروليكي . ولقد بين لي الن وهو أحد رعاة البقر الرحماء ، كيف أشغل الآلة بسرعة وبطريقة رحيمة وبدون أن ألحق الأذى بالماشية . فالمشغل الجيد للآلة يستطيع أن يجعلها وكأنها امتداد لذراعيه الرحيمة . ولقد وجدت أنني إذ كنت مسترخية ومرتاحة في تشغيل الآلة ، فإن الماشية تستجيب لذلك وتهدأ ولا تقفز هنا أو هناك . فالحيوانات تتأثر ويزداد اضطرابها إذا كان الناس الذين يرعونها مشدودي الأعصاب .

وفي أحد الأيام قمت بتشغيل آلة قتل الحيوانات في أرض البقر وذبحت عشرين رأسا . ولقد تولدت عندي مشاعر مختلطة بسبب ذلك ولكني لم أكن متوترة بسبب ذلك . وفي تلك الليلة ، عندما رجعت إلى منزلي ، لم أستطع أن أقول إنني قتلت تلك الماشية . لدقائق عدة شعرت وكأنني ملك أمام الجنة التي يدخلها الحيوانات . ولكني تدريجيا ، شعرت بأنه لتكون خبيرا في قتل الماشية لابد أن تكون عندك حب لرعايتها والاهتمام بها . وقد يبدو الأمر متناقضا ولكنني بدأت أتعلم أن أحاول رعاية الماشية في المسلخ .

وفي السنة القادمة ، التحقت بوظيفة لدى شركة كبيرة لمعدات الماشية ، تقوم بتصميم ونتاج معدات أكثر انسانية لذبح الماشية . ولقد استطعت الحصول على عقد لشركتنا لبناء ممرات وتركيب معدات جديدة لأرض البقر (المسالخ) . إن بناء

سلم إلى الجنة ، كان أكثر من مجرد إنشاء ممرات حديدية تؤدي إلى غرفة مبنية من الاسمنت المسلح . وكل العاملين بما فيهم نفسي ، استثمروا وقتهم في هذا المشروع . وأحيانا تكون الأعصاب مشدودة ولكن عندما ينتهي العمل ، نصبح أصدقاء مرة أخرى .

وعندما بدأ « السلم إلى الجنة » يأخذ شكله النهائي ، بدأت تتزاحم في ذهني العديد من الأفكار . فقد بدأت أشعر بقيمة وأهمية الحياة . لقد بدأت أفكر في الموت وأصبحت قريبة أكثر من الرب . إن الرب جعل لنا السيطرة على الحيوانات لنستخدمها ، ولكن تبين لي الآن ، أنها أي الحيوانات هي أيضا مخلوقات الرب وبالتالي لابد أن نعاملها باحترام أيضا .

وفي أحد الأيام زارت المصنع رفيقتي في السكن والمصابة بالعمى . وعندما وصلت إلى ممرات الماشية ، قامت بلمس الماشية . وقد كتبت رفيقتي الدعاء التالي بعد زيارتها . « إن السلم نحو الجنة ، لابد أن يهدي إلى الأشخاص الذين يعرفون معنى الحياة والذين لا يخافون الموت . إن احترامنا الشامل لهؤلاء الحيوانات ، يعنى احترامنا لزملائنا أيضا . المسي وأنصتي وتذكري » .

ولقد وصفت مشاعري حول ممرات الماشية في مذكراتي اليومية وكانت كالتالي : « لقد وصلت إلى أحد جوانب ممر الماشية ولمست ثورا صغيرا . ولأنني لذي عاطفة نحو الحيوانات ، فقد يكون الثور الصغير شعر بذلك وذلك لأنني أحسست أن مخاوفه قد قلت . ففي ثواني معدودة سيكون الحيوان لحما بقريا وكيانه الفردي سيعود إلى الرب . وحتى يستطيع شيء حسي أن يستمر في الحياة ، فلا بد لشيء آخر حي أن يموت . لقد شعرت بالقرب من هذا الثور الصغير وبشعور لم أشعر به من قبل » .

وحتى أستطيع أن أعرف وأفهم ، ليس في عقلي وإنما في قلبي أيضا ، فقد عرفت أنه لابد لي أن أقتل الحيوان . وإن رفضي المشاركة في الجزء الخاص بقتل الحيوان في عملية اعداد الماشية للأكل ، يعتبر رفضا للواقع الذي نعيشه . لقد كنت خائفة أن أذهب إلى مكان الذبح وأذبح الحيوان . ولقد حدث العديد من التطورات والتحسينات على الآلات المستخدمة في قتل الحيوانات المستخدمة في الغذاء . إنها في الوقت الحاضر ، سهلة الاستعمال ولا تسبب أي ألم للحيوانات .

إن الناس عادة لهم ضمير يجعلهم واعين لنتائج ومعاني تصرفاتهم . إن انهاء حياة شيء حي لابد أن يتم التعامل معها باحترام . وهذا سيساعدني على أن أكون

أكثر معرفة من الغاية من خلقي ووجودي في الحياة . وحتى أستطيع أن أعرف هذا الأمر ، فلا بد أن أقتل الحيوان ، ولكن في نفس الوقت أكن لهم مشاعر الرحمة والاحترام . إن القتل هو شيء قاس ، ولكن الرحمة هي جزء من الطبيعة . وإذا فقدت الاحترام لهذه الحيوانات ، فإن عملية القتل تتحول إلى مجرد خط لانتاج مادة خام أو نكون تحولنا إلى بهيمة من البهائم . وفي الجانب الآخر ، هناك العديد من الناس الذين يحاولون الهرب من حقيقة أن الحيوانات لا بد أن تموت .

إن الشخص القادر على احترام الحيوانات والأرض التي سنحصل منها على غذائنا ، سيكون قادرا على أخذ الخطوة الأولى لمعرفة معنى الحياة . والمزارع عادة يكون ملتصقا أكثر بالأرض نتيجة لذلك . وأما في المجتمع العصري المعتمد على التكنولوجيا الحديثة ، فإن العديد من الناس ، قد فقد التصاقه بالأرض ، وبالتالي أصبحت قيمهم تافهة وعادية .

وأنا أحترم الماشية من خلال لمسها وبالتالي أعيد لها الطمأنينة التي تحتاجها . والمدرّبون لعروض الماشية نجدهم دائما يلمسون ماشيتهم بصورة واضحة . وتوضح الدراسات أن اللمسة الخفيفة لها أثر التنبيه ، أما اللمسة مع الضغط ، فإن لها أثر الطمأنينة والسكون . والمرضى الذين عادة في غيبوبة ، يحصل لهم إنخفاض في ضغط الدم ، عندما يلمسون من إنسان آخر . ولقد استطعت ترويض صنفين من أنواع الماشية (والذين عادة لا يتجانسون) من خلال وضعهم في آلة الضغط ثم بعد ذلك تركهم مع بعض . كما أن الأبحاث توضح أن القروود والخنازير ، يصبحون هادئين عندما يقوم أحد بتمسيدهم (أي تمرير اليد على شعرهم وفي اتجاه واحد) . كما أن الاثارة اللمسية تساعد على الخصوبة في الدجاج . إن التغلب على اللمس الدفاعي هو مثل ترويض الحيوان . فعندما تلمس الحيوان في المرة الأولى فإنه يجفل ويبتعد قليلا ، وتدرجيا يبدأ الحيوان يقبل هذا اللمس ثم يبدأ بالاستمتاع به .

وكذلك الحال بالنسبة لي ، فقد بدأت تدرجيا بمحاولة تجربة أن تكون علاقاتي أكثر عاطفية مع الناس . لقد طلبت مني لورنا كنج أن اخذ طفلا توحديا عمره سبع سنوات ، في نزهة إلى إحدى الكرنفالات ، حيث أنها تعرف أننا الاثنين نستمتع بالإثارة اللمسية والخفية ولقد كتبت بعدها في مذكراتي ما يلي :

« عندما كنت أركب مع جيمي في أحد الألعاب ، نسيت تماما أنني في هذه اللعبة ، وكان تركيزي على جيمي وذلك لضمان أنه سوف لن يصيبه الهلع والخوف . لقد وضعت ذراعي حوله وضممته إلى . قد تركت دفاعي على جنب ، ولكن بعد ذلك

شعرت بالصدمة قليلا ، لأنني أحسست بأن خط دفاعي قد تم اقتحامه . إن ركوبي في اللعبة مع الطفل جيمي ، أجبرني على التعامل مع شخص وليس آلة أو ماكينه . وذلك لو أصابه الهلع ، فإني الشخص الوحيد الذي سيرجع اليه .

وما كان في بداية حياتي مجرد تعلق بسيط ، تحول إلى التزام طويل الأمد بتحسين حياة الحيوانات في المزرعة من خلال تصميم الآت وأجهزة ومعدات رحيمة وأكثر إنسانية . وفي صناعة الماشية ، فإن علوم التغذية والجينات قد تقدمت بصورة أكثر من علوم سلوك الحيوانات وكيفية التعامل معه .

وفي دراستي العليا ، كان بحثي في الماجستير ، عن تطوير ممرات للماشية في أماكن التغذية . ولقد كان بذلك أول بحث في الولايات المتحدة الأمريكية حول سلوك حيوانات المزرعة . ولقد كان بحثي في مجال سلوك الماشية وكيفية التعامل معها ، يعتبر بحثا رائدا في هذا المجال . ولقد كان مرشدي العلمي في الكلية ، والذي كان متخصصا في مجال علوم البيطرة والتغذية ، يعتقد أن البحث في مجال سلوك الماشية خلال نقلها ، قد لا يكون بحثا أكاديميا معتبرا . ولقد كان لقابليتي في التعلق بالأمر ، شيء ايجابي في هذا الموقف ، حيث وفرت لي الدافع للاستمرار في استكمال البحث . وهذا يدل على أن هناك نسبة من التعلق بالشئ مهمة للوصول إلى الهدف ، وإلا كان بإمكانني أن أقول « إذا كان هذا رأي المرشد ، إذا الأفضل أن أعمل شيئا هو يراه مناسباً » . وعادة فإن الاتجاه نحو التعلق بشئ هو أمر طبيعي ولكنه من الاطفال التوحديين هو بدرجة كبيرة جدا . ولقد قمت بنشر أكثر من مئة مقال وبحث عن كيفية التعامل مع الماشية ، في مجالات مهنية أو خاصة بصناعة وتجارة الماشية .

وكإنسانة بالغة وراشدة الآن ، فإنني قد تغلبت على بعض النزعات التوحيدية لدي . فأنا الآن ، لا أضرب الناس أو أصدر أصواتا تشبه الطنين ولكن مع ذلك ، فلا تزال لدي نقاط ضعف . فمثلا عندما ذهبت إلى فبينا ، لتقديم ورقة حول كيفية معاملة الماشية أثناء تربيتها ، أصبحت قلقة لعدم مقدرتي على الحديث والاتصال بالآخرين باللغة الألمانية . لقد وجدتهني أعود إلى لغتي في وقت الطفولة والتي كنت أستخدم فيها كلمة واحدة . ولذلك فعندما أقصد وجهتي في مدينة أجنبية ، فإن كل الذين أستطيع أن أعمله أن أمنع نفسي من الصراخ . إن الإحساس بالحرقة أو أحمرار الصدر هو ماينتج عن العصبية والتي تحدث نتيجة للإجهاد . وقد يبدو أن البلوغ والرشد قد تغطي على أعراض التوحد ، ولكنها مع ذلك لا تزال كامنة . ولكن مع هذا كله ، فقد قدمت بحثي إلى العلماء الحاضرين من جميع أنحاء العالم وحصلت على

تقدير خاص واعتبار بحثي كواحد من أفضل أربعة أبحاث قدمت إلى الاجتماع
الخاص بالعاملين في أبحاث اللحوم.

الفصل الحادي عشر

العمل والتأقلم والتعايش

إن منى يعتمد بصورة كاملة على الرؤية ، والعمل المعتمد على النظر كالرسم مثلا ، يعتبر أمر سهلا بالنسبة لي . لقد قمت بتصميم معدات للمشاة مبنية من الاسمنت والحديد ولكن عندما أحاول أن أتذكر رقم هاتف أو أحاول أن جمع أرقام في رأسي ، فإن ذلك يعتبر عملية صعبة . وإذا كان لازما علي تعلم مفهوم معين ، فإنني أرى صفحة الكتاب أو مذكرتي في مخيلتي وكأنه شريط سينمائي أو صورة وأقرأ المعلومات منها . والألحان هي الشيء الوحيد الذي أتذكره عادة بدون أن أراه في ذهني . وفي العادة أتذكر شيئا بسيطا مما اسمعه إلا إذا كان يؤثر في عاطفيا أو أستطيع أن أكون صورة مرئية له . وعندما أفكر في مفاهيم معينة مثل العلاقات الإنسانية ، فإنني أكون له شبيه مرئي . فمثلاً العلاقات بين الناس ، أشبهها عندي مثل الباب الزجاجي المتحرك ، الذي لا بد من فتحه بصورة طبيعية أو أنه سينكسر إلى أجزاء صغيرة . وتوضح دراسات أخرى أن الأطفال التوحيدين يمكنهم أن يفهموا بصورة أكثر اللغة المكتوبة من لغة الكلام . وحتى أنني أخلط عادة بين كلمتين متشابهتين مثل نهاية وبداية أو لا أتهدى كلمات أخرى ، كما أنني أخلط بين اليمين واليسار أو مع أو عكس عقارب الساعة ، إذا لم يواكبها استخدام لحركة اليد .

لقد مر علي أكثر من عشر سنوات منذ أخذت دروس الإحصاء . وعندما حاولت تقديم الاختبارات ، لم أنجح في أول امتحان ، لأنني لم أتمكن أن أجعل أي أرقام أو معلومات تبقى في ذهني بينما أحاول في نفس الوقت أن أعمل بعض العمليات الحسابية لمعلومات أخرى . إن ترجمة وفهم الرموز الرياضية وفي نفس الوقت حل المعادلة الرياضية ، كان عملا شاقا بالنسبة لي .

وفي الآونة الأخيرة ، قمت بعمل العديد من الاختبارات لتحديد إمكانياتي ومدى اعاقتي . وحسب اختبار هيسكي - نبراسكا العقلاني المكاني ، كان أدائي من أحسنهم فيما يتعلق بالإمكانيات . وكانت نتيجة الاختبار فيما يتعلق بي ، أن سقف الاختبار قد يكون منخفضا جدا لتقدير بصورة دقيقة ، قدراتي المرئية المكانية وكان هذا الاختبار في غير محله .

وأما في اختبار ودكوك - جونسون ، فقد كان أدائي في العلاقات المكانية أقل لأنه

كان اختبارا محسوب الزمن واختبارا سريعا جدا . فالمواضيع التي قمت بحلها ، كانت جميعها صحيحة ولكن لم يكن لدي الوقت الكافي لحل المتبقي وذلك لأحصل على درجة عالية . ولقد كانت الخلاصة « أن لديها عقل له قدرات مرئية عالية ، يمكن أن يربط بين معلومات مرئية كثيرة ، يحاول من خلالها أن يدرك ويعيى المعلومات كموضوع مرئي متكامل » .

ولعل أحد الأمور التي تدل على ذلك ، أنني عندما أحاول أن أصمم أحد المعدات ، فإن وضع الصورة المرئية له ، تأخذ وقتا طويلا ، وفي العادة تظهر لي الصورة تدريجيا ، بينما أقوم بالرسم . وعندما تتضح لي الصورة بالكامل ، فإنني أضغ الناس والماشية فيها ثم أتخيل كيف سيتفاعلون تحت الظروف المختلفة . ولعل من مميزات هذه القدرة المرئية ، أنني أستطيع أن أجعل الصورة المرئية تتحرك وتدور في مخي حسبما أريد . ولا أستطيع شخصيا أن أتخيل كيف يمكن لشخص التفكير بدون الأخذ بعين الاعتبار الصورة المرئية .

ولقد كانت تقديراتي عالية في اختبار ودكوك - جونسون في تذكر الجمل بالصورة والمطابقة * Antonyms - Synonyms . ولقد كان أدائي جيدا في تذكر الأرقام ، لأنني استطعت معرفة طريقة للتغلب على الاختبار في هذا المجال . فقد كنت أردد الأرقام بصوت عال ، حينما كنت أحل مسائل الاختبار .

وأما أدائي في اختبارات خلط الكلمات Blending والتي تختار الكلمات من خلال التعرف على الكلمة التي ينطق كل حرف فيها في ثانية واحدة ، فقد كان يعتبر مستواي في الدرجة الثانية . أما الاختبار الفرعي للتعلم السمعي والمرئي من خلال حفظ معاني بعض الاشارات غير المتفق عليها مثل (الدالة على علم) وتعنى حصان ثم ترجمة هذه الإشارة إلى اللغة الانجليزية ، فقد كان أدائي أيضا في المستوى الثاني . والإشارات الوحيدة التي استطعت التعرف عليها ، هي تلك الاشارات التي نتجت عنها صور مرئية ، مثل أن رجلا يركب حصانا حاملا علما . ولقد كان سهلا علي أن أتعلم الأسماء أكثر من الأفعال .

أما في الاختبار الفرعي لتحليل الارتباط Analysis Synthesis ، والذي يحتوي على مماثلات في المربعات الملونة ، فقد كانت نتيجتي أنني حصلت على المستوى الرابع . وهذا الاختبار يتطلب تركيزا شديدا ، والذي عادة لا أتمكن منه نظرا لأنه ينتابني

* أي مطابقة كلمة ذات معنى مترادف لعنى كلمة اخرى .

بعض السهو والشروء خلال فترة الاختبار . ولكن هذا الأمر لم يكن له تأثير علي قدرتي العالية في رسم مخططات الرسم للمعدات ، ولكنه جعل من الصعوبة علي متابعة تسلسل دروس الإحصاء ، نظرا لأنها تتطلب تركيزا شديدا ودائما .

كما أنني سجلت في المستوى الرابع في الاختبار الفرعي لتكوين المفاهيم Concept Formation . وهذا الاختبار يتطلب التعرف علي العلاقات بين الأبعاد لمجموعة من الأشكال الملونة وبالتالي التفرقة بينها . وقد كان أدائي ضعيفا في هذا الاختبار وذلك لأنني كان يجب علي أن أحفظ المفهوم في ذاكرتي الصغيرة الأمد لحين قيامي باختبار البطاقة المشابهة للمفهوم المحفوظ لدي . والمشكلة أنني أنسى المفهوم المخزن في ذاكرتي ، بينما أكون أبحث عن الاجابة . ولكن لو سمح لي القائمون عل الاختبار بكتابة المفهوم ، فإنني أعتقد أن أدائي سيكون أفضل بكثير .

وأما اختبار مدة انتباه الرؤية Viusuil attention span ، هو أحد الاختبارات الفردية من مجموعة اختبارات هيسكي - نبراسكا ، فلم يكن أدائي فيها مقبولا . وهذا الاختبار يتطلب النظر إلى مجموعة من الصور وبعد ذلك انتقاء الصورة الأصلية من مجموعة كبيرة من الصور وترتيبها الترتيب الصحيح . ولقد استطعت أن أختار الصور الصحيحة ولكن عجزت عن ترتيبها الترتيب الصحيح .

كما أن هناك اختبارا آخر، مثل لي صعوبة بالغة ، وهو اختبار التوجهات الشفوية Oral Directions وهو أحد الاختبارات الفرعية لاختبارات ديترويت لقابليات التعليم . ويوفر هذا الاختبار ، مقياسا لمدي تركيز الشخص مع تذكر قصير الأمد لمتتالية معينة . وهذا الاختبار يتطلب تذكر متوالية من التوجيهات لكتابة أو رسم من خلال قلم رصاص على رسومات معينة في ورقة الاختبار . ويتطلب هذا الاختبار أيضا الإبقاء على المعلومات في الذاكرة القصيرة الأجل وفي نفس الوقت القيام بالعمل . فمثلا عندما أستلم تعليمات لمحطة بنزين ، فيجب علي أن أكتب إذا كان هناك أكثر من ثلاثة طرق أو منحنيات في المتتالية . ولقد كانت الصعوبات التي تواجهني في هذه الاختبارات الفرعية ، تنبع من عدم قدرتي علي حفظ المعلومة الواحدة في مخي ، بينما أقوم بتحليل أو حساب المعلومة الأخرى . لقد كان لدي العديد من سمات ظاهرة الاضطراب في المقدرة علي القراءة Dyslexic . فأنا أعاني مثلا من صعوبات في التذكر المتتالي وفي تعلم اللغة الأجنبية ، وفي خلط بعض الكلمات مثل الثروة والثورة ، واستخدام أساليب مرئية للتذكر ، وهذه كلها ظواهر تدل علي الاضطراب في مقدرات القراءة .

ولكن ، كما هو الحال في كل المواهب ، فإن التفكير المرئي يعتبر حسنة في مجال تصميم المعدات وذلك لأنه يجعلني قادرة على رؤية كيف تكون كل أجزاء الماكينة متصلة ببعضها البعض ، كما يساعدني على رؤية المشاكل المتوقعة . فبعض الأحيان ، الأشخاص الذين لديهم مقدرة على التفكير المتتالي يقعون في أخطاء في التصميم ، لأنهم لا يستطيعون رؤية الصورة الكلية . فتصميم قطعة من المعدات من خلال مخ قادر على التفكير المتتالي قد يكون صعبا لمهندس ، كما أن معادلات الاحصاء صعبة علي . ولقد صادفت في حياتي العملية ، العديد من فنيي الصيانة ممن يستطيعون وهم الحاصلون على الثانوية العامة ، تصميم قطعة من معدات ، بعد أن فشل في ذلك حملة الدكتوراه . وبعض الأحيان أجد أن المهندسين قد عملوا أخطاء أثناء التصميم ، وقد تكون واضحة كالشمس بالنسبة لي . ولذلك فإن المجتمع لابد أن يعطي أهمية لأولئك نفر الذي يكون تفكيرهم مرئيا . وتوضح الدراسات التي قام بها مركز خدمات الاختبارات التعليمية (ETS) ، إن طلبة الثانوية العامة قبيل عشرين سنة ، كانوا أكثر قدرة على رؤية شيء ذو ثلاث أبعاد . ويؤكد توماس هلتون ، وهو باحث أول في مركز خدمات الاختبارات التعليمية ، إن المهندسين والمعماريين المتوقع عملهم ، قد لا يكونون بنفس كفاءة من تخرجوا من المدارس الثانوية قبل قرنين مضوا . إن إساءة تفسير الاختبارات النفسية قد يؤدي إلى وصف شخص موهوب في التفكير المرئي على أنه أقل من المتوسط في معدلات الذكاء . فمثلا العالم المشهور انشتاين وهو ممن يعتمدون على التفكير المرئي ، كان قد فشل في دروس اللغة الاجنبية في الثانوية العامة . وتوضح دراسة حديثة أن الأشخاص الذين عندهم تأخر في نمو الجزء الأيسر من المخ ، لديهم مواهب عديدة في جوانب مختلفة . فلو استطعنا منع التوحد وظاهرة الصعوبات في القراءة نهائيا ، فقد يكون الثمن أننا نشارك في تحول أشخاص قابلين لأن يكونوا موهوبين إلى أشخاص ذوي صفات عادية .

فمثلا توضح اختبارات التشريح التي أجريت على أدمغة الأشخاص الذين يعانون من صعوبات في القراءة Dyslexic ، أن تطور الجزء الأيسر من الدماغ كان ضعيفا وأن الخلايا العصبية قد نمت في الاتجاه الخطأ . وضعف نمو الجزء الأيسر من الدماغ ، يؤدي إلى أن تنمو الخلايا والدوائر العصبية بصورة أكبر في الجزء الأيمن . وقد استنتج البرت جلابيردا Galaburda من كلية الطب في جامعة هارفرد ، بقوله « إن هذا النظام يساعد على توضيح هذا الأمر ، فالدلائل anecdotal تقترح أنه ضمن الأشخاص الذين يجدون صعوبة في القراءة ، فإن العديد منهم لديه مواهب

بارزة في الموسيقي ، وفي المقدرات المرئية أو المكانية أو المهارات التي تتطلب استخدام اليد اليسرى .

والقابلية لرؤية الأشياء ، توضح لماذا بعض الأشخاص الذين لديهم صعوبة في القراءة ، يصبحون مسئولين كبارا في الشركات والمؤسسات . ويرجع هذا الأمر ، إلى أن لديهم المقدرة على الرؤية الكلية وعلى توجيه العمل والنشاط بصورة كلية شاملة بدلا من الاستغراق في التفاصيل .

وكما هو الحال مع الأشخاص الذين يجدون صعوبة في القراءة Dyslexic ، فإن الأطفال التوحديين قد يكون لديهم ضعف في الجانب الأيسر من الدماغ . وتوضح بعض الفحوصات التي أجريت على الدماغ Cat Scans في جامعة ييل ، أن هناك ضعف أو تضرر في الجانب الأيسر من الدماغ لبعض الأطفال التوحديين .

إن الأبحاث حول الذكاء الاصطناعي ، قد تبرز بعض الحقائق الخافية المتعلقة بهذا الموضوع . وحتى الآونة الأخيرة ، كانت كل أجهزة الكمبيوتر تستخدم الطريقة الحسابية المتتالية لحل المشاكل ، ولكن في الاجتماع السنوي للذكاء الاصطناعي والذي عقد مؤخرا ، فقد تم وصف آلة بـ Boltzmann . وهذه الآلة هي عبارة عن كمبيوتر لديه مقدرة كبيرة في التنظيم المتوازي ، وذلك لأن دوائره كما هو الحال مع بعض الأشخاص تعمل بشكل متواز بدلا من التوالي . ولعل التفكير المرئي وهضم المعلومات من خلال عدة دوائر متوازية كما يحدث لبعض الأشخاص ، هو أمر مشابه لما هو معمول به في هذه الآلة . وفي مراجعة حديثة للأدبيات ، توصلت ديورا Deborah Fein وزميلاتها الباحثات في بوسطن ، إن العنف أو الضرر العصبي في الأشخاص التوحديين قد يكون منتشرا ومتغيرا من حالة إلى حالة ، أكثر مما هو متفق عليه حاليا . وهذا يوضح لماذا وسائل العلاج قد تنجح مع طفل ، ولكنها تفشل مع الآخر ، وذلك لأن الأجزاء المتضررة من المخ قد تكون مختلفة من حالة إلى أخرى .

وأنا الآن لا أوجه من خلال أعصابي كما كان الحال سابقا . فالدواء الذي أتناوله وهو توفرينيل Tofranil (وأسمه العام هو Imipramine) وعادة اخذ ٥٠ مليجرام ، يساعدني على التحكم في نفسي . ولقد عرفت عن المعالجة بواسطة التوفرينيل ، من خلال مقالة علمية في مجلة علم النفس اليوم ، كتبها كل من وندر وكلين P.H. Wender and P.H. Klein ودواء المبرمين Imipramine يساعد على التحكم في البناء الغذائي الحيوي Metabolism وعلى تخفيض حساسية جهازني العصبي

نحو المدخلات القادمة .

وقد ساعدني دواء التوفرنيل على تخفيض حساسية الخلايا المستلمة للإشارات B - adrenergic receptors في الدماغ . فهذه الخلايا هي جزء من الدوائر العصبية المعقدة في المخ والتي تتلقى المدخلات الحسية وتتعامل معها . والتخفيف من حساسية هذه الخلايا في الجزء من الدماغ الذي يطلق عليه Locus Ceruleus يؤدي إلى التخفيف من أثر هذه المدخلات الحسية على الدماغ . ونستطيع أن نمثل لذلك ، بمحاولة تضبيب البرغي على حجرة الاحتراق في السيارة والذي ينظم دخول الوقود إلى سلندر الاحتراق . وقبيل تناول الدواء كانت الماكينة مسرعة ولكنه بعد تناوله ، عادت السرعة إلى وضعها العادي .

وتوضح الدراسات الحالية ، أن العديد من الناس ممن يعانون من هجمات القلق والاضطراب ، يمكن علاجهم بالأدوية المخصصة لمعالجة الكآبة . كما أنه من المحتمل أن الاتجاه نحو القلق والاضطراب قد يكون وراثيا وبالتالي لا يمكن علاجه بالأدوية .

لقد أتعبني البحث والقلق عن المعنى الاساسي للحياة . كم أنني أصبحت غير متعلقة بشيء معين نظرا لأنه لا يوجد شيء محدد يوجهني إلى أمر معين . فخلال الأربع سنوات الماضية ، لم أكتب إلا النزر القليل في مذكراتي اليومية ، لأن الأدوية المعالجة للكآبة قد أخذت مني كل الحماسة والهباج . ونظرا لقدرتها على كبح الانفعالات ، فقد أدى ذلك إلى نجاحي في المجال العملي في تصميم الآت ومعدات المشية . وبما أنني أصبحت مسترخية أكثر ، فإن علاقتي مع الناس أصبحت أفضل مما كان عليه ، كما أن مشاكلي الصحية المرتبطة بالكآبة مثل Colitist قد انتهت بلا عودة . ولو أن هذا الدواء قد وصف لي وأنا في العشرينات ، لما وصلت إلى ما وصلت اليه الان . فقد كانت الهجمات العصبية وتلقي بالاشياء ، أحد الدوافع المهمة في حياتي ، إلى أن جاء الوقت الذي مزقت فيه جسدي وما ترتب على ذلك من مشاكل صحية متعلقة بالإجهاد . إن خصائص التوحد والصعوبة في القراءة ، قد تكون خصائص عادية ، لكنها تكون مبالغاً فيها في أشخاص معينين . فهناك قدر من التعلق بالشئ ، والقلق مطلوب لتحفيز الشخص لأداء الأعمال . وأنا اليوم ناجحة في عملي ونشاطي . وقد سافرت إلى انحاء عديدة من الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا وكندا وأستراليا ، وذلك لتصميم الآلات ومعدات رعاية المشية ويشمل ذلك المزارع وأماكن التغذية ومصانع التعبئة . ولقد اعطتني تجاربي وخبراتي زخما من

العاطفة تجاه هذه الحيوانات ، مما ساعدني على تصميم معدات أفضل لها . فمثلا قمت بتصميم ممرات الماشية على شكل دائري وذلك لأن الماشية تستطيع أن تتبع طريقا منحرفا بسهولة أكثر . وهناك سببان لذلك : أولهما أن الماشية لا تستطيع أن ترى ما هو في نهاية الممر ، وبالتالي فإنها لن تخاف أو تقلق . وثانيها أن الممرات المنحنية تستفيد من خاصية الماشية الطبيعية في حب الدوران . إن المبدأ الأساسي هو أن تعمل من خلال فهم سلوك الحيوانات وليس ضده . وأنا أعتقد أن نفس المبدأ يمكن تطبيقه من خلال العمل مع الاطفال التوحديين وهو أن تعمل معهم بدلا من أن تعمل ضدهم . فالمطلوب هو محاولة أن تكتشف مواهبهم المختلفة وتسعى إلى تصويرها .

كما أنني أعمل حاليا على اعداد رسالة للدكتوراه في جامعة الينوى في علم الحيوان . وسيكون موضوع رسالتي حول تأثير إغناء البيئة على سلوك وتطوير النظام العصبي المركزي للحيوانات . وتوضح الأبحاث الجارية في الجامعة بواسطة جرينوف W.T. Greenough وزملائه ، أن الدماغ مرن للغاية ويستجيب للإثارة من البيئة المحيطة به . وحتى دماغ الشخص الراشد ، فإنه يقوم بالتطوير المستمر لخلايا واتصالات عصبية جديدة ، استجابة للإثارة .

وكما ترون فقد كرسيت جهدا ووقتا كثيرا من أجل تعلم الجهاز العصبي للشخص التوحدي ، وليس فقط بقصد معرفة نفسي أكثر ، ولكن لأحاول المساعدة في وضع خبراتي وتجاربي في إطار علمي قد يكون فيه نفعا للآخرين . ففي السنوات الاخيرة ، قمت بالتحدث في العديد من ورش العمل التي صممت لمساعدة الاخصائيين النفسيين وأولياء الامور ومدرسي الأطفال التوحديين . وبعد واحدة من ورش العمل تلك ، كتبت لي صديقتي لورنا كنج والتي كانت متحدثة في تلك الورشة ، الكلمات التالية :

عزيزتي تمبل

« بينما كنت أستمع لمحاضرتك الأسبوع الماضي في شيكاغو ، لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير فيك عند مقابلي لك لأول مرة في اجتماع بمدينة فينووكس في ولاية اريزونا عقدته جمعية الأطفال التوحديين في تلك المدينة . ومع أن مجموع الحضور كان بسيطا ، إلا أنك كنت مضطربة ومشدودة الأعصاب . وبدا خطابك للمستمع وفيه شدة كأنه مملوء بالمتفجرات . لقد كنت مشدودة أمام الحضور وكان واضحا للعيان عدم ارتياحك عندما أصر أحدهم على مصافحتك .

ولكن ما حدث في شيكاغو كان مغايرا لذلك . فقد كان واضحا هدوءك وارتياحك وخاصة خلطك لحديثك ببعض النكات التي قدرها الحضور كثيرا . كما أنك أجبت على الأسئلة بكل ارتياح . كما احتككت بأكتاف العديد من الحضور خلال فترة الاستراحة ، ولم يلاحظ عليك أى تردد عند المصافحة . وعموما ظهر للجميع أنك مرتاحة ويبدو عليك الثقة بنفسك .

يبدو أن اتجاهك القديم نحو التعلق بالشىء قد انتهى ، فقد كنت عادة تجدين صعوبة في الانتقال من موضوع معين إلى موضوع اخر . علما بأنني أعرف أنك واعية لذلك ولكن لا تستطعين فعل شىء حياله . ولكن الان يبدو أن ذلك أصبح ذكريات من الماضي .

كم هو جميل أن يراك المرء وأنت تتطورين وتنمين ولعل في ذلك الهاما لنا جميعا لنعمل نفس الشىء » .

إن رسالة لورينا لي يذكرني بمقال قرأته حديثا في احدى الجرائد حول سياسة عدم اللمس والتي تطبق الآن في دور الرعاية والمستشفيات وبعض المؤسسات المختصة برعاية الأطفال . إنني أفهم السبب من وراء ذلك ، لأن التحرش الجنسي بالأطفال يعتبر جريمة شنيعة ، ولكن لابد أن يكون هناك توازن في هذا الأمر . ولذلك فإنه من غير المنطقي ولا يحقق اشباع النفس ، عندما يطلب من الاستاذ ، حين يود تهنئة تلميذه على عمل جيد قام به ، أن يقول له « أربت على نفسك من الخلف لأنني لا أستطيع ذلك خوفا من أن اتهم بالتحرش الجنسي » . إن جميع الاطفال بحاجة إلى الاثارة اللمسية وهو لدى الاطفال التوحديين أكثر .

الفصل الثاني عشر

الاطفال التوحديون والعالم الحقيقي

لقد قرأتم قصتي ولاحظتم كيف انتقلت من مجموعة من الابواب الرمزية إلى العالم الحقيقي . ولكن ماذا يعنى هذا بالنسبة لكم ، معشر الآباء والامهات ، أو المتخصصين ممن يهتمون بشدة بالتوحد في مرحلة الطفولة ؟

أولا مثل جميع الاطفال ، لا يوجد طفلان توحديان متشابهان ، وبالتالي فإن الأسلوب أو الأداة الناجحة مع أحدهما قد لا تنجح مع الآخر . ولعله من الحقائق أن هناك مبادئ عامة للتعلم ، تنطبق على جميع محاولات الانسان . إن الهدف هو الملاحظة وإيجاد أنماط محددة لاستجابة كل طفل ، ومن ثم العمل نحو تطوير هذا الطفل .

* ابحث عن ما يجذب طفلك ويستولى على رغبته . فمثلا قد يكون واقفا قرب المراض ، مستخدما السيفون طوال اليوم ، فيكون تساؤلك ترى ما الذى يجذب انتباهه هل هو خريير المياه أو حركة مقبض السيفون أو علاقة السبب والنتيجة هى التى تجذبه إلى ذلك . حاول أن تأخذ اهتمامه وتوجهه إلى جوانب أكثر أهمية .

* وكطفلة ، كنت دائما أحب أن يقوم أحد بجعلي أدور حول نفسي . ولقد تسلطت على لعبة البرميل في الكرنفال حتى أنني ظللت أبقى لساعات طويلة فيها . وتوجد في الوقت الحاضر دلائل تؤكد ، بأنه إذا لم يكن الشخص مصابا بمرض الصرع ، فإن الدوران يعتبر عاملا مساعدا لميكانيكية الأذن الداخلية والتي تساعد على تحقيق التوازن والترابط بين الحركات والادراك الحسي للشخص . تنبيهه : ليس الدوران حتى الوصول لمرحلة الغثيان هو الهدف من ذلك ، بل إن الهدف هو الوصول إلى حالة Nystagmus ، وهو أن يكون الشخص بعد الدوران ، في حالة يرى بصيص النور تدريجيا بينما يصل جسمه تدريجيا إلى حالة التوازن .

* كما أنني أعتقد أن آلة الضغط تساعد بعض الاطفال التوحديين للتغلب على حالة اللمس الدفاعي يمكنهم ذلك من السماح للناس الآخرين بلمسهم وبالتالي الحصول على العاطفة منهم . إذا استطاع الطفل التوحدي أن يقبل التبادل العاطفي ، فإن هذا قد يساعده على أن يتعلم كيفية الاهتمام بالناس أكثر . وبالتالي فإن فقدان العاطفة ، وهى الظاهرة التى لوحظت في بعض الاطفال التوحديين ذوي المقدرات العالية ، يمكن تفاديها من خلال السماح باستخدام آلة الضغط . فآلة الضغط أو أي آلة اخرى تساعد على الاثارة اللمسية وتستخدم العلاج المتكامل الحسى ، تساعد على تهدئة نظام عصبي مثار وتقلل من النشاط الزائد لدى العديد من الاطفال . وهؤلاء هم اخصائيو العلاج المتكامل الحسى والذين تدربوا على الطريق التى طورتها أ. جين ايرس A. Jean Ayres .

* لابد أن تكون حذراً بصفتك مراقباً . ولا تركز فقط على ما يجذب انتباه الطفل من الاستجابات الحركية (مثل الاستمرار في جذب مقبض السيفون) ، لابد أن تشمل ملاحظتك أيضاً ما يضيق الطفل . فأنا مثلي العديد من الاطفال التوحديين ، لا أستطيع أن أتحمل الاصوات العالية . ولا أستطيع أن أتحمل ضمة قوية لأنني أشعر وأنا أضم وكأنني اختنق . ولكن مع ذلك فإنني أحب أن أضم الاشياء إلى بعضها البعض مثل بناء غرفة المرايا المنكسرة .

* كم نجد الاخصائيين يقولون أشياء مثل « اوه ، أن جون لا يقوم بفعل شيء مثل ذلك (أو لا يستطيع أن يقوم بفعل ذلك) . لقد اختبرته منذ سنتين ولم يستطع فعله » . إن ذلك الشيء كان قبل سنتين وليس اليوم . إن التوصل للنتائج والتحليل والملاحظة هى شىء لابد من عمله بصورة متكررة ، فالاطفال بما فيهم التوحديون ليسوا ثابتين على حالة واحدة .

* لابد من تشجيع الطفل التوحدي على استخدام الحواس الحركية مثل استخدام التعلم الحركي وكيفية استخدام العضلات في الجسم . فقد كانت حواسى اللمسية زائدة الحساسية وبالتالي كانت عندى سمة اللمس

الدفاعي ولكن حواسي الحركية كانت جاهزة للتعلم . فحاسة اللمس هي أحد مصادر التعلم الرئيسة التي لا بد من استخدامها بصورة واسعة ليس مع الأطفال التوحديين فحسب بل مع كل الأطفال . فلا بد للطفل من التحسس واستخدام الخامات والمواد المختلفة مثل الصوف والطين والحريير وذلك بقصد تعلم الفروق بينها من خلال اللمس ، وأن يقتفى الاثر مثلا في الطين والرمل المبلل . وأما النشاطات الموسيقية فهي مفيدة للأطفال التوحديين . والأطفال التوحديون - الذين لا ينطقون عادة - قد يغنون بكلمات لا يستطيعون قولها في محادثة عادية .

* إننا جميعا نحتاج إلى أماكننا الخاصة بنا وكذلك الاطفال التوحديون ، فهم بحاجة إلى أماكن خاصة يستطيعون الاختباء فيها من أعين الناس وينسحبون إلى عالمهم الخاص . وعموما ، فإن التوحد عبارة عن عاقبة فيها انكفاء أو انسحاب إلى النفس ، والأطفال التوحديون يحتاجون إلى تأمين الاماكن الخاصة باختبائهم . ولقد كان لي مخبأ خاص بي ، أحتاجه للتفكر وشحن بطاريات نفسي .

* لا بد أن تكون حذرا في تقديم الحيوانات الأليفة إلى الاطفال التوحديين . فإن اساءة معاملتها ليس بالأمر غير العادي ، نظرا لعدم التنظيم الإدراكي لدى الأطفال التوحديين . وعندما يكون واضحا أن الطفل يستطيع رعاية هذا الحيوان ، قدم له حيواناً حقيقياً . وحاول أن تقنع الطفل التوحدي بحمله ثم بتمرير أصابعه عليه أو تمسيده . وهناك براهين متزايدة على أن الحيوانات لها دور مساعد مهم ليس فقط في علاج الأطفال التوحديين ، ولكن أيضا لكبار السن والعجزة .

* إن اسلوب تعديل السلوك هو أحد الاساليب الناجعة مع الاطفال التوحديين . ولكن واحدة من الصعوبات في هذا الاسلوب عند تطبيقه على الاطفال التوحديين ، أنه كقاعدة يصعب على الاطفال التوحديين تعميم عمل معين . فمثلا الطفل التوحدي الذي يتعلم أن يأكل بالملعقة قطع من ايس كريم ، لا يمكن أن يعمم هذه المقدرة التعليمية لاستخدام الملعقة في تناول الحساء .

فالطفل التوحدي يقوم بعمل معين واحد ولكن من الصعب أن يحول هذه المقدرة إلى أعمال أخرى . فهو يأخذ كل عمل ، واحد تلو الآخر ، ويعامله كعمل منفرد . وعندما يحدث التعميم من قبل الطفل ، فإنه يكون أقرب إلى الواقع .

* خذ حذرک من رد الفعل العفوی للطفل التوحدي . فعندما كنت أرمى بعض الكتب على الأطفال الآخرين كرد فعل مني ، كنت أقوم بذلك بدون أي تفكير . وقد يؤدي توبيخ الطفل التوحدي إلى تحسن في رد فعله أو تغيير في سلوكه ، ولكن في معظم الأحيان فإن الطفل ليس لديه تحکم في ردود أفعاله .

* تابع باستمرار تغذية الطفل التوحدي ، فالجسم يتطلب استقرار غذائيا ل يبقى قائما . وفي معظم الأحيان يفتقد الطفل التوحدي الآلية الداخلية لإنتاج وعمل المواد الغذائية المطلوبة . فالمواد المعدنية لها أثر في تحقيق توازن الجسم . والعديد من الأطفال التوحدين عندهم نقص في معدن الزنك وذلك حسب رأي الطبيبة الن كوت Allan Cott ، وفي بعض الأوقات تزيد لديهم كمية معدن النحاس ، وكلاهما عنصران هامان في الدم وفي جهاز المناعة . وللتأكد من نقص معدن الزنك (والذي هو ضروري لنماء الأذن الداخلية وبالتالي الاستجابة الحسية) فيمكن مراجعة خبير في أطراف المعادن والذي سيقوم بعمل اختبار الجلوكوز لثمانى ساعات . وقد يكون هناك حاجة إلى العلاج من خلال خليط الفيتامين والمغنسيوم Megavitamin وقد أكمل برنارد رملاند Bernard Rimland في معهد أبحاث سلوك الطفل في سان ديغو ، العديد من الدراسات ، فوجد أن فيتامين ب٦ مع المغنسيوم ، كان مفيدا جدا بالنسبة للأطفال التوحدين . وتؤكد أبحاث أخرى مثل هذه النتائج . ولا بد من تحليل مدى الحساسية عند الطفل تجاه بعض هذه الأمور قبيل استخدامها . ولعله مفيد تجربة هذه الطرق ، قبيل اللجوء إلى استخدام الأدوية .

* العديد من الأطفال التوحدين عندهم حساسية اتجاه بعض الاغذية .

واحيانا يتحسن سلوكهم عند ابعاد هذه الاغذية من قائمة الطعام . ومن الاغذية الشائعة التي قد تسبب بعض الحساسية : الحليب ، القمح ، الطماطم ، الشوكولاته ، السكر ، وفطر عش الغراب . وحاول أن تحصل على مساعدة أحد المختصين في حساسية الأغذية ممن لديهم خبرة في تأثيرها على السلوك .

* تبحث الطبيبة ماري كولمان Mary Coleman في العاصمة واشنطن ، بالخلل في وظائف التغذية لدى الأطفال التوحديين Metabolic . فبعض الاطفال التوحديين قد استفادوا من نظام غذائي معين ساعدهم على تصحيح الخلل في وظائف التغذية وبالتالي فقد يكون النظام الغذائي جزءا من العلاج .

* كن حذرا من اعطاء الاطفال التوحديين أدوية كثيرة . وعادة عندما يعالج الدواء مرضاً معيناً ، فذلك شيئاً عظيم . فدواء توفر نيل هو دواء عظيم بالنسبة لي ولكنه قد يكون ضارا لآخرين . واعطاء الادوية بكميات كبيرة للأطفال قد يكون امرا خطيرا لا بد من الحذر منه ، وبرأيي الشخصي أنه يجب تفادي اعطاء الأطفال أي دواء واستخدامه كملجأ أخيراً فقط . وعندما يتم استخدام أكثر من دواء في آن واحد ، فإنه من الصعب معرفة نتائجه . وإن اعطاء طفل دواء معيناً ، قد يستر فقط أحد ظواهر المرض ولكن معرفة الدواء المناسب الذي يؤدي في الواقع إلى تصحيح الكيمياء الحيوية المتضررة للجسم ، قد يكون هو التوجه الصحيح . وعندما تجد الدواء المناسب ، استخدم فقط الحد الأدنى من الكمية المطلوبة .

* حاول أن توفر وتبقى على بيئة مستقرة ومنظمة وامنه للطفل التوحدي . فالطفل التوحدي لا يستطيع أن يكون فاعل أو مستقر ، إذا كانت هناك تغييرات يومية كثيرة . أعمل الاشياء يوميا حسب تسلسل معين . وابدأ مثلا مع بداية اليوم ، بالنهوض من الفراش ثم بغسل وجهنا وعضاؤنا ثم نأكل الإفطار وهكذا . فالطفل التوحدي لا يستطيع أن يجلب النظام إلى العالم الذي يعيش فيه ، ولذلك فلا بد أن توفر له هذه النظام والترتيب . فالطفل التوحدي قد يخطو نحو مرحلة مختلفة عننا ولكنها قد

تكون مرحلة ذات أهمية بالنسبة له .

* ماذا يسمع الاطفال التوحديون ؟ بعض الاحيان كنت أسمع وأفهم ما يقال حولي واحيانا تدخل الاصوات إلى دماغي وكأنها قعقة قطار شحن . فالازعاج والقلق الناتج عن تجمع كثير من الناس ، يتغلب على حواسي . جاول أن تراقب ماذا تقول للطفل التوحدي . اجعل جملك قصيرة وبسيطة . أنظر إلى الطفل مباشرة وأنت تحدثه ، لأن الطفل التوحدي يتعلم أن يقرأ حركات الجسم كله وليس فقط الكلمات . وإذا اضطررت ، فحاول أن تمسك بعنق الطفل التوحدي ليحدث اتصال مرئي بينكم . وهذا قد يكون أمراً صعباً بالنسبة للطفل التوحدي . ويظهر للشخص المراقب ، أن أعين الاطفال التوحديين ترى كل شيء ما عدا الشخص الذي يتكلم معهم . حاول أن يكون في حديثك ايقاع وحركة . حاول أن تجعل طفلك يرى سرورك من خلال ابتسامتك أو عدم رضائك ، من خلال التغير في سمات وجهك وفمك . إن تعابير الوجه ستساعد على جلب انتباه نظرات الطفل التوحدي نحو عينيك ووجه وجسمك . لا تحاول أن تتحدث بأسلوب رتيب بل احرص على الضغط على كلمات معينة مهمة مثل « كم هو جميل ما رسمته » مع تشديد النبرة على كلمة جميل .

* أما بخصوص التعلق بالاشياء فحاول أن توجه الطفل نحو الامور المفيدة . فالتصميم على عمل شيء معين قد يكون أمراً نافعا احيانا . وإنك لتجد الاطفال التوحديين ذوي المستوى الرفيع ، ممن هم قادرون على العيش بمفردهم والاحتفاظ بوظيفة معينة ، تجدهم عادة يعملون في حقل مشابه لرغباتهم أو ما كانوا متعلقين به أيام صغرهم . ويعمل الآن بنجاح أحد الاطفال التوحديين ممن كان لهم ارتباط كبير بالأرقام ، في اعداد تقارير الفعالية المالية .

* حاول الاستعانة بالاختصاصيين وتعرف على العديد من الآراء حول الموضوع الواحد . وانضم إلى الجمعية المحلية المختصة بالاعاقة . اسع إلى أن تكون على صلة بالتطورات الحديثة والجارية في مجال الأساليب الجديدة والعلاج

والابحاث ، واحرص على التحدث مع الوالدين الاخرين .

وأنا اليوم ، بعد أن أصبحت مصممة ناجحة لمعدات رعاية المشية مع شركتي الخاصة بي ، من كان يتوقع أن تصل تلك غريبة الاطوار إلى هذه المرحلة والمستوى ؟ وبينما كنت أتطلع إلى دعوة الفصل لى لاجتماع لم الشمل ، قررت أن أذهب . فبعد كل الجهود والمساعدة من عائلتي والآخرين ، استطعت التقدم بعد طريق طويل جدا . ومع قدرتي على التفكير المرئي ، أرى اشخاصا آخرين تم تصنيفهم على أنهم توحديون ، ينطلقون من خلال ابوابهم الرمزية نحو النجاح .

★ ★ ★ ★

لأي استفسار أو مساهمة يمكن الاتصال

بالسيدة / سميرة عبداللطيف السعد

مديرة مركز الكويت للتوحد

التابع للأمانة العامة للوقف

تلفون : ٢٥٤٠٢٥١

فاكس : ٢٥٤٠٢٤٧

أو المراسلة على العنوان التالي :

ص.ب : ٣٣٤٢٥ الروضة - الرمز البريدي 73455 الكويت